

حياة داود

ترجمة القمص مرقس داود

تأليف ف. ب. ماير



حياة داود

الراعي ، المرفهر ، الملك

تأليف: ف. ب. ماير

ترجمة: القمص مرقس داود

مقعد النشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

الفاخرة الحديثة للطباعة

أحمد بهاء الدين الخريوطي

٣ شارع الجد بالمخالة

تليفون ٩٣٤٣١٠



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

مقدمة المؤلف

ان حياة وصفات داود جذابة للغاية ، ليس فقط لنفوس القديسين الذين يعبر عن آرائهم العميقة في مزاميره السامية بل لكل البشر ، وذلك بسبب تنوعها ، واختبارات المتباينة ، ثم لأنها اقرب الشبه للحياة البشرية العادية ، وأخيرا لأنها تستعرض أمامنا صفات الكرم والشجاعة التي تستهوي عادة قلوب الجميع .

ولقد وجهت أوفر عنايتي - وأنا أحلل حياة داود في كل أدوارها - الى تلك الفقرات التي تشير الى الخطوات التي أوصلت ذلك الراعى الى عرش الملك . فى هذه الخطوات تكونت حياته وصفاته . ألقت أعماق وأعذب مزاميره ، اكتسبت اختبارات المتنوعة التي أهلتها للتعبير عن القلب البشرى .

هذه هى حياة داود ، مرثم العالم الخلق ، أب المسيح ، مؤسس الأسرة الملكية ، النبى الذى كان مسوقا بالروح القدس كما يخبرنا الرسول بطرس ، رمز وسابق المسيح الذى ولو كان ابنه الا أنه ايضا ربه ، الشخصية الفريدة التي وجدت حسب قلب الله ، الذى « عمل كل ما هو مستقيم فى عينى الرب ولم يحد عن شئ مما أوصاه به كل أيام حياته الا فى قضية أوريا الحثي » ١ مل ١٥: ٥ . ولا شك فى أن شخصية داود ستبقى على ممر الدهور والأجيال موضع احترام واعجاب ومحبة الجميع .

ف.ب. ماير

مقدمة المحرر

باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

من أحب شخصيات الكتاب شخصية داود النبي والملك ، فهو الذى يتردد اسمه - بالاجلال والتوقير - على كل لسان عند ترويد مزاميره الرائعة الخالدة التى تلم عن روحانية عميقة ، حتى استخدمتها جميع الكنائس فى كل أرجاء العالم فى صلواتها أو فى تسابيحها أو فى كليهما .

وهو الذى حظى بشهادة فريدة لم تمتح لغيره من البشر السابقين أو اللاحقين إذ شهد الله عنه قائلا « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى » ١٢: ٢٢ .

وهو الذى يقدم لنا مثلا ساميا فى تحمل الضيق والالام . فإنه إذ صهرته المحن والاضطهادات المريرة خرج من بوتقتها مطهر النفس نقى القلب .

بل هو الذى يقدم لنا مثلا أسمى فى كيفية معاملة الأعداء ، والصفح عن المسيئين ، ومقابلة الاساءة بالاحسان . ولعله سمع مقدما تعليم الرب يسوع المسيح ابن داود القائل « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيك . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » .

واننى ان اضع هذا المؤلف ايضا بين يدى القدير اتوسل
اليه ان يباركه كما بارك سابقيه لى يكون بركة لكل من يقرأه ،،

٢٤ فبراير ١٩٥٨

القس مرقس داود

١٧ امشير ١٦٧٤

الفصل الأول

من حظائر الغنم (١)

فى كل يوم نمر بالنهر عند منبعه
ولا ندرى ما الذى سوف يتبعه
من نهيرات وفيرة
تزيده فيضانا بمياهها الغزيرة

أيتها البداءات الصغيرة ، أنت عظيمة وقوية
مؤسسة على قلب مخلص ونعمة الهية
أنت تبنين المستقبل ، أنت تعملين للحياة الأبدية
أنت تتألين التاج بالعناية الربانية •

ج • ر • لويل

تبدأ رواية داود بمقارنة بين آماله الجديدة التى قفزت أمامه
فى مستهل حياته وبين رفض شاول الملك العنيد الذى كانت حياته
تدور بسرعة ، منحدره نحو حقل جلبوع الذى خر فيه صريعا
مضرجا بدماؤه •

(١) « واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم » مز ٧٨: ٧٠
« فقال الرب للصموئيل حتى متى تدوح على شاول وأنا قد رفضته
عن أن يملك على إسرائيل • املا قرنك دهنا وتعال أرسلك الى
يسى البيتلحمى لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكا » ١ ضم ١٦: ١

لم يسعد الحظ اشخاصا كثيرين كشاول . فقد كانت له المواهب الممتازة ، وله مظهر العظيمة في هيئته ، حبه الطبيعة والظروف بميزات جليلة ، وكان ممكنا له ان يسجل لنفسه اسما بين اعظم الشخصيات في التاريخ . كان عمله اللجيد الاول ، تخليص يابيش جلعان ، مبررا لاصدقائه بان يضعوا فيه اعظم الآمال ، ولكن سرعان ما اقل نجمه . فان جزعه وعدم صبره واصرارته على تقديم الذبيحة قبل وصول صموئيل ، والقسم الذي اقسمه بلا مبرر ، وتفكيره في قتل ياناثان ، وعصيانته الشديدا للوصية الصريحة الخاصة بعماليق - هذه كلها برهنت على انه لم يكن اهلا للمركز الخطير الذي شغله كوكيل الله ، وانه لذلك يجب ان يعزل عن الملك .

وفي الجلجال اعلن اليه الانذار النهائي بخلعه من الملك . في ذلك المكان عند دخول ارض كنعان نخرج اسرائيل عنه عار الغرلة بناء على امر يشوع . وكان مجرد اسم ذلك المكان اعلانا للشرط الوحيد الذي يرتضيه الله لاستخدام الانسان كآلة في يديه . اما شاول فانه لم يحاول ان يخضع كبريائه ، او يكبح جماح ارادته ، او ينزع عنه شهوات الجسد . لقد دعى الى الملك بينما كان يفتش على اثن ابيه الضالة كما دعى داود بينما كان يحرس غنم ابيه ، ولكن شاول كان فيه الشيء الكثير من الوحشية كما كان في اسماعيل ، ولم يحاول هذا او ذاك (اسماعيل او شاول) اخضاعها . ولان شاول رفض كلام الرب فقد رفضه الرب من الملك ١ ضم ٢٣: ٢٦ .

ومن الجلجال ذهب شاول الى بيته في جبعة في مرتفعات بشيامين بينما ذهب صموئيل الى الرامة (نحو الجذب قليلا) حيث كان بيته ، وحيث قضى لاسرائيل عشرين عاما ، وحيث كان يقيم بين الشعب ابا وكاهنا ، وحيث كان يعرف بين البعيد والقريب

كرجل الله ١ صم ١٧:٧ ، ٦:٩ و ١٢و١٠ . وهناك أيضا حزن من أجل شاول . انه لن ينحدر شخص شرير الى الأسافل قبل أن يحذر ، ودون أن يبكى عليه . ولكن المقاصد الالهية لا تنتظر حتى تجف تلك الدموع التي ترثى وتبكى . كما أننا يجب أن لا نتمسك بقبور الذين ماتوا أن كان روح الرب قد فارقهم ، بل لنقم ولننتبه حيث ينقل دائرة عمله من مرتفعات بنيامين الصخرية الى النسيم العليل فى مرتفعات بيت لحم ، وحيث يرشدنا الى بيت يسى .

فى اختيار كل شخص للوظائف السامية فى خدمة الله والبشر توجد ناحيتان ، الناحية الالهية والناحية البشرية ، اختيار الله ومقدار تأثير ذلك الاختيار فى التاريخ ، الدعوة السماوية وترديد الأرض لصداها .

إذا فلنتأمل فى : (١) أصل داود فى الله (٢) جذع يسى أى الظروف المحلية التى يمكنها أن تؤثر فى الطفل (٣) برعم الزهرة البيضاء للحياة النبيلة .

(١) أصل داود :

دعى الرب يصنوع « أصل داود » مرة فى نبوة اشعيا ومرتين فى سفر الرؤيا . « قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السفر ويفك ختومه السبعة » رؤ ٥:٥ ومرة أخرى بقوة أكثر نسمع بين الكلمات الأخيرة التى يطلق بها المخلص قبل أن يسدل ستار الدهور « أنا يسوع أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير » رؤ ١٦:٢٢

ان الفكرة التى يحملها معنى هاتين الكلمتين هى وجود أصل (جذر) قديم ممتد الى مسافات عميقة فى الأرض ، يبرز منه

جذع قوى وغصون مورقة خضراء • وبناء على هذا التشبيه يمكن اعتبار حياة داود بزوغاً من حياة ابن الله قبل اتخاذه طبيعة الانسان ، أو أنموذجاً مصغراً أو فكرة سابقة لما سيكون عليه (ابن الله) ويفعله فى ملء الزمان • ان يسوع هو ابن داود ، ولكنه بمعنى آخر أبوه وجده ، وهكذا نعود الى اللغز القديم ان يسوع الناصرى هو فى وقت واحد رب داود وابنه • مر ١٢: ٣٥ - ٣٧ •

فى اختيار داود نجد خمس كلمات عظيمة ، تكشف لنا الأخيرة منها كثيراً من أعماق ذلك اللغز العويص •

١ - « انتخب الرب لنفسه رجلاً » ١ صم ١٣: ١٤ لا يستطيع احد ان يعرف اليوم أو الساعة التى يمر فيها الله للبحث عن الأوانى المختارة واللائكة الحسنة • وفى وقت لا يخطر ببالنا نكون تحت الفحص والاختبار والمراقبة فى أماكننا العادية اليومية لكى يعلم ان كنا أهلاً للأموريات أخطر • فلنكن على الدوام مستعدين ، منطقيين أحقاءنا ، مصاييحنا مشتعلة ، شباكاتنا مصلحة ومستعدة •

٢ - « وجدت داود عيذى » من ٢: ٨٩ • وهنا نستطيع ان نحس برنة اللغمة وعذوبة خاصة فى الصوت كما هو الحال فى كلمة « وجد » التى كررت ثلاث مرات فى لو ١٥ لقد « وجد » داود قبل ان سال عنه صموئيل بوقت طويل • ترى ما هى اللحظة التى « وجده » الله فيها ؟ اكانت فى فجر أحد الأيام عندما أخرج ذلك الضئيل قطيعه من الحظيرة قبل شروق الشمس ليخرج به الى المراعى ؟ أم كانت فى صباح أحد الأيام عندما هجم على الدب والأسد بايمان الأبطال وانقذ منهما الشاة المرتجفة ؟ أم كانت فى عصر أحد الأيام عندما تحركت فى قلبه أول فكرة عن مزور

الراعى الصالح وهو جالس يحرس الغنيمات التى عهدت اليه رعايتها ؟ أم كانت فى إحدى الليالى عندما سمع حديث السماء الصامت يحدث بمجد الله ؟ ثم ألم تكن هناك اجابة سرية مبهجة لتلك الدعوة الالهية كتلك التى ردها التلاميذ عندما « وجدهم » عند شباكهم وقال لكل منهم « اتبعنى » ؟

٣ - « واختار داود عبده » (أو ليكون عبده) مز ٧٨:٧٠
لقد اختار الشعب شاول ، أما الله فاختار داود . وكان هذا سر قوته . فقد كان واثقا من أن مقاصد الله تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ، فوقه وتحتة . وفى الأيام التالية عندما نبذ شاول ، وعندما غيرته ميكال بسبب اسرافه فى حركاته كان سنده الوحيد هو هذه الفكرة : ان الله هو الذى انتدبه ٢ صم ٢١:٧ . عندما نستطيع أن نلمس صخرة اختيار الله ، ونسمعه يقول « هذا لى انا مختار ليحمل اسمى » عندئذ نصبح ثابتين لا نتزعزع .

٤ - « انتخب الرب لنفسه رجلا . . . وأمره أن يترأس على شعبه » ١ صم ١٤:١٣ ليس ضروريا أن يكون الاختيار مبنيا على الكفاءات البشرية وليس ضروريا أن يقال بالمساعى البشرية ، فانه من الله هو الذى يضع وهو الذى يرفع . قد يحمى غضب شاول وتثور ثأثرته ويهدد ، ولكن من خلال قوته المتداعية بزغت قوة داود كما تبزغ الشمس من بين السحب ، لأن الله أراد ذلك . اذا فاعد نفسك لخدمة الله « كن أميناً ، فينتخبك للحصول ، لأن التعيين لا يأتى من الشرق أو الغرب بل من فوق . »

٥ - « قد رأيت (أو أعددت) لى ملكا » ١ صم ١٦:٩ وهذه تحل كل مشكلة . فالعناية الالهية التى تعد كل شئ تسد كل حاجة وتسكن كل اضطراب . يجب أن لا نستسلم للافكار المزعجة عن مستقبل الكنيسة أو مستقبل بلادنا ، فאלله قد أعد كل

شئ لمواجهة الأحداث والخطوب • لعل الله أعد وعين الشخص المطلوب بعد أن وجده فى أحد الأحياء الحقيبة ، أو فى كوخ أحد الرعاة ، أو فى مسكن أحد الصناع المتواضعين • الى الآن لا يزال السهم مخبأ فى كتانته فى ظل يده (١) ، ولكن فى اللحظة التى تعلن فيها الدعوة يطلق السهم فى الهواء •

(٢) جذع يسى :

لنحول أبصارنا قليلا لننأمل فى المؤثرات التى عملت فى حياة الفتى داود • كانت الأسرة تعيش على ممتلكات الآباء التى أضاف إليها بوعز ثروة طائلة من مواب • ولعلها قد بدأت تتناقص بسبب ظلم واغتصاب الحامية الفلسطينية التى يظهر أنها كانت مستقرة فى تلك المدينة الصغيرة • فاننا نقرأ عن « الغنيمات » (أى الأغنام القليلة العدد) التى كان يتكون منه قطعة ، والهدية المتواضعة جدا التى أرسلها يسى لأبنائه عندما تجددوا للرب • ويبدو أن الظروف التى ربي فيها يسى أبناءه الثمانية وابنتيه كانت قاسية لا تتحمل أسرة كبيرة العدد كهذه •

اننا لا نسمع شيئا من بين شفتى داود عن أبيه ، ولكنه يتحدث عن أمه مرتين ملقبا إياها « أمة الرب » (١) لقد استقى منها مواهبه التى جعلته شاعرا فذا ، وطبيعته الحساسة ، وصفاته الروحية العميقة • كان أبوه ينظر اليه نظرة صبي صغير فجعل منه حارسا لغنمه ولم ير بأنه يستحق أن يدعى للوليمة الدينية • أما أمه فكانت تنظر اليه كابنها المحبوب، ولعلها هى أول من سمع مزاميره التى سحرت عقول البشر فى كل العالم وهدأت نفوسهم لقد أكرم كليهما كل الاكرام ، وعندما خيف من أن يمسهما

(١) اش ٢:٤٩

(١) مز ١٦:٨٦ ، ١٦:١١٦

الذى جسيم بسبب علاقتهما به اثناء عاصفة اضطهاد شاول له نقلهما وادعهما الى رعاية ملك موآب أرض جدته (راعوث) .

لعل الصبى كان يدين ببعض الفضل فى حياته الروحية لمدارس الانبياء التى أسسها صموئيل بعقله الراجح للابقاء على معرفة الناموس فى اسرائيل . ويظهر أن هذه المدارس كانت تنعم بالكثير من مواهب الروح القدس وانها كانت بركة عظيمة لكل اسرائيل . ولا شك فى أن أبناء هذه المدارس كانوا يحجون الى بيت لحم ولعلمهم قد راعهم ما وجدوه فى هذا الراعى الصغير من القداسة والبراءة . ولعله قد تعلم منهم كيف يجعل أغانيه على نظم الشعر ويقرنها بالعود والرياب ، كما تعلم منهم أيضا معرفة الكلمة الالهية وتقديرها .

على أن الطبيعة كانت مهذبة له ومعلمة ورفيقة . فان بيت لحم تقع جنوبى اورشليم وعلى بعد ستة اميال منها على الطريق الرئيسى المؤدى الى حبرون . وهى مرتفعة عن سطح البحر بألفى قدم على المنحدر الشمالى الشرقى لسلسلة جبال طويلة الامتداد ذات واد عميق على كلا جانبيها . يلتقى هذان الواديان فى نقطة بعيدة فى الشرق ثم ينحدران الى البحر الميت . على منحدرات هذه الجبال تزرع أشجار التين والزيتون والكروم وبوفرة . وفى الواديين يزرع القمح بكثرة حيث كانت راعوث تلتقط الحنطة ، وهذا سبب تسمية المدينة باسمها الحالى « بيت لحم » أى « بيت الخبز » . أما الأراضى الجرداء المحيطة ببيت لحم والتى تكون الجزء الأعظم من هضبة اليهودية فانها لا شئ فيها من الجمال بل هى موحشة وخشنة . هنالك كان يخرج الرعاة كثيرا بقطعانهم وهنالك بدأ يتعلم داود الكثير عن مناظر الطبيعة وعن القيادة الرعوية مما نرى أثره ظاهرا فى حياته وفى أشعاره فيما بعد ، كما نرى آثار الصباغة ظاهرة فى أيدي الصباغ .

كانت هذه هي المدارس التي تلقن فيها داود العلم في صباه ،
وهؤلاء كانوا أساتذته • على أن روحه كانت بصفة خاصة
خاضعة لروح الله الذي كان يحنو على حياته الغضة ، معلما ،
باحثا فيه الحياة ، يسمو به الى النبل والكمال ، ويفتح أمامه
كتاب الطبيعة وكتاب الرؤى والاعلانات ، ويملا قلبه ثقة كاملة
كثقة قطيعه فيه • ولقد حق له - من الناحية الروحية ومن الناحية
الطبيعية - أن يتغنى بعد ذلك بمدة طويلة قائلا :

لم تخفف عنك عظامي

حينما صنعت في الخفاء

ورقمت في أعماق الأرض

رأت عيناك • أعضائي يوم تصورت • مز ١٣٩: ١٥ و ١٦

(٣) برعم الزهرة البيضاء للحياة النبيلة :

لم يتميز داود بطول القامة كأخيه اليآب الذي خلب عقل
النبي الشيخ • ولكنه كان قوى العضلات ، سريع الركض ، خفيف
القدمين كالطبي ، كان يستطيع أن يقفز فوق حائط أو يهزم جيشا •
كان يستطيع بسهولة أن يكسر قوسا من الصطب على ذراعه
الصغيرة وإذا ضرب بمقلاعه كان لا يخطيء المرمى من أول حجر •
كان جسمه أصغر من أن يمكنه من لبس درع الرجل العادي ، ومع
ذلك استطاع أن يفتك بالأسد والدب • وكانت علامات الصحة
بادية على وجهه • كان يتميز بعينيه الزرقاويتين وجمال طلعه
بعكس رفقائه الذين كانوا أسود منه بشرة • كانت نفسه رقيقة
الاحساس مما خلق فيه ملكة الشعر ، ولكنها في نفس الوقت كانت
جريئة مقدامة ، كما كانت له القدرة على القيادة • كان لباسه
مجرد حلة خشنة بسيطة • كان عتاده المقلاع ، والعصا ،
والعكان •

والنا لنجد روحه منعكسة في بعض مزاميره التي لا بد أن تكون قد كتبت في ذلك الدور من حياته لخلوها من ضغط الأحزان والاضطراب ومخاصمة الألسن . بين هذه المزامير المزمور الثامن والتاسع عشر والثالث والعشرون والتاسع والعشرون . في هذه المزامير نراه يتعجب أشد العجب من أن يعنى الله بالإنسان ويفتقده مز ٨ ، وفي نفس الوقت نراه واثقا كل الثقة من أن الله راح له مز ٢٢ . فيها نراه يتأثر متأثرا عميقا بمنظر السموات وفي نفس الوقت نراه مقتنعا بأن كلام الله الهى مز ١٩ . فيها نراه مرتعبا من السهوات والخطايا المستترة مز ١٩ . فيها نراه ممثلا رغبة للاشتراك في تلك التسابيح العالمية الصاعدة من وحي الطبيعة ، وفي نفس الوقت نراه واثقا من وجود بعض الاشواق داخل نفسه التي لا تزال تحن اليها لأنها في غير مقدورها . كل هذه النواحي سنعود اليها للتأمل فيها في مجال أوسع لأنه لا يليق أن نتجاوزها وهي تسطع بنور لم تره الأرض ولم تشهده البحار مرة أخرى .

ايه ايها الصبي المبارك الطاهر الذي بلا لوم . انت لا تدري بانك سوف تموت وسط الأبواق المعلقة ارتقاء ابنك سليمان العظيم الى العرش ، ولا تحلم بأن طبيعتك الصافية الناصعة البياض سوف تلوث يوما من الأيام بخطيئة شنيعة كالتي اقترفتها . ومع ذلك فإن الهك يحبك وسوف تلقى علينا الكثير من الدروس كلما قلبنا صفحات تاريخ حياتك ، سواء كشاعر ، أو مقن على العود والرياب ، أو جندي ، أو طريد في البراري والجبال ، أو ملك . وسوف نقرأها كلما قلبنا هذه الصفحات في الدور الصاطع من ظلمة ابنك العظيم الذي ولد من نسل داود حسب الجسد ، ولكن الله بالقيامة من الأموات .

الفصل الثاني

« من ذلك اليوم فصاعدا »

١ ص ١٢:١٦ (١)

كانت للرب مهمة يريد أن يتمها
في أصغر أبناء موصى

فأنته الدعوة التي يحجز الكلام عن التعبير عنها
واستقرت إليه وصيته بما لم يخطر له على قلبه
ف. و. ه. م.

إن حياة داود للتميز بشكل عجيب في أية ناحية الجهد
الظاري لها . قد يفوقه إبراهيم في الإيمان ، وموسى في القوة
المهركة المركزة مع الله ، وإيليا في غيخته النارية المنقذة . ولكن
لم يكن واحد من هؤلاء متعدد المواهب كابن يسي .

قليلون هم الذين كانت لهم نواح متباينة من الحياة مثله .
فقد كان راعيا وملكا ، شاعرا وجنديا ، قائدا لشعبه وطريدا في
مغارات اليهودية ، محبوبا من يونانان ومضطهدا من شاول .

(١) « فآخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط أخوته
وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا » .

مطاردا للفلسطينيين يوما من الأيام ومشاركاً معهم في مصاربة
 حيروهم يوما آخر . ولكنه في كل هذه كان موهوبا بقوة ممتازة
 مع الله والإنسان ، لا يمكن أن تعزى لحسن خلقه ، أو جمال
 طبعته ، أو المواهب النادرة التي تميزت بها طبيعته ، أو القوة
 الروحية التي انفرد بها قلبه . قد يكون لكل هذه العوامل بعض التأثير
 في بحث تلك القوة المتأخرة ولكننا لا نستطيع أن ندرك السر حتى
 نكون تلك الكلمات الخالدة التي تلخص لنا نتيجة ذلك اليوم
 التاريخي الذي يعتبر تاجاً في جبين السموات الخفية في مستقبل
 حياة ذلك الشاب ، وحل روح الرب على دلوته من ذلك اليوم
 فصاعداً .

(١) بدأ ذلك اليوم كأي يوم عادي :

لم يبشر به أي ملك ببوقة ، ولم يطل على الأرض أي وجه
 من السماء ، والشمس أشرقت في ذلك الصباح كعادتها على
 جهال مواب قبهت من بين السحب في ألوانها الزاهية الخلابة .
 وعند شق الفجوة باكراً جداً كان الصبي في طريقه لرعاية قطيعه
 في المراعي الخضراء المبتلة بتدنى السماء . وكلما حميت حرارة
 الشمس كانت تتراكم على نفسه الساهرة اليقظة المسئوليات
 الكثيرة : كملوية الضعيف ، ومعالجة المريض ، وجبر المكسور ،
 وطلب الضال . وأن لم يجد ما يشغله من هذه المسئوليات كانت
 لغيمات أغانيه تجوب أجواء الفضاء . فقه كان « بحسن الضرب
 بالعود » ١ ص ١٦: ١٦

وإذا كان غارقاً وسط هذه المشاغل الروحية إذا برسول يلهث
 ويأتيه فجأة حاملاً معه أخبار وصول صموئيل النبي إلى مدينته
 الذراخمة وامتناع النبي عن التناول من الوليمة التي أعدت في
 وقت وجيز إلا بعد حضور الراعي المصغير . وهذا ما جعل أباه
 يدمره على الفور . ولا شك في أن علامات الفرج والسرور كانت
 يلعبية على عيني ذلك الصبي لأنه لم يسبق أن دعى بهذه العجلة .

إذ كان إلى الآن « الصبي الذي يرعى الغنم، اصم ١٦: ١١ كانت كل للشئون العائلية لا تمت إليه بصلة . فقد كان أبوه وأخوته يذبرون كل أمورهم وينعمون بمسراتهم دون أن يحسبوا حسابها لذلك الأخ الأصغر الذي كان ممينا لتخليد أسمائهم . وكان هو يتحمل كل ذلك بالصبر . لأنه لم « يرتفع قلبه ولم تستعل عيناه . ولم يسلك في العظام . بل هنا وسكت نفسه كقطيم نحو أمه » مز ١٢١: ٢١ ، ولكن كم كان سروره عظيما أن يشعر بأن علفه للعائلة لم يكتمل - في نظر ذلك الرجل العظيم صموئيل - طالما كان هو غائبا . لهذا فقد ترك غنمه مع الرسول ولتجه نصو للهيت بأقصى سرعة .

عند وصول صموئيل إلى بيت لحم « قدس يمس وبثيه » بفسلات وتطهيرات كثيرة ليدهم إلى الذبيحة التي دماهم لديها ١ صم ٥: ١٦ . أما داود فلم يكن في حاجة إلى شيء من هذه ، لأن نفسه الطاهرة التي بلا لوم كانت مستقيمة أمام الله وملتحفة بثوب القداسة الكاملة . لم تكن فيه أدناس تحتاج إلى التطهير .

فلتعش حياة الاستعداد الكامل لكي تكون مستعدين لكل ما تأتي بنا به الساعة التالية . لتكون للأرواح في شركة متصلة بالله ، فليكن الثوب نقيا غير مدنس ، لتكون الأحقاء منطقة ، ولتكن المصابيح معدة . أن أمانتنا في ثابته أعمالنا العادية في حياتنا اليومية هي خير استعداد لأية مهرة عليا تفاجئنا .

(٢) كان هذا اليوم خلاصة لتدريب سابق :

يجب أن لا نتوهم أن روح الله عمل في قلب داود في هذا اليوم فقط ولأول مرة . أن كنا نظن هذا فتحن نجعل كل الجهد للهيب الله الخاص في هذه المناسبة . لأن الكتاب المقدس يميز

هائما بين نعمة الروح القدس المجددة ونعمته التي تفرز للخدمة •
 داود قد يكون موضع عناية الله منذ ايامه الاولى لحياته
 وتجديده • ولكن لعله لم يختبر قبل هذا اليوم - موضوع بحثنا -
 حمل روح القدس ومسحته الخاصة المثلثة في زيت المسحة
 والتي لا غنى عنها لنجاح أى عمل روحى •

لقد ولد الرب يسوع المسيح من الروح القدس ولكننا لا نفهم
 من مسحته للخدمة الا فى من الثلاثين عند خروجه من ماء
 المعمودية وهو على عتبة خدمته العامة • وهذه المسحة هي التي
 يهبط اليها في كلمات الافتتاحية في عظته الاولى «روح الرب على
 لانه مسحني» • لقد تجدد التلاميذ يقينا قبل يوم الخمسين ولكنهم
 كان يجب أن يبقوا داخل الابواب المغلقة حتى ينالوا قوة من
 الاعالى لتجديد الآخرين • كثيرا ما نلتقى بأشخاص لا شك في
 انهم اولاد الله ولكنهم ليست لديهم قوة خاصة للشهادة للآخرين
 ولا حرية للكلام ولا قدرة للتملك على قلوب وضمائر الآخرين •
 انهم يحتاجون الى قوة خاصة كما يحتاج السلك الى الكهرباء أو
 البارود الى الشرارة • وبعبارة آخر ان روح الله «فيهم» ولكنه
 ليس «عليهم» • لقد رأينا بعضا من هؤلاء يتنبهون ويستيقظون
 ويطلبون تلك المسحة ، ورايناهم بغتة قد ابتدأوا يتكلمون بالسنة
 جديدة دون أن يستطيع أحد من البشر مقاومة الحجج التي
 يقدمونها عن الخطية والبر والدينونة العتيدة •

هذه المسحة المقدسة اللازمة للخدمة لا يمكن أن ننالها ما لم
 يكن هنالك عمل سابق للنعمة في القلب • يجب أن تكون هنالك
 طاعة ، تواضع ، امانة للواجب ، تطهير من الخطية المعروفة ، صلة
 كاملة بالله • يجب أن تنزل نار على ذبيحة المحرقة (الحياة
 المكرمة لله) • ولأن كل هذه الخطوات قد تمت من قبل في حياة
 داود يحمل الروح القدس لذلك كان اهلا لهذه المسحة الخاصة •

أيها القارئ العزيز : ربما يكون الله الآن يمدك باختبار كهذا وانت مختلف في حياته المنزوية بعيدا عن أية مسئولية من المسؤوليات الخطيرة . فاحرص على اطاعة أقل دعوة من الله سواء تطلبت منك أن تؤدي أى عمل أو تتحمل آلام ، لكي تكون مستعدا لتلك اللحظة الذهبية التي تحلى فيها رأسك لتلك المسحة خيمة .

(٢) وهذه المسحة تمت على يد صموئيل :

لقد أدى النبي خدمات جليلة وكثيرة لبلاده ، ولكن عنانيته الفائقة بهذا الشاب قد فاقتها كلها أهمية . هو الذي أنشأ مدارس الأنبياء . والذي يعزى الفضل في التأثير على حياة شاول في هذائها . إذا فقد كان أبناء بيت يسي للبواسل معروفين لديه قياما - على الأرجح - عندما تلقى الأمر الإلهي لمسح أحدهم عوضا عن شاول .

وإذا أخذ عجلا معه دخل شارع بيت لحم الوحيد الطويل وها شيوخ المدينة الى الذبيحة لكي لا يثير الشك أو الغيرة في نفس الملك السيء الطبع الذي لم يكن ليتريد من قطع رأسه لو أنه عرف الغاية الحقيقية من زيارته .

وعندما وصل داود المدينة وقع نظره على منظر غريب . فقد وجد أباه يسي وأخوته السبعة ، ولعلمهم كانوا ينتظرونه في بيتهم الأثري على أهمية الاستعداد للذهاب جميعا الى الوليمة العامة التي دعى اليها وجوه المدينة . وأحسن بأن الياب وسائر أخوته كانوا بكل جهد قد كبحوا جماح انفسهم عن أن يمدوا اليه يد الأيذاء أو يرفضوه بسهام كلماتهم للنارية . انهم لم يكرهوا يترددون عن التعبير عن حقهم عليه واحتقارهم أياء في أى وقت آخر ، أما الآن فقد أحسوا بأن قداسة الجو تمنعهم من هذا

ويحتمل بخل ، وقد توربت وجنتاه بسبب الابهاء ، وكانت علامات الملكية تشع من وجهه ، وعلامات الذكاء من هيبته ، وعلامات الملكية من هيئته ، وقال الرب لصموئيل : قم امسحه لان هذا هو ، فاخذ صموئيل قرن الدهن الذي احضره معه من نوب وسكب ما فيه على رأس الشاب الذي كان انذاك في حالة ذهول .

ويظهر ان الراغبين لم يدركوا ما كان يرمز اليه هذا العمل . ولا فكان يسمى قد عامله باكثر وقار واحترام ليلة اشتهاكه في الحرب مع جليات ، وكان الياب قد خاطبه باكثر احتشام . ولكن الأرجح ان داود أدرك الامر . ويخبرنا يوسفوس ان النبي همس في اذنه واخبره معنى العملية التي اجراها . هل اقترب تم النبي من اذن الشاب وهمس فيها قائلا : انه ستكون ملكا ؟ ان كان هذا صحيحا فيالهد هذه الكلمات من تأثير عظيم على نفس الشاب في الايام التالية ، وبإله من تأثير عميق في تكوين شخصيته وفي اعداده للغاية العظمى التي تنتظره .

كان انسكاب الزيت العلامة المنظورة على ان الفروح القدس حل بقوة على ذلك الراعي الشاب . أما في حالة المسيح فلم يكن هنالك زيت بل كان هنالك عوضا منه ظهور حمامة استقرت بركة على وكرها . وفي حالة التلاميذ يوم الخمسين لم يكن هنالك زيت بل الصنعة من نار استقرت على كل رأس مفتحة . وعلى ممر الايام صارت هذه العلامات المنظورة تؤدي بعض الأحيان بشكل آلي وهذا يبعدها عن وضعها الأصلي . يجب ان نؤمن اننا عندما نتمتع كهوط للتواضع والايمان ننال ملء الروح القدس غل ١٤:٢

بعد ذلك اليوم التاريخي الخالد رجع داود الى خروانه . ولكنه لا بد ان يكون قد فكر مرارا . على مر الايام متى نحقق

الساعة التي يتم فيها الأمر • متى تحين الفرصة التي يظهر فيها
قوته الجديدة ويستخدمها في خدمة الله • كان لا بد أن يتعلم
نحن أحيانا نتقوى بكل قوة لتمكننا من الصبر والاحتمال كمقدمة
للأعمال العظيمة ، واننا يجب أن نصارع مع الأسد والدب على
جبال بيت لحم أولا حتى نستعد لمقابلة جليات في وادي البطم •

(٤) وكان يوما للرفض :

لقد عبر سبعة من أبناء يسى • كم من حكماء كثيرين حمى
للجسد لم يدعوا ، كثيرين أقوياء ، كثيرين شرفاء • ولكن لله
اختار حينئذ — كما يختار دوما — الضعفاء والادنياء والمزدرى (١)
• سبعة • وهو عدد الكمال • فأولاد يسى السبعة يمثلون الكمالات
الجسدية • وهذه يجب أن تبعد لئلا تقتخر في حضرة الله • أن
للدروس قاص في تعلمه ولكنه محتّم • أن كنت لا تستطيع احتمال
فاعلم بأنه قد أصبح رئيسا ليهودا كالياً ولكنك لن تستطيع أن
تكون محبوب الله • اى ١٨:٢٧

هذه المسحة التي أجريت لداود في الخفاء (وهي أولى
للمسحات الثلاث التي مسح بها (٢)) ترمز الى فرز المسيح في
المقاصد الأزلية • لقد افرز كملك الدهور ولو كان مردولا من
للناس ، محتقرا من اخوته ، ولا صورة له ولا جمال • الى
ذلك اللوات كان يبدو أن هنالك حواجز كثيرة تحول دون اتمام
الاعلان الذي وعد به الآب ، ولكن لا بد أن تجتو له كل وكفة
يعترف كل لسان بأنه رب • وفي نفس الوقت هو ينتظر ، ينتظر
حتى تمين ساعة النصر العامة ، ينتظر حتى ترى الثيجان
الكثيرة التي للملكوت المعين موضوعة على تلك الراس التي كلفت
بأكليل الشوك •

(١) ١ كو ١: ٢٧ و ٢٨

(٢) انظر الفصل التاسع عشر

الفصل الثالث

استدعاؤه للقصر الملكي

١ صم ١٦: ١٨ و ١٩ (١)

خدم امام الملك طاعة وخضوع
وتتم كل خدمة بروح النبل والخشوع
التي تعظم شأن احقر الأعمال

تليفسون

يظن البعض ان هذا الاستدعاء الذي نحن بصددده تم بعد موضوع تأملنا في الفصل السابق وبعد حادثة قتل جليات ، اعتقادا منهم بان هذه المناسبة (قتل جليات) كانت هي أول مرة يمتلك فيها داود امام شاول . ولعل السبب في هذا الزعم يرجع الى عدم اعتراف شاول بان ذلك البطل الذي مثل امامه وفي وجهه راس قائد الفلسطينيين هو نفس موسيقيه السابق .

لكننا لو اخذنا بهذا الرأي لواجهتنا هذه المشكلة وهي :

(١) « لاجاب واحد من الغلمان وقال هوذا قد رايت اجلا ليمني الليتلحمي يحسن الضرب وهو جبار باسم ورجل حروب والصيح ورجل جميل والرب معه . فارسل شاول رسلا الى يمني يهول اوصلا الى داود ابنك الذي مع الغنم » .

هذه تجسرت حاشية شارل أن تقدم لسيدها رجلاً قد اثار غضبه
والتعبه وغيرته من قبل (ص ١٨: ٩) أو لماذا استدعى الأمر
كل ذلك القلق والدموع في الكلام لوصف شخصية ذلك الغنى
الشباب (ص ١٦: ١٨) يقينا أنه كان يكفى أن يذكر ما فعله في
والذى ليطم اقتديبه للملك . إذا فنحن نستنتج أن هذا الاستدعاء
يجب أن يأخذ مكانه في نفس الوضع الذى يشغله منذ سطر هذا
الاصحاح أى أنه تم قبل حادثة قتل جلياب .

لقد وجع داود الذى غننه به مسحه . وعندما استلذاه
شارل بناء على مشورة حاشيته ليطرد عنه روح الكآبة والحزن ،
تلافت هذه الكلمات التى وصله بها فى رسائله التى يمسى أبية
« أرسل الى داود ابنك الذى مع الغنم » . وأن وجوعه الذى
ظلمه لرعايتها وحراستها ، واتمام واجباته اليومية العادية بكل
الماء وانتظار الله حتى يتم ما أخبره به صموئيل . كل هذا
يعمل على بساطة لخلق ذلك الشاب ونقاء صفاته . هكذا فعلى
للتصريح عندما ترك الهيكل إذ كان صبيا . وهو يفتب خيرة ويؤيد
أن يكون فيما لأبيه) لى يكون خاضعا لأوامره ويقضى التفرقة
الطوال فى عمله المتواضع فى حانوت الخبار .

لقد أعطانا أحد معاصريه صورة مختصرة لأخلاقه كما
كانت تبدو فى تلك الفترة للعين المجردة . فان واحدا من غلمان
شارل قال عنه : هو ذا قد رايت ابنا ليعسى البيت لحمى يحسن
الضوب ، وهو جبار بأس ، ورجل حرب ، ولصيح ، ورجل
جميل ، والرب معه ، هذه الصفات الخمس يمكننا من تكوين
صورة دقيقة لذلك البطل الشاب الذى كانت شهرته ذبوعا فى
سائر أنحاء البلاد .

(١) شارب العود :

كانت له ملكة الشعر ، رقيق الاحساس نحو الطبيعة ، عذوق

للتأثير بمناظر الجبل أو الوادي ، بمؤثرات الفجر أو المساء ،
والوقت فله فقد كانت له قوة التعبير عن احساساته سواء بالكلام
بالغناء . ولا زالت مزاميره تذكرنا الى اليوم ، ومستظل كذلك
من بقي انسان على وجه البسيطة ، بالمراعى الخضراء التى
كان يدعى فيها غنمه ، والينبوع الصغير المجاور لبيت لحم الذى
كانت تشرب من مياهه الصافية ، والطرق السهلة التى كان
يختارها ليلودها فيها ، والاماكن الصخرية التى كانت تعوض
فيها لخطر اللدب والاسد .

كتب احد عظماء الشعراء منذ عصر قريب عن داود، وتخلله
بردد - وهو يعزف على فيثارت - نداءاته لغنمه ، اغنية كهوم
الخريف ، نشيد حفلة الزفاف المبهج ، لحن الجنازة المقيض ،
تسبيحات اللاويين اثناء نادية الفرائض والطقوس الدينية ،
موسيقى شبان بيت لحم لدى عودتهم من صيد احدى غارات
الاعداء . ونحن يجوز لنا ان نضيف الى هذه قدرته المدهشة على
تصوير سكون الفجر الرهيب حيث لا يسمع صوت ، لا قول ولا
كلام ، وذلك قبيل شروق الشمس البديع ، وتصوير سكون الليل
المبهج . والى هذه ايضا يجوز لنا ان نضيف وصفه البديع
للعودة التى عمت فلسطين بأصواتها المزعجة من البحر المتوسط
هوق ارض لبنان الى برية قادش السحيقة فى قلب الصحراء حتى
يقتوى الرعد المزعج جدا بالامطار الغزيرة والظوفان بصفاء الجو
للبديع الذى فيه « يبارك الرب شعبه بالسلم » (مز ٢٢ ، ٥٩) ،
٨ (٢٩) .

لم تكن المزامير معروفة قبل داود . ان جمالها الفنائى
ورقتها العذبة ، ان ارزائها للشعرية وتهليلاتها (هليلويا) المرفوعة
ومراثيها المحزنة ، ان تعبيرها - الذى لا يبارى - عن تعب وحالة
الإنس بين الأفراح والأترج ، ومزجها بين الطبيعة والتقوى ،
والعزائم الى حياة البشر وحياة العالم كما يراها الله - كل

هذه العوامل التي نجدها في الزامير والتي قد جعلتها محبوبة
لنفوس القديسين في كل العصور ، ترجع الى اتصال نفس مغنى
لصراويل للحدو بالسماء وانسكاب موهبة الشعر على هذه النفس
للطاهرة . فلا غرابة ان ان قال عنه أحد غلمان شاول انه
« يحسن الضرب » . ان الزامير التي وضعها في تلك الأيام
الأولى من حياته والخيالية من كل آثار الاضطهاد والظلم
والضغور بالخطية التي نطقت الى نفسه فيما بعد - هذه الزامير
قد قصد بها ان تنشد في كل أرجاء العالم لتعمل في نفوس البشر
ونفس التآثير الذي في نفس الملك الذي قيل عنه انه عندما كان
داود يأخذ للعدو ويضرب بيده كان شاول يرتاح ويطيب ع ٧٢

(٧) البطل الشاب :

لقد كان هنالك فرص متعددة لتعريف بسالته ورجاعته
فالحدود الفلسطينية لم تكن بعيدة عن مدينته ، ولعل تلك الحادثة
التي حدثت في الأيام المتعاقبة قد تكررت مرارا وهي مخاطرة
رجال الثلاثة بحياتهم ، وحمل الماء من بئر بيت لحم التي عنده
الباب اليه . وكم من منازعات قامت بين رجال بيت لحم والاعداء
المتآخمين الذين طالما حاولوا اغتصاب الكروم والقمح حال نضج
الحصول . كل هذه العوامل أدت الى أن يكون داود « جبار
باس ورجل حرب » ولعل الظروف اضطرته أحيانا أن يقف وحيدا
لحام جماعة من لصووس الغنم وقد اعتزمت أن تنقض على
الحفيرة .

وهذا يخبرنا كيف انه كان يجب عليه أن يكون متيقظا
للخطر من الوحوش التي كانت ترتاد جبال اليهودية - الأسد
بأنياه الكاسرة والدب بهجماته القاتلة . لم تستطع تلك الوحوش
للترسة أن تدخل الرعب الى نفسه . فقد ضرب الأسد وقاتله
وانقذ الحملان للربيعه من فمها . وامسكها من ذنبيها وقتلها .

لله كان في استطاعته أن يحني بذراعيه الصغيرتين قوسا من نحاس (١) ويستعمل سيف جليات بكل سهولة ، كما كان في استطاعته أن يقتل وحشا مفترسا بمكازه ، ويضرب بملاعقة فيصيب الرمي من أول حجر . حقا انه كان صورة مصغرة من همشون ، وكان يفخر بقوة البدنية .

ولكنه كان آخر من يفكر في أن ينسب أعماله العظيمة لقوته البدنية . فقد تعلم بالايمان أن يتكل على قوة الله . ألم يكن هو عبده ، الذي اختاره للأمورية عظمى ، ودعاه ليظهر حربا طاحنة مع الغلف ؟ قد يكون طفلا ، ولكن الله من نفسه يمتد قوة لتسكين عدو ومقاتل من ٢:٨ . قد يكون رضيعا ، ولكن لله سلطه على صنعة يديه . أصغ الى اعتزازه بقوة الله .

بك اقتحمت جيشا

وبالهي تصورت أسوارا

الاله الذي يمتطئني بالقوة

الذي يجعل رجلى كالأيل

الذي يعلم يدي القتال

تصرع تحتى القائمين على من ٢٩:١٨ - ٢٩

بالايمان قهر ممالك ، صد أفواه أسود ، نجا من حد السيف
صبار شديدا في الحرب ، هزم جيوش غريهام .

(٢) فصيح في الكلام :

في دراستنا القادمة سوف نتبين لنا فطنة داود ونكاذه .

كلية خفية في الحكاء لذا اعطى مشورة او رسم خطة ، كما كان صريحا في التنفيذ . كانت له معرفة بالاوقات ، بالقلوب البشرية ، بالسياسة الرشيدة ، وكان يعرف تماما كيف يعمل ومتى يعمل . كان صريحا مع اصدقائه ، كريما مع اعدائه ، ثابتا في صداقاته . هليئا في وقت للخطر ، صابرا وقت التعب والمشقة ، باسلا مقداما ، موفيا لنيه كل الموامل التي تجعل منه قائدا شعبية . كانت له الخبرة الكافية بادارة شئون الملكة وبلدانة الدفة في ساحة الفوضى . عرف كيف يقابل كل الطوارئ والخطوب كلما جاءت . وهذا بلا ريب يعزى لراحة نفسه في الله . اما اخطاؤه الشهيرة التي ارتكبها فقد تعزى لاستسلامه للعاطفة والظهور . لامه علة الاقتراب من الله يوميا واستشارته قبل اية خطوة هامة . وهو احد مزاميره الاولى نجد تصورا بديما لحالته النفسية .

اليك التجيء لأن الله ملجأى .

ياقوتى لك اردد لأن الله ملجأى مز ٩٠: ١٧

عشنا يعيش البشر هذه الحياة لا يعسر عليهم ان يكونوا نصيحين في الكلام ، حصيفين في المشورة .

(٤) شخصيته الجذابة :

كان هو داود الحبوب . ايما تحرك انبعثت اشعة الجذابة . شاول خضع له وذاب قلبه امامه ، ورجال البلاط الملكي احبوه وميكايل ابنة شاول احبته ، ونفس يونانان ارتبطت بنفسه ، ونساء اسرائيل نسين ولاءهن لشاول عندما رنمن للبطل للشاب الذي وجدته حسن الصورة ، ورجال الجيش - المشهورون بالشجونة والفظافة - ارتضوا ان يخاطروا بحياتهم اجابة لرغبته ليستقوا له من بئر بيت لحم . هكذا كان كل ايام حياته يوسط

نقوده القروح بين الجشم رجالا ونساء . فاييهايل الجبلية اعطيتك
يا رب تفعل اقدام عبيدك . واخيش قال عنه لانه ملاك الرب وقاتل
الجني تعلق به في منقاه . وسمعته لسله الى الديلة لا ولوه ييكي
ايضا لوم . واذا ما تكلم استمال قلوب رجل يهوذا كرجله واحد
لصمورهم بالخيانة وايضا تهم في للترصيب به ولرجاعه لا صمور
١١:١٩ - ٩٥ .

واذا كان محبوبا من الله والناس . يفيض قلبه محبة . فقد
استطاعت تربية نفسه ان تقدم ثمار المحبة وافرة لاشباع للعظم
ولكنه ايضا كان يستطيع تحمل الحسى ما تستطيع الطبيعة البشرية
احتماله من الآلام .

(٥) وكان الرب معه :

لم يتردد عن ان يدعو نفسه «عبيدك» . ويعترف بأنه عريضة
للسهوات والخطايا المستترة . التي طلب من الله ان يبركه مشوا
قبل كل شيء . انه نظر الى الله باعتباره صخرته . فادبه .
واعيه . مضيفه في بيت الحياة . معزيه في كل الكرب . في
التعب والاعياء وجد المراعى الخضراء . في للعطش وجد مياه
الراحة . في الارتباك والحيرة وجد الهدى والارشاد . وفي الخطي
وجد القلج الحصين . كل ذلك وجدته نفسه في الله . وهو
قوله ان كلمة الله كاملة ولو لم يعرف منها الا القليل . وادرك
انها مستقيمة ونقية . ولا كان يرددها بنفسه تحت سقف الطبيعة
للطبيعة ردت نفسه . فرحت قلبه . انارت عينيه . وهدت لحيته
لحلى من العسل وقطر الشهاد . جعل الرب امامه في كل حين .
لانه عن يمينه . فلم يتزعزع . لذلك سر قلبه .

الفصل الرابع

وبضددها تتميز الاشياء

١ ضم ١٧: ١١ (١)

لقد طرحت بتلك المساتيع
التي كان ممكنا ان تفتح امامي
ابواب النهار الذهبية
وامسكت بمفاتيح الظلمة الحالكة
انني استمع الى الحاصدين يتغنون
هلموا الى حصاد الله
لعل اختار الذهاب معهم
ولكنني اخترت الوقوف
على ابواب ظلام الليل الدامس

ج • لويل

سبق لك بينا بان كاتب هذا السفر قصد ان يوضح الفارق
المعظم بين شاول وداود . لقد رسمت صورة شاول بالوان قاتمة
لكي يتبين باجلى وضوح جمال الملك المعين من قبل الله .

(١) « ولا سمع شاول اسرائيل كلام الفلسطينيين »
وتاهوا وخافوا جدا » .

بدأ ملك إسرائيل خطوته الأولى فى الابتعاد عن الله عندما سمح لنفسه بالتعجل والتهور وقدم الذبيحة فى مخمساس قبل وصول صموئيل . وكادت الخطوة التالية - فى نفس الاتجاه - عندما انفجر بركان غضبه على يوثاثان ابنه بسبب تعديه تعليماته الخاصة بالامتناع عن تناول الطعام . أما الخطوة الأخيرة فتعت حين عصى أمر الله الصريح على لسان نبيه وعفا عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر وباقى الغنائم . لانه رفض كلام الرب سلمه الله الى قلبه الشرير . من تلك اللحظة بدأ نجمه يأفل وصار ينحدر بسرعة نحو منحدرات جلبوع المظلمة . ذلك لأن الله يسحب من القلب العاصى المتمرد قوته الحافظة ، وإن كان روح الله القدوس لا يعود يبقى فى القلب فانه يصبح فى الحال فريسة للارواح النجسة ومسكناً لها . وهذا يذكرنا بالكلمات المرعبة التى يصف بها اشعيا خراب أدوم اش ١٤:١٥

تلك كانت حالة قلب شساول ، وكما انه لم يستحسن أن يبقى الله فى معرفته فقد اسلمه الله الى ذهن مرفوض ليفعل ما لا يليق رو ١:٢٨

ولنتأمل الآن فى بعض الذراعى فى أقول نجم شاول المحزن لكى نتضح لنا جليا بعض الصفات البارزة فى حياة ذلك الراعى الشاب .

(١) روح الله فارقة :

لقد تخيله أحد المفسرين وسط سكون خيمة سوداء ، مرت أيام لم يسمع فيها أى صوت من هذه الخيمة ، تسودها ظلمة قاتمة ، وفى داخلها جلس شاول مستندا الى العمود المتوسط دون حركة أو كلمة ، وبلا شهية للطعام ، يرتعش لحظة لأول نغمة موسيقية ، ثم يعود فاقد الحس والادراك .

(م ٣ - حياة داود)

لعل مفارقة روح الرب له تشير الى ذلك الاستعداد الخاص الذى حصل عليه من قبل بقوة لاعداؤه للملك . لقد كان يتمم وظيفته الملكية دون تغير فى حياته وفى قلبه (١ صم ١٠: ١٠) ، (٦: ١١) وبسبب عناده وعصيانه خسر هذا الامتياز الملكى . لقد انطفأ النور من قلبه وصار رجلا عاديا .

لا يمكن أن يوجد شيء فى هذا العالم أو العالم الآتى أشد رعبا من انسحاب الله عنا . فانه يسبب هلاك النفس والجسد . لأن وجود الله معنا هو القوة الوحيدة لغلبة الشر وعمل الخير . ارفع الشمس من وسط النظام الشمسى تجد كل كوكب قد خرج عن فلكه وسار على غير هدى واصطدم بغيره وتحطم وتناثر نحو الهاوية . هكذا عندما يتعد الله عنا تتمرد كل قوة فى النفس . يالها من مرارة عندما يدرك أى امرئ مقدار المصيبة التى حلت به ويصرخ مع شاول « قد أضاق بى الأمر جدا ، لأن الرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأحلام » ١ صم ٢٨: ٥

انه لأمر خطير جدا أن نسائل انفسنا عما اذا كنا نقاوم روح الرب . لأننا اذا ما قاومناه استحكمت حياة السلام والفرح الى جحيم مقيم . فاحذر كذلك من أن تعصى أوامر الله . اعرف اليوم ما هو لسلامك لئلا يختفى عن عينيك الى الأبد ، ولئلا تهاجمك تيارات جارفة من الغيرة والحسد والخزعيلات والحنق والغضب .

على أن الحال مع داود كانت على العكس من هذا تماما . فقد كان الرب معه . وقد استطاعت عينا ايمانه الضافيتان المستنيرتان أن تريا الله الحى بجانبه وأن تدركا بأنه أقوى من جليات الجبار الذى كان يفتخر كل يوم متعظما على صنفوف اسرائيل . ألم يخلصه الله من مخالب الأسد والدب ؟ ألم يقف

بجانبه حقا وفعلًا حينما جلس على العرش وفى ساحات الوغى؟
لقد هطل ندى البركات الالهية على رأس ذلك الشاب ، ونور
حضرتة ملأ قلبه وشع من عينيه • انه لم يعتقد بأن روح الله
كان مجرد موهبة للاعداد للخدمة بل كان يراه حلول الله الدائم
فى النفس والقلب •

(٢) وبغته روح ردىء من قبل الرب :

قد تبدو الفكرة هنا ان الله تحيط به الأرواح ، بعضها
صالح وبعضها ردىء • وانه ما تكلم اسرع الكل لتنفيذ أمره ،
خصوصا واننا نرى فى ١ مل ١٩:٢٢ - ٢٣ أن ميخا يتحدث
بنفس اللهجة وبنفس المعنى فى ساعة محنة آخاب • لكن هذه
الفكرة ليست مستساغة • والأفضل أن نقول بأن الله يسمح
للأرواح الشريرة بأن تنقض على النفوس التى رفضته كما ينقض
النسر على الجثة التى فارقتها الحياة • ويجوز لنا أن نعبر عن
هذا المعنى بتعبير آخر ونقول ان الله يقصد دائما أن يستخدم
كل خليقته أحسن استخدام ، ولكننا نحن الذين نمتص السم من
الدسم ، ونحول النور ظلاما ، ونبدل الورد الذى تتساقط من
بين يديه الى نار ملتهبة تحرق الجسم •

لا تشك قط فى صلاح الله ، ولا تشك فى انه يرسل الأرواح
الصالحة لكى تصد البشر عن اتمام مقاصدهم وترشدهم الى نور
الحياة • ولكننا عندما نتمرد على الله يظهر كآته قد بدأ يصير
عدوا لنا ويحاربنا • والحقيقة اننا إذ سبق لنا أن سرنا فى تيار
النعمة الالهية فنحن الآن نقاوم هذا التيار بصعوبة ، وإذا
ما تمادينا فى مقاومته عرضنا انفسنا للخطر

مع الأعوج يظهر الله نفسه كآته ملقو ٢ صم ٢٧:٢٢ ومع
التمرد فان ملائكته ، الضمير ، روح العرفان بالجميل ، ذكريات

الماضى ، الاقتناع بتأدية الواجب ، هذه العوامل كلها التى قصد بها أن تسمو بالانسان وأن تعمل على خلاصه تقاومه وتمنع تقدمه كعدو لدود . كل هذه العوامل تضارعنا ، أو بالحرى نحن نصارعها فى ظلام الليل البهيم الذى لا نميز فيه الصديق من العدو . هكذا عندما صمم يهوذا نهائيا على تسليم المسيح كانت نفس كلمات المسيح مقسية قلبه وختمت على هلاكه .

أما داود فكان روح الله على الدوام يعينه ويعضده . كان يعيش ويسير فى شركة كاملة مع غير المنظور . وكلما هبطت على نفسه الغضبة مؤثرات السماء السارة البهيجة بعثت فيها المحبة والايمان كنغمات الموسيقى التى تبعثها من قيثاره الريح كل نسمة تهب عليها .

(٣) اضطراب نفسية شاول وشذوذه

يبدو أن هدوء نفسية شاول لدى سماعه نغمات الموسيقى كان مظهرا لوجود خصومة بينه وبين الله ، فقد صار عديم التناسق مع دائرة الكون التى مركزها الله . من المستحيل تعريف الموسيقى ووصفها . فقد كانت نغماتها العذبة تقف حائلا دون الخطية من أن تمس شاول ، وهى صدى الأبدية ، هى رذاذ من أمواج النور والمجد تتناثر على عالمنا ، هى نغمة اللانهاى . اذا فالموسيقى هى التعبير الطبيعى عن الحياة الكاملة والسلام الكامل فى السماء . هنالك - فى السماء - يضرب المغنون على أعودهم هنالك يرغم المجديون والمجدون ترنيمات جديدة ، هنالك يعبر القديسون عن تناسقهم الكامل مع طبيعة الله ونظام الكون بنغمات موسيقية شجية متوافقة . والاحساس الدقيق المتكامل الذى لا يمكن الحصول عليه الا فى حالة الامتزاج مع ارادة الله وقصده وحياته تتكشف لديه كل الاشياء التى تسبح الله قائلة هلمريا ،

ويضطر أن يردد صدى نغمات التسبيح إذ تنتقل إليه عدوى ذلك الجو الطاهر المقدس .

كان شاول لا يدرك شيئا من كل هذا . فقد كانت هنالك خصومة قائمة بينه وبين الله ، ولذا كان هناك شذوذ (أو تنافر أو تشاؤم أو عدم تناسق) فى قلبه وفى حياته . وحالما كانت نغمات الموسيقى تقع على أذنيه تذكره بنفسيته السابقة الفاضلة وتضع تعويذة على عناصر الشذوذ فى نفسه محولة أياها الى هدوء واستقرار ، وكلما سكنت تلك النغمات عادت الحالة الى ما كانت عليه . نعم هذه هى الحال على الدوام . فانك ان كنت لم تحصل على الفداء ، ان كنت لم تصنطليج مع الله بالمسيح يسوع ، فانك فى حالة عداوة ، بالأعمال الشريرة والطبع الداخلى ، ولذلك فلا يمكن أن يكون هنالك توافق بينك وبين الكون المحيط بك . ان الفنون الجميلة ، والموسيقى ، ومشغل الحياة اليومية ، وذواحى النشاط فى الحياة الاجتماعية ، والممارسات الدينية ، هذه كلها قد تفعل ما كانت تفعله قيثارة داود لشاول لايجاد حالة هدوء وقتى وتوافق مع الجو المحيط بك ، ولكن هذه الحالة وقتية ، فحيثما بطل المؤثر عادت حالة الشذوذ كما كانت .

أما داود - من الناحية الأخرى - فقد كانت القيثارة علامة النفس المستقرة فى الله . اذا كانت كل الاشياء له ، وكل شيء تحدث الى نفسه عن النغمات التى تهواها الكائنة فى العالم غير المنظور الأبدى . ولأن روحه كانت متناسقة كل التناسق مع طبيعة الله ومع الكون المحيط به لذلك أمكن أن تشع المؤثرات التى تهدى وتسكن الآخرين . وهذا قد يفسر تأثير الموسيقى فى كل العصور على أمراض النفس . فاليشع استدعى ضاريا للعود ليهدى نفسه المزعجة . ويخبرنا سينكا أن فيثاغورس كان من عادته أن يسكن اضطراب عقله بقيثارة . وفيليب الخامس ملك

اسبانيا كانت تخف عنه احرانه المبرحة لدى سماعه المغنى الشهير
 فرينللى . لهذا فقد حق لاتباع شاول أن يطلبوا منه فى احدى
 نوبات شدته السماح لهم بالبحث عن رجل يحسن الضرب على
 العود . وذلك للتأثير الذى كان لداود على شاول هو مثل للتأثير
 المماثل الذى نستطيع أن نفعله فى النفوس المزرعة والمتعبة التى
 تحيط بنا . لنقبل القاعدة التى وضعها الله من جهة قاموس
 المصالحة . لنقف تحت الصليب الذى هو مركز المصالحة ومركز
 البرء من شذوذ الخطية الى أن نصبح فى حالة تناسق مع هذا
 الصليب ، ولنخرج لحد الآخرين على المجد لذلك المركز أيضا
 حتى يصطلحوا مع الله ويتعلموا سر ذلك السلام الذى تحدث
 عنه يسوع ليلة موته ويوم قيامته من الأموات .

(٤) عدم ايمان شاول :

من المستحيل أن يوجد الايمان ان كانت هناك خصومة بين
 الانسان والله . لأن الايمان هو زهرة صحة النفس . لذلك امتلأ
 شاول رعبا وخوفا عندما سمع تعبيرات جليات . أين كانت
 حينذاك تلك الشجاعة التى نالت تقدير واعجاب الشعب من قبل .
 والتى سبق ان خلصت يابيش جلعاد ، والتى بددت شمل أعداء
 اسرائيل أينما توجه ؟ تلاشت كما تتلاشى نضارة الفاكهة من
 الخارج اذا تعفنت من الداخل . لقد حق له أن يكون قائدا
 لشعبه فى ظروف احسن ، أما الآن فقد ملأ الخوف قلبه وخارت
 عزيمته وقبع فى عقر داره .

أما داود فقد كان على العكس من ذلك على خط مستقيم .
 فانه لم يتطرق الى قلبه اثر من مثل هذا الخوف . لأن نفسه
 امتلأت بالله . كان الرب نوره وخلصه . فممن يخاف؟ كان حصن
 حياته فممن يرتعب ؟ كان مخبئا فى ستر خيمته ، فى ظل القدير .
 تلك اليد التى ضربت الحجر بالمقلاع لم ترتعش ولم تهتز ، والقلب
 لم يرتجف . كان قوى الايمان لأن قلبه الغض كان نقياً ، صالحاً
 مستقيماً ، وفى شركة دائمة مع الله .

الفصل الخامس

إيمان مختار الله

١ ص ١٧

من ذا الذي يستطيع أن يصف القوة
التي يمنحها أولاد الله
حتى ولو كان إيمانهم غير مكتمل

وردن ورث

في « وادي البطم » يجد السائح اليوم آثارا لكميات وأفرة
من زيت الترينتين . ولعل هذا هو السبب في تسميته الحالية
« وادي الترينتين » . يبدأ هذا الوادي من نقطة تجاوز مدينة
حبرون القديمة ويتجه إلى الشمال الغربي نحو البحر ، ويبلغ
اتساعه نحو ميل واحد وتوجد في وسطه قناة عميقة عرضها
نحو عشرين قدما وعمقها نحو اثني عشر قدما . وفي القناة
يتدفق الكثير من مياه السيول في الشتاء .

وإذا بدأ الفلسطينيون يستردون قوتهم بعد كسرتهم أمام
شاول ويوناثان ابنه في مخماس ، صعدوا فوق مرتفعات وادي
البطم وحطوا رحالهم في منحدراته الغربية بين سوكونه وافس
دميم أي « حدود الدم » ، ولعل هذه التسمية المنحوسة ترجع
إلى أن ذلك المكان كان أكثر من مرة مشهدا لغارات عنيفة على
الحدود .

أما جيوش شاول فقد حطوا رحالهم على المنحدر الآخر للوادي • ومن خلفهم جبال اليهودية ، متصلة حتى اورشليم • كان هذا الوادي مزمعا أن يشهد معركة تقدم لنا - بكل جلاء ووضوح - المبادئ التي يجب أن تكون نصب أعين أولاد الله في حربهم ليس فقط مع اللحم والدم بل أيضا مع الرؤساء وقوات الظلمة • هنا نجد وصفا وجيزا لثلاث شخصيات في ذلك اليوم التاريخي المشهود •

(الشخص الأول) بطل الفلسطينيين :

كان طويلا ، طوله تسعة ونصف القدم ، كان مسلحا بأسلحة قوية جدا ، لأن أسلحته ان وقعت في أيدي اسرائيل حسبوها غنيمة ثمينة وتقبلوها بتللف ، حتى ان الكتاب يعنى بوصفها بدقة • بل أنهم وزنوها ووجدوها خمسة آلاف شاقل نحاس أى ما يوازى قنطارين • فكان يحمى نفسه بدرع سميك • وكان ممسكا بيده رمحا حادا وعلى جنبه سيف وترس • كان يمدل الى التفاخر ، فقد تحدث عن الزليمة التي فكر في أن يقدمها لطيور السماء ووحوش البرية ، وغير صفوف الله الحي •

(الشخص الثانى) شاول :

كان من خيرة الشباب طيب القلب ، لم يوجد في اسرائيل اصلح منه • كان أطول من كل الشعب من كتفيه فما فوق • كان "أسلحة : خوذة من نحاس ، ودرع • وفى ن يضرب بالبوق كانت ترن أصدائه فى القلوب بالنصر الذى لا يد أن يتحقق • نسابت من بين شفثيه كلمات تنم عن آثار الأولى ، ان اكذ لذلك الراعى الصبى ان • ولكنه لم يجسر ان يقف هو بنفسه تجليات يرى أن بينهما هوة حقيقة وبونا

شاسعا فى القوة والمقدرة • وقد كان يشبه عزيمة داود بشكوكه وعدم ايمانه « لا تستطيع أن تذهب الى هذا الفلسطينى لتجاريه لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه » •

(الشخص الثالث) داود :

كان شابا يافعا ، اشقر مع حلاوة العينين ، جميل الطلعة • لم يتقلد سيفاً فى يده ، بل كان يحمل عصى ، ولعلها هى عصى الزعوية ولم يلبس درعا الا درع البر وخوذة الخلاص • ولم يحمل سلاحا ، بل مقلاعا فى يده وخمسة حجارة ملساء اختارها من قاع الوادى ووضعها فى كتف الرعاة الذى كان يحمله أى فى الجراب • ولكنه كان ممثلاً قوة روحية خفية لا يستطيع أن يراها الناظر بعينى جسده والتي قد يصعب عليه هو شخصيا وصفها • كان متحققا من يقينية وجود الله الحى • لم يكن اسرائيل شعبه مجرد عبيد لشاول كما ذكر جليات بل كانوا جيش الله الحى • عندما كان يتحدث عن الجيوش (بصيغة الجمع) لعله كان يفكر فى رؤيا يعقوب عن جيوش الملائكة فى محنايم ، أو فى رؤيا يشوع عندما أعلن ملك العهد نفسه كرئيس جند الرب الذى كان ينتظر - دون أن يراه أحد - وتحت امرته جيوش مستعدة تشترك مع جيش قائد اسرائيل الذى كان مزمعا أن يعبر به نهر الاردن • كان هذا الغلام (داود) يرى هو أيضا الجو مكتظا بالخيل والركبات النارية ، بجند الملائكة التى قال عنها فيما بعد انها مقتدرة قوة ، تصغى الى صوت الله ، وتسرع لعمل مسرته فى كل مكان • وهو على الأقل لم يشك فى أن الرب سوف يظهر اسمه المجد ويسلم اليه ذلك الفلسطينى الأغلف •

ولندرس الآن مصدر ذلك الايمان العظيم وطبيعته :

انه نشأ فى الخفاء وترعرع فى العزلة والاختلاء :

عندما كان داود يتأمل فى السموات والارض يوما فيوما كانت تبدو امامه كخيمة فسيحة الارجاء يسكن فيها الله . كانت الطبيعة فى نظره مسكنا لروح الله الذى كان يقينا لقلبه الغض كما كانت اعمال يديه يقينية لعينيه كشاعر يكتب الشعر ويعشق الطبيعة . كان يرى الله يقينا بعين الايمان كما كان يرى يسى او اخوته او شاول او جليات يقينيا بعين الجسد . ولقد تركزت نفسه فى تلك الحقيقة وهى رفقة الله الدائمة له ، حتى انها كانت ماثلة دواما امام عينيه ، ولذلك لم يتزعزع فى ساحات الوغى ولم ترهبه تهديدات شاول له .

هذا بلا شك هو سر الايمان . لا توجد هناك طريق اخرى ، طريق اقصر « تخريمة » لحياة الايمان الذى هو الشرط الجوهرى الاساسى لحياة القداسة وحياة النصر . يجب أن تكون لنا فرص للتأملات الهادئة والعزلة الانفرادية « الشركة مع العزة الالهية » من الزم الامور للنفس - كلزوم الطعام للجسد - أن تكون لها جبال الشركة ، وأودية التأملات الهادئة تحت ظل احدى الصخور ، وقضاء الليالى تحت النجوم عندها يحجب الظلام العالم المادى ويسكن ضوؤها الحياة ويكشف الحجاب عن العالم الملائماتى الابدئ وبذلك فقط تستطيع النفس أن تتحقق من تمتعها بالرفقة الالهية التى تمكنتها من أن تردد على الدوام قول المزم « قريب أنت يارب » مز ١٦٩: ١٥١ .

وتدرب فى الصراع مفردا :

كان ممكنا أن يحتفظ داود لنفسه - بكل ادب واحتشام واتضاع - بحادثة الدب والاسد دون أن يسمح بالتحدث بها لولا انها خرجت من بين شفقتيه رغبة منه فى أن يعطى المجد لله .

ولعله قد شهد معارك مماثلة كثيرة • لذلك كان إيمانه يزداد شدة بالتمرين كما كانت عضلات جسمه الغض تزداد قوة بالتمرين بهذه الطريقة كان الله يعده لهذه الموقعة الاعظم •

ان الحالة التي نكون عليها منفردين هي هي بنفسها التي تبدو حينما نكون وسط الجماعة • لا تتوهم لحظة بأن المناسبات العظيمة سوف تخلق فيك بطولة لم تعرف لها أثرا في ساعات الاختلاء • فان الازمة انما تعلن صفات النفس الحقيقية وحالتها كما هي • ان علة هروب التلاميذ ساعة القبض على المسيح هي انهم عبثوا بالساعة التي كان يجب أن يقضوها في السهر وقضوها في النوم • ويؤكد لنا جميع القديسين بلا استثناء ان ساعات الوحدة والعزلة هي أشد الأوقات تعرضا للتجربة • في هذه الأوقات يجب ان ننتصر ان أردنا ان نكون منتصرين عندما تكون أعين الجموع الحاشدة مثبته نحونا •

وقد جاز اختبار الحياة اليومية بنجاح :

يظن البعض أن حدود الكمال في الحياة الروحية لا يمكن الوصول إليها طالما كان المرء مغمورا بمشاغل الحياة العادية وهموم الحياة العائلية • ولسان حالهم يقول : ابعدونا عن هذه ، لا تكلفونا بأي عمل سوى تدريب أنفسنا على الأعمال النبيلة ، حررونا من كل القيود والارتباطات العائلية تجردونا مستعدين للجهاد من أجل أولئك الساكنين الذين قد غمرتهم مشاغل الحياة اليومية •

لم يكن هذا هو الحال مع داود • فان يسمي عندما كان متلهفا ليسمع شيئا عن أخبار أبنائه الثلاثة الذين تبعوا شاول في الحرب أمر داود بأن يحمل لهم زادا ولرئيس الألف مقدمة فلم يكن منه الا أن أطاعه على الفور « فبكر داود صباحا • وحمل وذهب كما

أمره يسى ، • وقبل أن يغادر الغنم حرص على أن يكلف غيره بحراستها • وترك الغنم مع حارس ، • فلنحرص كل الحرص على أن لا نهمل أى واجب من واجباتنا • وإذا دعيتنا لساحسة الحرب فلنبحث أولا عن نوكل اليه رعاية الغنم • والأمين فى السكثير لا بد أنه كان أمينا على القليل • اننا فى واجباتنا العائلية ، على مكاتبتنا الدراسية أو التجارية أو المصلحية ، فى مدرسة الأحد ، نتدرب فعلا على الخدمة سواء داخل الوطن أو خارجه • وعلينا أن لا نترك مكان التدريب حتى نتعلم كل الدروس التى قصد الله أن يعلمنا اياها ، وحتى نسمع دعوته •

وقد تحمل التوبيخ واساءة الظنون بتواضع :

وإذا وصل المحلة وجدنا الصفوف متاهبة للقتال فركض الى المقدمة • وحالما عثر على اخوته وحياتهم باغته صوت التعبير من جليات من عبر الوادى ، ورأى ما كسر قلبه أن شاهد رجال اسرائيل يهربون وقد امتلأت قلوبهم خوفا ورعبا • وعندما أبدى تعجبه علم من الواقفين أن شاول نفسه لا يقل عنهم خوفا وأنه قد عين اجرا وافرا لمن يقتل جليات • وهكذا انتقل من صف الى صف متسائلا ويجمع أدلة جديدة تؤيد عقيدته السابقة • وفى كل هذا كان يزداد دهشة ويتساءل متعجبا كيف « يسقط قلب أحد بسببه » •

أما الليآب فإنه إذ سمع كلمات أخيه الأصغر لم يطق صبرا • فكيف يتجاسر داود أن يدعى على رجال اسرائيل بأن تصرفهم لا يتفق مع مركزهم ولا مع ديانتهم ؟ وماذا يعنى بأسئلته الدقيقة عن تفاصيل الجائزة الملكية ؟ هل كان يعنى نفسه بالحصوول عليها ؟ ألم يكن من السخافة أن يتحدث هذه الأحاديث ؟ طبعى أنه كان مجرد كلام ، ولكنه كان غريبا جدا أن يسمع منه أنه هو أيضا جندي ومؤهل للحرب • لهذا رأى الليآب أنه لا بد أن

يقول كلمة يعيده بها الى مركزه الجدير به ، ويلاشى بها تأثير حديثه ، ويعرف بها الواقفين حقيقة أمره ، فقال له بسخرية « لماذا نزلت وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية ، يا المسموم التى تتوارى خلف تلك الكلمات القليلة كسم الأفعى . » أما داود فضبط نفسه وأجاب بكل لطف : ان ما حدا بى للحضور الى هنا هو رغبة أبى فى معرفة أخباركم . وهنا نستطيع ان ندرك سر نصرته على جليات . فلو انه قد خرج عن طبعه وثار غضبه بسبب هذه الالهانة البسيطة لفقد توازنه وقطع حلقة اتصاله مع الله وأسدل سقارا على احساسه برفقة الله . ولكنه ان قابل الشر بالخير ، وحفظ اتزانه ورزاقته ، فانه لم يظهر بذلك جمال سلاح نفسه اللامع فقط ولكنه أيضا قوى رابطته بحمل الله .

ان تحمل الالهانات والتعيبات والحسد بالصبر والوداعة ، وعدم الانغلاب من الشر بل غلبته بالخير ، وتحمل الاساءة ، وتدريب النفس على الصبر ، وحفظ الفم بكمامة فيما الشرير مقابلنا ، وكبح جماح الغضب عندما نقابل بأية عاصفة من التحقير والالهانة - هذه كلها ممكنة للذين قد وجدوا الروح القدس (روح الوداعة كالحمامة) مقاما فى صدورهم ، الذين قد امتلأت قلوبهم بسلام الله ، وهؤلاء هم الذين يدخلون الحرب كأبطال . فى ذلك اليوم تجلى عجيب وبدا مثل رائح فى وادى البطم يتضمن أن أكثر الناس دعة ولطفا وقت الالهانة وإشارة الغضب هم أشدهم بأسا فى الحرب ، وأن الوداعة هى يقينا صفة من صفات القوة والاعتدال .

وقد قاوم تعليل الجسد :

كان شاول شديد الرغبة فى أن يحمل داود سلاحه ولو لم يتجاسر هو نفسه أن يحمله . لقد رضخ أمام شبات داود

ولكنه نصحه أن يستخدم الوسيلة التي قدمها إليه : « لا تتعجل لا تكن غيبيا ، لا تتوقع أن تحصل معجزة ، اتكل على الله واذهب ، ولكن كن حكيما ، يجب علينا اتخاذ الاحتياطات العادية » .

ياله من موقف حرج وساعة خطيرة . لو أن داود رجس الى الوراء وعمل بهذه المقترحات لخسر الرفقة الالهية التي كانت تتوقف على ايمانه الكامل . ان استخدام الوسائل البشرية ليس خطية ولكنها يجب أن لا تكون محل العناية الأولى ، يجب أن تكون كما يأمر به الله . انها لتجربة خطيرة أن نستخدم هذه الوسائل كباعث من الجسد وننتظر بركة الله لها بدلا من أن ننتظر أمامه لنعرف ماذا كان يفعله هو وكيف يفعله . كم من مرة كانت المشورة التي تقدمها لنا الحكمة البشرية سببا في اضعاف نشاط الروح وتعطيل الأعمال العظيمة .

ولكن يدا خفية انتشلت داود من برائن التجربة . لقد أطاع كلام شاول الى حد تجربة السلاح . وبعد ذلك التفت الى شاول وقال : « لا أقدر أن أمشي بهذه » ونزعها عنه . ولم يعد بعد متسلحا بسلاح شاول مع سلاح الله ، بل بسلاح الله فقط ، واستطاع دون تردد أن يوجه الى جليات هذه الكلمات : « ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب » .

لقد جاز ايمانه أشد الامتحان وتزكى . لقد جاز النار المحماة سبعة أضعاف لأنه أثمن من الفضة والذهب ، ولكن نيران التجربة أظهرت بأنه ايمان سماوى . والآن ليفعل جليات كما يشاء ، وليأت بأخر ما عنده ، فلا بد أن يعرف أنه يوجد انه فى إسرائيل .

الفصل السادس

« باسم رب الجنود »

١٧ : ٤

لقد رأيت اليوم السعيد
الذى فيه أعاننى الاله المجيد
بكلمة واحدة أن أردد بكل تأكيد
« معونتى فى الهى الوحيد »
فانتصرت نفسى على ألف عدو لدود
دون أن أخشى أى تهديد أو وعيد

كوبر

بينما كان الجيشان ينتظران على منحدرى الوادى استلقت
انظار الجميع فجأة صبى صغير فى يده عصى برز من صفوف
اسرائيل ونزل على منحدر الجبل • ولوقت وجيز توارى داود
عن الأنظار إذ انحنى الى أسفل واختار خمسة حجارة ملساء من
قاع الوادى ووضعها فى كتف الرعاة الذى يحميه • ولشده
ما كانت دهشة الفلسطينيين وخصوصا مبارزهم الجبار عندما
رأوه يصعد على الجانب الآخر من الوادى ويتقدم نحو جليات •

كان جليات جالسا على ما يظهر • وعندما تحقق أن الشاب
قد تجاسر على مبارزته نهض وتقدم للملاقاة • ولعنه وهدده بسفك

دمائه على سفح الجبل وتقديم جثته طعاما لرحوش البرية وطيور السماء . « فقال داود للفلسطيني أنت تأتي الى بسيف وبرمـح وبترس وأنا آتى اليك باسم رب الجنود اله صفوف اسرائيل الذين غيرتهم » .

(١) تعويذة النصر :

« باسم رب الجنود » . اذا ما قلبنا الكتاب المقدس وجدنا انه عندما يطلق أى اسم على أى مسمى فانه لا يقصد به أن يكون مجرد تسمية انما يقصد به أن يكون اعلانا عن بعض الأخلاق والصفات . انه يبرن بل يكتنز بعض الصفات الأدبية أو المميزات الأخلاقية التى تميز صاحبها عن سائر البشر ، أو التى تكون مواهبه الممتازة وقوته الفائقة . فالأسماء التى أطلقها آدم على الحيوانات اذ قدمت اليه كنات مبدئية على المميزات والصفات التى استرعت أنظاره . والأسماء التى أطلقها آدم الثانى على الرسل اما أنها كانت تعبر عن بعض الصفات الكامنة فيهم والتى قصد أن يحركها ويزيدها حيوية واثرة ناشلة ، أو انها كشفت عن بعض الأغراض العظمى التى اختارهم . من أجلها وأعدهم لها .

كذلك عندما نتأمل فى أسماء الاله التى استعملها الأنبياء والقديسون وأبطال الكتاب المقدس نجد أنها تمثل الصفات الالهية التى وجدوها فيه . فى تاريخ الكنيـسة الأول كان « الاسم » ملخصا لما أعلنه يسوع عن طبيعة وقلب الاله . « من أجل اسمه خرجوا وهم لا يأخذون شيئا من الأمم » ٢ ، ٧ . لم يكن هنالك ما يدعو لتعيين الاسم « لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » . ، ليس اسم آخر يمكن مقارنته بهذا الاسم ، ليس اسم آخر . يمكن أن يدرج فى نفس الصفحة . عندما تظهر الشمس تتوارى الكواكب . هذا الاسم هو فوق كل اسم ، وله تجو كل ركة ، وبه يعترف كل لسان ،

لأنه يتضمن كل ما يمكن أن تحتاجه النفس أو الجنس البشرى بأسره ، كل ما يمكن أن يخطر على بالها ، كل ما تتوق الحصول عليه .

ان الصفة الخاصة التى استخلصها داود من مجموعة الصفات المثلة فى اسم الله تجدها فى هاتين الكلمتين « رب الجنود » . وهذه التسمية لا تعنى فقط أن الله هو قائد جنود اسرائيل المصطفة للمقتال ، فهذه الفكرة نجدها مرتسمة فى الكلمات التالية « اله صفوف اسرائيل » . ولكن لمعه كان يجول بخاطر داود هذا الفكر وهو أنه كان يرى الملائكة والعوالم، جنود السماء وعناصر المادة ، الرياح والأمواج ، الحياة والموت ، كان يرى هذه كلها كأنها جيش عظيم جدا منظم يطيع أوامر قائده يهوه رب الجنود . والواقع أن فكرته هذه هى بعينها فكرة قائد المائة الوثنى الذى ذكرته الأناجيل والذى قال عن نفسه انه انسان تحت سلطان له عبيد يقول لهذا اذهب أو تعال أو افعل هذا أو ذاك .

فان مجيء داود « باسم رب الجنود » ليس معناه انه انما عرف الله بكل هذه الصفات فقط ولكنه يعنى اندماجه بالايमान فى كل ما تتضمنه هذه التسمية المباركة فالرجل الغريب فى بلد غريبة ان كان سائحا عاديا يختلف موقفه وتختلف لهجة كلامه عما اذا كان سفيرا أو ممثلا لبلاده تمثيلا رسميا . فهو فى الحالة الأولى يتكلم باسمه وينال من التقدير والاحترام والولاء كما تستحق شخصيته . وفى الحالة الثانية يكون واثقا من أن شخصيته قد اندمجت فى كل ما تتضمنه بلاده التى يمثلها فاذا تحدث المرء باسم بلاده معناه انها هى التى أن نتحدث على لسانه ، وأن عظمة بلاده تزيد كلامه قوة وأوامره عظمة ، وأن كل

ما تمتلكه بلاده من قوة مستعدة أن تنتقم من أية اساءة أو اهانة توجه اليه .

هكذا عندما يأمرنا المسيح أن نطلب كل ما نريده باسمه فانه لا يعنى مجرد استعمال الاسم كتعويذة أو بطريقة آلية بل يعنى اننا يجب أن نكون واحدا فيه ، فى مصالحه ، وفى مقاصده ، وفى أغراضه ، كانه هو نفسه يقترب الى الأب بالطلبات التى تحملها .

ان امامنا دروسا كثيرة يجب أن نتعلمها عن هذا الاندماج فى الله قبل أن نستطيع ترديد قول داود « انا آتى اليك ، باسم رب الجنود » فهذا لا يمكن لأحد ترديده الا اذا أتم بكل دقة شروطا معينة أدركها كل الادراك ذلك الشاب الذى كان متعلما من الله . ولكن مما يستحق اهتمامنا أننا يجب أن نخلى قلوبنا من كل مشاغل الحياة ، أن نتجنب كل ما يقضى على اتحادنا بالطبيعة الالهية واندماجنا فى مصلحة ملكوت الله ، أن نمتزج فى الله امتزاجا كليا لئلا يكون اسمه برجنا الحصين ، ملجأنا ، سر نصرتنا . آه ، ليت كل واحد من أولاد الله يستطيع أن يقترب من كل فاعل شر عنيد ، كل مخالفة مع الشر ، كل مقاومات قوات الظلمة ، كل قبيلة متوحشة ، كل اقليم انتشرت فيه رذيلة السكر ، كل شعب غير مخلص خاطيء ، بهذه الكلمات « انا آتى اليك باسم رب الجنود » .

(٢) الشروط التى يجب مراعاتها لاستخدام الاسم :

١ - عندما تكون البواعث نقية : لا يوجد أدنى ريب فى البواعث الذى دفع داود لهذا الصراع . صحيح انه قال لرجال اسرائيل « ماذا يفعل للرجل الذى يقتل ذلك الفاسطينى؟ » . ولكن لم يخطر ببال أحد أنه تصرف هذا التصرف متطلعا الى المكافأة

الملكية • فقد كان غايته الوحيدة أن يزيل العار عن إسرائيل ،
وأن يجعل كل الأرض تعرف أنه يوجد اله في إسرائيل •

وهنا يجب أن نكون في غاية الحذر • من السهل جداً أن
نخلط بين باعثين بعيدين عن بعضهما بعد القطبين ، وندعى بأننا
نجاهد ونصارع من أجل مجد الله ، بينما نكون في الواقع
مصارعين من أجل دعوانا الخاصة ، من أجل غاياتنا الخاصة ،
أو من أجل آرائنا الخاصة • إنه لمجهود شاق على الدوام للغيورين
أن يغمضوا أعينهم عن أنانيتهم في البواعث والغايات التي تدفعهم
فالأغلبية الساحقة يؤكدون بكل ما أوتوا من قوة أنهم لا تدفعهم
إلا الخير الخالص لحق الله بينما نكون هنالك غايات خاصة
قبله أنظارهم •

والسقوط في هذه الخطية ، ولو بدون انتباه ، يؤدي إلى
الحرمان من حق استعمال اسمه المقدس • قد نضل نلهج به ونستغيث
به ولكن بدون جدوى بل على العكس قد نجد أن نفس الفياطين
التي حاولنا مطاردتها قد هزأت بنا وهجمت علينا ومطاردتنا • فما
أشد حاجتنا إلى فتح قلوبنا لتأثير الروح القدس وإرشاده لكي
يظهرها ويملاها بالخير الكاملة لمجد الله ، حتى يصدق علينا
القول كما صدق على المسيح « غير بيتك أكلتني » •

٢ - عندما نكون راغبين في أن يحتل الله مكانه اللائق •

كرر داود القول أن القضية هي قضية الله • كان ممكناً له
أن يجمع غنائم الحرب ، أما غلبة جليات وكسرة جيش الفلسطينيين
فلم يكونا في طاقته على الإطلاق • « الحرب للرب ••• هذا اليوم
يحبسك الرب في يدي ••• يخلص الرب وهو يدفعكم ليردنا » •

لقد كانت وجهة نظر داود هي نظر جميع الرجال الذين

فعلوا عظام من أجل البر • فموسى قال « اله آبائكم ظهر لى قائلا
انى قد افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر فقلت أصدكم من مذلة
مصر » خر ١٦: ٣ و١٧ • وصموئيل قال « أعدوا قلوبكم للرب
فينقذك من يد الفلسطينيين » ١ صم ٢: ٧ • وبولس قال « انى
لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطة » رو
١٥ : ١٨ •

يجب أن ندرك أن المسيح هو المحارب الأول ، العامل الأول ،
المدير الأول ، الخادم الأعظم فى كنيسة الروح القدس • وكل
شيء يتم حسنا يكون هو المتم له • ونحن لم ندع للعمل بدلا عنه
بل لكى ندعه يعمل بنا • لأن منة وبه وله كل الأشياء • والحرب
ليست لنا بل للرب • فيجب أن تكون حكمته هى المرشدة لنا ،
وقوته هى المقوية لنا ، وذراعه الرفيعة هى التى تمنحنا النصر •

٣ - عندما لا نستشير لهما ودما • لا شك فى أنه كان
عسيرا جدا على داود الشاب أن يقلب آراءه على آراء شاول
للك ، خصوصا وقد كان الملك غيورا على مصالحته مشفقا على
حياته • ولعله خاطبه قائلا يا ابنى نج نفسك ، كن حكيما ، تحصن
بلاحتيات العادية ، لا تعرض شبابك للخطر • ويالها من لحظة
حرجة • ان مقابلة التحقير ، والبغض ، والاساءة ، بالاستخفاف
والمقاومة أيسر من رفض معونة أو مشورة قدمت بمنتهى حسن
النية • لا شك فى أنه كان خيرا لداود أن لا يصفى لذلك الصوت
الساحر الفتان (١) وأن لا يتأثر بالعطف الملكى • لم يكن فى

(٧) يشير الكاتب الى صوت آلهة فى سبيلها كان غناؤها
الرخيم يستهوى البحارة فيمكثون هناك الى أن يموتوا جوعا
(حسبما ورد فى الأساطير الجرافية القديمة) •

استطاعته خدمة سيدين بينهما عداوة مستحكمة . فقد كان في رضوخه لشاول اقضاء له عن الحضرة الالهية .

كم مرة يهمس الشيطان في آذاننا بتلك الكلمات الناعمة اللينة التي همس بها بطرس في اذن معلمه عندما بدأ يتحدث عن الصليب « حاشا لك يارب ، لا يكون لك هذا » . لقد كثرت الأحاديث عن شرعية استخدام الوسائل البشرية حتى لم يبق مجال للتقدير كي يعمل . ان الوسائل البشرية لائقة في مكانها اللائق . بشرط أن لا يكون لها المكان الأول . على أن طبيعة تلك الوسائل ووقتها يجب أن يحددها ذاك الذي يرفض أن يلبس عبده خوذة من نحاس أو درعا لكي لا يفخر أمامه كل ذي جسد بل يسمح باستخدام المقلاع والحجارة الملساء وسيف جليات .

(٣) مركز أولئك الذين يستعملون اسم الله :

١ - أنهم يرتضون أن يقفوا منفردين . لم يطلب ذلك الشاب أن يرافقه أى انسان في الحرب . لم يكن هنالك مجال لأى امرئ يركض اليه أو يعود من عنده ليضمن له بديلا . كان على أتم الاستعداد لتحمل كل وطأة الحرب وشدتها دون عطف هذا أو معونة ذاك ، ان كان واثقا كل الثقة من أن رب الجنود معه وأن الله يعقوب ملجأه .

٢ - ويكونون ثابتين . انه كان خاليا من كل آثار الخوف والارتعاج التي طالما فتت في عضدنا فعمطتنا عن تأدية واجبتنا في المأموريات الخطيرة . ففي حالة الخوف ينبض القلب بسرعة وتكون حركاتنا متقلبة وغير ثابتة . أما هو فقد نزل في متحدر الجبل بهدوء وتؤدة وانتخب الحجارة التي تناسب غرضه . في

هذا الهدوء وتلك الثقة وجد قوته (١) . كان عقله في سلام كامل . لأنه مركز في الله (٢) . لم يتعجل في مسيره ولم يهرب لأن الرب كان سائرا أمامه وقدوس إسرائيل كان أجرا له (٣) .

٣ - وغير خائفين : عندما حانت ساعة القتال لم يتردد لحظة ، بل ركض نحو جيش الفلسطينيين ليلتقى ببطلهم . ثم يوجد أثر للخوف في ذلك القلب الصغير ولم يخش العواقب ، لم يوجد أى ارتعاش في ذلك الصوت الذي رد على التعيير ، لم يوجد أى اهتزاز في اليد التي أمسكت المقلاع ، ولم تعوزه الدقة في إصابة المرمى عندما قذف بالحجر على الجزء الوحيد المكشوف من جسم الفلسطيني .

٤ - وأعظم من منتصرين (٤) . في لحظة انغرز الحجر في جبهة جليات ، وفي لحظة أخرى سقط على الأرض مغشيا عليه . وللحال أسرع داود الى جليات دون أن يضع برهة واحدة ، فقبل أن يفيق ، وقبل أن يفيق رفقاؤه من ذهولهم ، فصلت رأسه عن جسمه بضربة واحدة من نفس السيف الذي كان يحمله جليات .

(١) « بالهدوء والطمأنينة (أو « الثقة » حسب الترجمة الانكليزية وترجمة اليسوعيين) تكون قوتكم » اش ١٥:٣٠
 (٢) « ذو الرأي الممكن تحفظه سالما سالما لأنه عليك متوكل » اش ٣:٢٦ أو « ذو العقل المركز فيك تحفظه في سلام كامل » حسب الترجمة الانكليزية .
 (٣) اش ٥٢ : ١٢ .

(٤) رو ٣٧:٨ ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا (أو « أعظم من منتصرين » حسب الترجمة الانكليزية) بالذي احبنا ،

وعندما رأى الفلسطينيون أن بطلهم قد مات ولوا هاربين • ولا بد
للمنتصر من أخذ غنائم النصر • فقد أخذ داود رأس الفلسطيني
علامة للظفر « ووضع أدواته في خيمته » •

فليحيى كل واحد منا وحيدا مع الله • لأن أضعف انسان
يعرف الله يستطيع أن يتم أجل الأعمال • كل قوى الله تنتظر
ايماننا • وكما أن الطفل بمجرد زر صغير يستطيع أن يحرك
أعظم البواخر لتمخر عباب البحار ، كذلك يستطيع أى فتى صغير
تعلم الاتكال على الله أن يحرك قوى الله لتفعل فى
البشر أو فى أى شيء فى ساحة حرب هذا العالم • هذه هى
الغلبة التى تغلب العالم ، والجسد ، والشيطان - ايماننا •

الفصل السابع

يونان

١ ص ١٨ : ١

ان النفوس التى تتبادل الافراح والأتراح
أثناء ارتحالها فى برية هذا العالم
تستمد بعضها من بعض كل يوم
قوة جديدة ونورا جديدا
بسبب تضامنها فى المسير معا
ولا تبالى بما تصادفه من متاعب الارتجال
ولا بطول الطريق
وتقابل مقاومتها بقوة تضامنها
وبشركتها معا فى روح واحد
وغرض واحد ومصلحة واحدة
وتشد أزر بعضها بعضا فى رحلتها الالهية

(كوبر)

فى قبة السماء توجد بعض الكواكب التى تسمى بالكواكب
المزدوجة ، لعل كلا منها شمس ، تتبعه عدة عوالم تدور حول
محور واحد ، ولكن أشعتها تختلط ببعضها فتبين لنا كأنها شعاعة
واحدة من الدور . هكذا تجد النفوس المزدوجة مركز دائرتها كل
فى الأخرى . وليس أسمى فى أخبار المحبة البشرية من أن نجد

نفسين قد ارتبطتا معا برابطة المحبة الطاهرة النقية التي كثيرا ما نجدها أعجب وأعمق من محبة النساء . مثل هذه المحبة نجدها في الأساطير القديمة بين قلبى دامون وبيثياس (١) . كما نجدها في الأدب الحديث بين نفسى هلام وتينسون (٢) . ولكنك لن تجد لها أقوى وأبهج من تلك المحبة التي تجد ذكرياتها بين صفحات الكتاب المقدس والتي ارتبط بها قلبا يوناثان وداود .

الراجح جدا أن داود قد تأثر كل التأثر بأخلاق يوناثان الذى لا بد كان يكبره سنا . ويظهر أن هذه المحبة دبت فى قلب يوناثان لأول نظرة . وكان لمسا فرغ (داود) من كلام مع شاول أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه وعلى أى حال فهو لم يعترف بها فى اللحظة الأولى ، ولكن لعله فى المساء بينما كان ذلك الراعى الشاب جالسا وسط جماعة من الجند يتحدث معهم عن حوادث ذلك اليوم التاريخى اقبل رسول من البلاط الملكى واستدعاه لمقابلة يوناثان فى خيمته . ولشده ما كانت دهشته عندما قوبل - حال دخوله - بتحية حارة منبعثة من محبة أخوية لن يتطرق اليها الوهن فى مستقبل الأيام . لقد خسر اليأس فى الصباح ولكنه فى المساء فاز بمحبة صديق الصق من الأخ . ولعل الشاب قد تراجع الى الوراء إذ حسب نفسه غير جدير بصداقة أمير ملكى وهو فى هذه الحال من الفقر . ولكن كل هذه الاعتبارات تلاشت أمام محبة يوناثان المكتسحة التى « خلع الجبة التى عليه وأعطاهم لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته » حينئذ قطع يوناثان وداود عهدا لأنه أحبه كنفسه .

(١) لاحظ صفات هذا الصديق الذى اختاره الله لصقل أخلاق حبيبه ، وعندئذ كن مستعدا أن تسلم لعنايته اختيار أخلص

أصدقائك • هو يعرف ما يحتاجه طبعك ، وأين تجد الصديق الذى يقويك فى حالة الضعف وينمى فيك المواهب الكامنة غير المعروفة .

١ - لقد كانت فيه كل صفات الرجولة • فى الصداقة الحقه يجب أن يكون هنالك توافق فى الامزجة والمصالح • ان الشرط الأساسى للصديقين هو أن يكونا متفقين • ورباط الرجولة هو الذى ربط هاتين النفسين من البداية • فقد توفرت فى يوناثان كل صفات الرجولة ، كان ماهرا فى الضرب بالقوس كما كان صديقه ماهرا فى الضرب بالمقلاع • كان فى استطاعته أن يتشم أمام ثورة الغضب ، أن يتحمل كل شئ دون أن يضعف أمام ثورة غضب أبيه ، كان مستعدا ان يدافع عن أصدقائه مهما كلفه ذلك ، كان فى استطاعته ان يلهب قلب حامل سلاحه الأورحد وينفث فيه من روحه الوثابة المقدامة ويقنعه بالهجوم على جيش كامل ، كان فى مقدوره أن يصد تيار الهجوم على بلاده ، ان ينال تقدير وأعجاب ومحبة كل الشعب الذى وقف بينه وبين أبيه وحال دون موته وعندما سقط (يوناثان) فى جلبوع لم تكن روح المداينة هى التى دفعت صديقه أن يقول عنه فى مرثاته المؤثرة :

الظبى يا اسرائيل مقتول على شوامخك

كيف سقط الجبابرة

٢ - ورغم ذلك فقد كان غاية فى الرقة والاحساس •

من عادة الكافرين أن يببالغوا فى تقدير الصفات التى يتميز بها الرجال ، كالقوة والشجاعة والصبر والاحتمال ، للتحقير من شأن الصفات الرقيقة التى يتميز بها النساء • ولكن يجب أن ندرك أن كل رجل حقيقى يجب أن تتوفر فيه بعض صفات الاحساس الرقيق النسائى ، الأمر الذى كان متوفرا فى ابن الانسان المثالى الرب يسوع المسيح • فيه ليس ذكر ولا انثى ، لانه يستطيع أن يجعل

تعادلا بين الاثنين • كذلك يجب أن يكون فينا القوة واللفف ،
الشجاعة والعطف ، البلوطة والكرمة ، الصخرة والطحلب الذى
يكسوها برداء ناعم •

٣ - وتوفرت فيه قوة المحبة البديعة • لقد أحب داود كنفسه ،
كان مستعدا أن يتنازل عن حقه فى عرش أبيه بكل سرور على أن
يكون ثانيا لصديقه ، كانت محبته من الصنف الذى يفصح عن
نفسه بالقبلاط والدموع ، حتى استحققت أن يردد صداها من
أحبته نفسه ويقول :

قد تضايقت عليك يا أخى يونانان

كنت حلوا لى جدا

محبتك لى عجيبة

أعجب من محبة النساء

اننا نحكم على الشخص من اصدقائه ومما يثيره فيهم من
أعجاب فأى رجل أحبه داود لا بد أن يكون قد توفرت فيه الكثير
من الصفات البارزة فى داود نفسه • يتحدث الكثيرون بكل
أعجاب عن ارتباط النقيضين خصوصا ان كان الواحد غنيا
والآخر فقيرا ، ولكن اعمق محبة هى التى تربط نفسين اتحدت
طبيعتاهما • لذلك فانا عندما نتأمل فى المحبة التى ارتبط بها قلبا
هذين الصديقين برباط أبدى لا تنفصم عراه لا بد لنا من أن نقرر
بأن يونانان قد توفرت فيه الكثير من الصفات البارزة فى داود -
الحساسية وموهبة الشعر ، التأثير الرقيق ، بطولة الشجاعة ،
قدرة جذب النفس لكل ما هو طاهر ، وكل ما هو جميل ، وكل
ما هو جليل •

٤ - وتوفرت فيه روح التقوى بصفة ممتازة . فنحن إذ نقرأ عنه لأول مرة عندما كان يرافقه حامل سلاحه متقدما وحده لهاجمة جيش الفلسطينيين ومتحصنا وراء بعض الصخور نجده يتحدث كشخص خبير بطرق الله واثقا انه « ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل » ، وعندما تحققت النصر التي حددها هو وثق من أنها علامة على النصر التي سيجريها الرب على يديه (١ ص ١٤) .

وإذ كان واقفا بجانب أبيه على متحدر الجبل يتطلع الى للام نازلا لقتل جنيات واحراز نصره عظيمة لاسرائيل كان يرى يد الله تصنع « خلاصا عظيما لجميع اسرائيل » وارتفعت نفسه بالشكر والدعاء الى الله ١ ص ١٩: ٥ .

وعندما كاد الصديقان أن يفترقا ، والأمل ضعيف في أن يتلاقيا مرة أخرى ويستمنعا الحديث العذب مع بعضهما ، لرى يوناثان يعزى نفسه بأن كل الأمور مرتبة من العناية الالهية ، وبأن للرب سيكون بينهما « الرب يكون بينى وبينك وبين نسلى ونسلك الى الأبد » « بينى وبينك » ليس باعتبار أن الرب يفرق بينهما بل باعتبار أنه يتحددهما ويربطهما معا كما تربطنا المحيطات بالأراضى البعيدة عنا بعدا شاسعا فتتقل إلينا بضاعتها . لذلك فمهما ابتعد عنا أحبائنا فنحن قريبون منهم في الله الذى نقف جميعا فى حضرته ، وهكذا تختلط التيارات معا فى المحيطات .

وعندما التقى الصديقان سرا فى المقابلة الأخيرة فى الغاب « قام يوناثان وذهب الى داود الى الغاب وشدد يده بالله » ١ ص ٢٣: ١٦ . ليس من السهل التعبير بلغة البشر عن كل ما تتضمنه هذه الكلمات من معان ، ولعل قلوبنا تستطيع أن تدرك معناها وتحس بتيار التشجيع المقدس الذى انسكب من تلك النفس

النبيلة في قلب الصديق • ولا شك في أن من يشهد الآخرين يكون هو نفسه قويا شديدا ، وأن من يمنح تعزيات الله لأخيه يكون هو نفسه في الله والله له ، ونحن نستطيع أن ندرك بسهولة كيف أن ضيقة نفس يونانان التي كانت تتجاذبها محبته البنوية لأبيه ومحبته الأخوية لصديقه قد اضطرت أن يلجأ لينبوع التعزية والمعونة الإلهي الذي هو العزاء الوحيد للبشر عندما يصهرون في مثل هذه التجارب المحرقة •

(٢) تأمل في الصراع الذي لاقاه يونانان في حياته •

لقد كان مخلصا لأبيه • فكان مرافقا له على الدوام، مختلطا به في أخلاقه الفظة ، وشذوذه الذي يقرب من الجنون ، وتعرضه للأرواح الشريرة، ومع ذلك فقد كان له إحساسه الحاد للموسيقى والنزوح لأعمال البطولة ، والميل للذود عن وطنه ، وإحساساته الكريمة • لقد كان الأب والابن متلازمين في الحياة كما كانا متلازمين في الممات •

عندما ارتقى أبوه العرش في أول الأمر كان الرب معه وكان يونانان يعرف ذلك ١ صم ١٢:٢٠ ولا شك في أنه كان يغتبط كل الاغتياب لشعوره بأن رغبات الأب هي نفس رغبات الله ، ولذلك فقد كان يدين بالولاء لكليهما • ولكن سرعان ما تلبد الجوى بالغيوم القادمة • فقد فارق الرب شاول ، وللحال فارقت القوة التي بها يستطيع ضبط المملكة ، وغزا الفلسطينيون بلاده ، وعجز عن الدفاع عنها ، وصار شعبه يتبعه مرتجفا مذعورا ، وأعلنه صموئيل أن مملكته سوف لا تدوم • ثم جاء ذلك اليوم المنحوس الذي فيه تطفل شاول على مائدة الوظيفة الكهنوتية وقدم الذبيحة، وللحال رنت في أذنيه تلك الكلمات منذرة بالشر « انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يتراءس على شعبه »

من تلك اللحظة بدأ نجم شاول يأفل ، ولكن يوناناثان تعلق به كأنه كان يرجو أنه بطاعته وولائه هو شخصيا لله يستطيع أن يوقف التأثير السيئ لسقوط أبيه ، وأن تبقى المملكة في يد العائلة الملكية .

لم يكن ذلك بالأمر العسير في البداية . فقد كان قلبه كله لأبيه ولم يوجد وقتئذ من يشاركه فيه ، ولذلك لم يكن عسيرا عليه أن يخاطر بحياته في قتال غير متكافئ مع الفلسطينيين ، ولا شك في أن قلبه كان يرقص فرحا بسبب الآمال العظيمة التي عمر بها أن كان يتابع الفلسطينيين ومعه كل إسرائيل ويضربهم من مخماس إلى عجلون وسط الغابات التي كان يتقاطر منها العسل . لكن كل آماله انهارت ، لأنه عوضا عن انتعاش الحياة في بلاده التي كان يمني نفسه بها وجد أن أباه قد انحدر إلى هاوية محزنة أبعدته عن الله . لقد كان سقوط شاول في موضوع تحريم العمالة ، والروح الردى الذى كان يباغته ويزعج نفسه ، وتخلى صموئيل عنه - هذه كلها أحدثت شبه شلل أدبى في نفس يوناناثان القوية الوثابة . ماذا كان فى استطاعته ليرد القضاء الذى تحتم على أبيه ، ويصد التيار الجارف ، وكيف يستطيع أن يطرد العدو وقد دخل الأبواب ؟ يقينا أن شعوره بالعجز عن أن يغير هذه الأمور الثابتة هو الذى أقعده عن ملاقاته جليات . لا بد أنه طالما خطر على باله - فى كثير من المرات التى سمع فيها تعبير ذلك الجبار - أن يخرج إليه ويقتله أو يموت . ولكن نفسه كانت تعثرها سحابة من اليأس والقنوط . ماذا يستطيع أن يفعله أن كان مصير البلاد التى أحبها قد تقرّر من قبل ؟

وعندما استيقظ أمام محبته لداود محبة صادقة وجد نفسه أمام مشكلة جديدة ، ليست بشكل ظاهر ، لأن شاول ولو كان

ينظر الى داود نظرة الغيرة والحسد الا انه لم يعلن له العداء علنا . فداود كان يدخل القصر الملكي ويخرج ، كان يشغل مركزا رئيسيا ، وكان الجميع يتقربون منه ليستمعوا الى احاديثه العذبة . ولكن عندما انفجر بركان العداء الذي كان يتقد زمنا طويلا في قلب شاول ، بدأت ضيقة نفس يوناتان الحقيقية . فقد كان الواجب يحتم عليه الولاء لابيه كابن وكأحد رعاياه ، ولو كان يعلم ان آباء قد أقل نجمه ، ولو كان متيقنا ان في ولائه لآبيه هلاكاً لنفسه ، ومن الناحية الأخرى كان كل قلبه منعطفا نحو داود .

وقد دفعته محبته لداود ان يحاول التوفيق بينه وبين آبيه . ولم ينثن عن عزمه الا بعد ان تكرر فشله في المهمة وأدرك ان كل محاولة ذاهبة أدراج الرياح . وبعد ذلك لعله دارت في مخيلته هذه الأفكار : لماذا لا تنتقد نفسك من هذه السفينة التي قد تحتم غرقها طالما يوجد وقت لذلك ؟ لماذا لا تنضم الى ذاك الذي اختاره الله ؟ ان مستقبل المملكة لا بد سيؤول اليه فاتحد به ولو كان في ذلك اغصاب لأبيك .

كانت التجربة قوية وظاهرها حسنا ، ولكنها خرت صريعة تحت قدميه . فانه رأى ان التزامات الواجب والبنوية والولاء للملك مسيح الله أقوى من ريبط المحبة البشرية ، وفي لحظة موهوبة أعطى ظهره لنداء قلبه واختار ان يقف بجانب آبيه . ولم يتراجع قط عن هذا الاختيار . فعندما فارقه داود الى حيث أراد رجع هو الى المدينة . لعل آباء قد سخر منه لرابطته الوثيقة بابن يمسى ، ولكنه لزم الصمت . وعندما شرع شاول نهائيا في حربه الأخيرة مع الفلسطينيين كان يوناتان يحارب بجانبه رغم انه كان يعلم ان داود متحالف معهم .

هنا نرى مظهرا من أعظم المظاهر التي يسجلها لنا التاريخ

والتي تتجلى فيها نصرة المبدأ على العاطفة ، نصرة الواجب على
الميل والرغبات . لقد مات يونانثان بطلا ، ليس فقط لبطولته في
الحرب مع أعداء بلاده بل أيضا لنصرته على أعظم عاطفة في
القلب البشرى هي محبة الصديق لصديقه .

مثل هذا الصراع ينتظرنا جميعا عند ما يحدد الله لنا
أمرا ، وتتطلب منا رغبات القلب وأمياله شيئا آخر ، عندما يهب
الريح من ناحية وتشتد عوامل المد والجذر من ناحية أخرى .
لنت نعمه الله تعينك كلما اجتزت ضيقة كهذه لكي تسلك الطريق
المستقيم مستلهما بوحى الضمير كما فعل يونانثان بن شاول .

الفصل الثامن

خارج البيت وداخله

مز ٥٩ : ٩ و ١٧

من الأعماق بزغت المناظر النجسة
وفى الظلام تجمعت أمام عيني
ولكنها فى نور الفجر سوف تنقشع
وعندما يشرق ذلك اليوم تختفى الظلال
انه يحول كل الأشياء لخير اولاده
اذ يبدد النور كل ظلمة
ويحول الظلمة الى نور
حتى يشرق ذلك اليوم وتختفى الظلال

س . ج . ستون

ان التشابه بين هاتين الآيتين (١٧ و ٩) فى المزمور ٥٩ واضح
٩ من قوته اليك التجيء (١)
لأن الله ملجأى
١٧ يا قوتي لك ارنم
لأن الله ملجأى

(١) أو « نضوك انتظر » أو « اراقب » حسب الترجمة
الانكليزية .

(م ٥ - حياة داود)

وللفرق بين كلمتي « التجيء » و « أرثم » في العبرانية
ضليل • فانهما يتفقان في كل الحروف الا حرف واحد •

وعنوان الزمور يوضح المناسبة التي كتب فيها « لآمام
المغنين مذهبية (١) لداود ، لما أرسل شاول وراقبوا البيت ليقتلوه » •
والاشارات الواردة في الزمور تؤيد العنوان خصوصا ما ورد
في ع ١٤ و ١٦ اللتين يشبه فيهما الرثم جنود شاول التي احاطت
ببيته تقذف حمم تهديداتها وتصب من لعنتها بكلاب أثيمة تجوب
شوارع المدينة نهارا وليلا تنظفها من كل عظامها وفضالتها وتملا
الفضاء بنباحها ليلا •

يعودون عند المساء ، يهرون مثل الكلب
ويدورون في المدينة
هوذا ييقون بأقواهم

وبالرغم من ذلك يبقى داود في بيته « يلتجئ » الى الله
« ويرث » له من أجل رحمته في الصباح •

(١) الحوادث التي أدت الى مهاجمة داود هذه في بيته :

لدى رجوع الجرش منتصرا من وادي البطم خرجت الأرض
كلها لتحيته • فالحاصدون اوقفوا عملهم في الحقل ، والكروم
اقفرت من النساء اللاتي كن يلتقطن العنب والرجال الذين كانوا
يدوسونه في المعاصر • والحماسة نشرت ألويتها من القرية الى
المدينة والنساء خرجن من كل مدن اسرائيل بالغناء والرقص ،
يدفوف وبمثلثات للقاء الملك شاول • ومن وسط هتاف النصر
انبعث هذا النداء الذي تضايقت منه نفس شاول جدا •

(١) أو قصيدة •

ضرب شاول الولد

وداود وبواته

فى تلك الساعة تحركت فى قلب شاول عاطفة الغيرة والحسد وظهرت اللطخة الحشرية على ثمرة أخلاقه الجيدة ، تلك اللطخة التى كانت السبب فى افساد كل الثمرة . بالسعادة لو أنه داس تلك الشرارة الجهنمية تحت قدميه أو أطفأها فى بحار الصلاة . ولكنه زادها اشتعالا حتى أحرقت الزرع والضرع . « فاحتمى شاول جدا وساء هذا الكلام فى عينيه . . . فكان يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدا » .

على أن شاول لم يقف عند حد الغيرة والحسد . ولكنه أقام نفسه لمقاومة مقاصد الله . فان صموئيل قد أخبره بكل وضوح أن الرب « يعزق مملكة إسرائيل عنه ويعطيها لصاحبه الذى هو خير منه » . ولا شك فى أنه عندما رأى الغلام هائدا برأس جليات فى يده ، وعندما سمع غناء نساء إسرائيل ، ملأ الخوف قلبه وأيقن أن هذا هو الملك المنتظر المعين من قبل الله . ولعله قال لنفسه كما ناجى - من بعده - هيرودس نفسه أيضا : « مهما يكن فأنا الملك » ، وسوف أعمل على عدم تحقيق هذه النبوة . ان رجلا ميتا لا يستطيع أن يملك ، وهناك طرق كثيرة خلاف القتل المباشر لاعداد حياة الانسان ، ولكن لا بد من قتله . . لقد توهم بأنه لو استطاع اعدام حياة داود لتعطلت مقاصد الله وأبطلت نبوة صموئيل .

لم يكن هو آخر من نزل الى ساحة الوغى ليحارب الله فسحق فى محاولته . لا يمكن أن يتسنى واحد ممن درسوا التاريخ تصريح بوليائوس الكافر (الذى لم يكن الا عينة من ألوف غيره) عندما صرخ قائلا « لقد غلبت - أيها الجليلي » .

كانت عاطفة سفك الدماء الكامنة في قلب شاول تحاول
 لشباع نفسها بطرق كثيرة . وفي اليوم التالي بينما كان داود
 يحاول أن يهدئ من روعه بقيثارته اشعر شاول الرمح نحوه
 موتين ظنا منه بأنه ان أصابه الرمح قد ينسب الآخرون هذا العمل
 الروح الجنون الذي كان يسوده أحيانا ، ولكنه في كلتا المرتين
 الخطأ المرمى ورشق الرمح في الحائط بدلا من قلب داود .

بعد ذلك انتدبه شاول لهمة مربية خطيرة . « وجعله رئيس
 الف » ، مؤملا بأن هذه الترقية الفجائية لهذا المركز العالمي المخوف
 بالمخاطر قد تخبل عقله وتؤدي به الى ارتكاب أية خيانة يستحق
 من أجلها قصاص الموت . ولكن داود تصرف بحكمة في كل
 خطواته متجنباً كل عثرة ومبتعداً عن كل الفخاخ ، حتى ان الملك
 الذي كان يراقبه عن كثب ليسجل عليه سقطة اقتنع اقتناعاً
 كلياً بأن الرب حصن له ، وامتلاً قلبه خوفاً من جهته . فلما رأى
 هاول انه مفلح جدا فزع منه .

من ثم عرض عليه رؤية أن يزوجه ابنته الكبرى . وعندما
 كان وقت الزفاف عدل عن رؤية بمكر . وكانت الفكرة أن يحرك
 فيه روحه الثائرة فيطلب الانتقام لنفسه أو يطلب تعويضاً وبذلك
 يعرض نفسه لتهمة التمرد على الملك . ولكن كل مجهوداته ذهبت
 لسراج الرياح لأنه لم يستطع أن يحرك فيه أقل عاطفة للانتقام .

وعندما نصب له شريكاً آخر ان قدم له ابنته الثانية ميكال
 كآجر له اذا قتل مئة فلسطيني كان يريد أن يزج به في عراقه
 عليل لا يمكنه النجاة منه الا بمعجزة . ولكن داود عاد دون أن
 يصاب بأي خدش ومعه ضعف العدد المطلوب . فازداد حب
 الشعب له .

واذ شعر شاول بفشله ، وازدادت نيران الغيرة والحسد

تأجبا في صدره ، كلم يوناثان وكل عبيده أن يخلصوه من رؤية داود المزعجة لنفسه . ولكن هذه الطريقة لم تفلح أيضا بطبيعة الحال ، لأن يوناثان « سر بداود جدا » وجميع إسرائيل ويهوذا أحبوه لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم . ووقف يوناثان حقا في الثغرة ليحول غضب أبيه عنه واستطاع أن يأخذ منه وعدا بعدم قتل صديقه . ولكن توصلاته وحججه لم يكن لها الا نتيجة وقتية . لأنه بعد ذلك بقليل بينما كان داود يضرب بقيثارته محاولا أن يطرد الروح الرديء عنه شرع الرمح نحوه مرة أخرى محاولا أن يطعنه به حتى الى الحائط ولكنه نجا منه أيضا . وفي المساء هرب داود لنفسه وأسرع الى زوجته وبيته . واذ صمم شاول على قتله « أرسل رسلا الى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح » . كان هؤلاء الرسل هم الرجال الذين شبههم بالكلاب كما رأينا من قبل .

فخلصت ميكال زوجها بذكاؤها وسرعة حيلتها ، إذ أنزلته من الكوة ، فذهب هاربا ونجا وأخذت الترافيم (تمثالا) ووضعت في الفرش وغطته بشوب وأوهمت رسل شاول بأنه مريض وعلى أي حال فإنه لم يكن هناك مبرر للالتجاء الى الترافيم أو الخداع لانقاذ حياته من غضب أبيها ، لأنه بعد ذلك بقليل عندما شرع الملك في اختطاف غريمه من وسط الكلية المقدسة (١) بل من حضرة صموئيل نفسه مرسلا اليه ثلاث طوائف من رسله شملت قوة الرسل أجمعين بتأثير الهى والقى القبض على شاول نفسه الذي خر صريعا أمام قوة روح الله وانطرح على الأرض عريانا .

١ صم ٢٤:١٩ .

لا شك في أن هذا كان اختبارا عجيبا لداود أمام العين

(١) يشير الى « جماعة الأنبياء » أي المدرسة التي كان يعلم فيها بنو الأنبياء ١ صم ٢٠:١٩ الخ .

للجسدية لم يكن هنالك قط ما يمنع رسل شاول أن شاول نفسه من
اللقاء القبض على داود . ولكنه بالايمان أدرك أنه كان محفوظا
في مظلة لا يمكن الاقتراب منها ، ومختبئا تحت جناح غير منظور
وكما أن الهواء - وهو غير منظور - يملأ جرس الغواصين وينجى
من فيه من تدفق المياه اليه ، وكما أن تيار الكهرباء عندما يسرى
فوق مجموعة من الجواهر يحميها من أيدي الناهبين ، وكما أن
وهبة عظمة المسيح طرحت الذين القوا القبض عليه الى الأرض ،
هكذا كانت حضرة الله تحيط بصموئيل وداود وتحميهما . وهكذا
لا يزال الله مستعدا أن يفعل لكل واحد من أولاده المضطهدين

يخبئني في مظلته في يوم الشر

يسترني بستر خيمته

من ٢٧:٥

على صخرة يرفعني

(٢) ثبات داود وسط هجمات أعدائه ::

أن هذا الانسان الذي ظل يطارد زمنا طويلا يقدم دروسا
لكل البشرية . لقد كان شاول عدوه الألد ، وكم من شراك وفخاخ
لصيدها له من كل ناحية . صحيح أن الشمس أشرقت عليه بنورها
الكامل في بعض أيام حياته ، ولكن معظم أيامه كانت ملبدة
بالغيوم القاتمة ، وتهب عليها العواصف القاصفة . في لحظة
تهتف له نساء إسرائيل ، وفي لحظة أخرى ينتزع من زوجته
ويشرد من وطنه الى حيث لا يعلم . لكن قلبه في كل الظروف
كان ثابتا ومطمئنا ، بل يهتف فعلا ويتהלل بالتصاييح كما يتبين
من الآية الأخيرة من هذا المزمور (٩٥) : " يا قوتي لك أرنم لأن الله
ملجأى الى رحمتي " . وماذا كان سر ثباته ؟

١ - كان السر في ثباته أولا اعتقاده في صفات الله . كان

الله « قوته » ، وهذه تبين ان الله كان فيه فى الداخل • وكان الله أيضا « ملجأ » ، وهذه تبين ان الله كان حوله من الخارج كان ملكا لله ، وكان محاطا بالله • كان الله فيه وهو فى الله • لم تكن هنالك حاجة يشعر بانها تنقصه ، ولم يكن هنالك خطر يشعر بأنه ليس فى مأمن منه • يالها من فكرة سامية تجدها هنا • أنت تشعر بأنك اضعف من أن تقوم بالمأمورية الخطيرة التى المقيت اليك ، وتظن بأنه كان الأجدر أن توكل الى افاضل القوم الذين تعرفهم ومع ذلك فقد وضعت بين يديك • فتصرخ مع جديعون قائلا : « ياسيدى بماذا أخلص اسرائيل ؟ ها عشيرتى هى للذلى فى منسى ، وأنا الأصغر فى بيت أبى » • حينئذ يعلن الروح القدس اليك الله القدير كقوة لكى تقبله فى قلبك ، كمصدر لقوة جديدة سماوية تتغلب على كل صعوبة وتذل كل عقبة • أصغ الى تهليل نفس الرسول وهو يضع الأعمال الخطيرة فى كفة والعقبات فى كفة واحدة ثم يردد بثقة كاملة « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » ، ياأضعف الضعفاء ، اذكر يسوع المسيح ، واتخذة قوة حياته تقو ، نعم تقوى بالنعمة التى فى المسيح يسوع •

أو ارجع الى الفكرة الأخرى • انظر أولئك الجنود الهاربين الذين يطاردهم الأعداء بكل عنف • وإن رأوا قبالتهم حصنا حصينا جدا كاف لحمايتهم لو استطاعوا الوصول اليه ، بذلوا كل الجهد حتى صعدوا اليه وعبروا القنطرة الموصلة اليه واخترقوا الحواجز واندفعوا اليه فايقدوا أنهم فى امان • ان الله حصن حصين للنفس التى تعلمت أن تضعه بينها وبين كل شيء • ليس مطلوبا منا حتى الهرب والركض اليه لأن ذلك يتضمن أننا قد ابتعدنا عنه ، بل المطلوب منا أن نثبت فيه ، أن نثبت فى الحرية التى حررنا بها ، أن نؤمن بأننا طالما نحن ثابتون فى الله فاننا فى امان تام مهما قال الشيطان أو ثار •

إذا ما تحققنا كل هذا ، وأضفنا الفكرة الأخيرة التي يختتم بها المزمع مزموره (٥٩) المتضمنة بأن الله هو ينبوع الرحمة ، إذا ما كانت لنا جرأة الايمان وايقنا أن هنالك رحمة في بغض مشاؤل ، رحمة في المصاعب والآلام التي تصادفنا ، رحمة في السحب التي تجعل جونا قاتما ، وفي العقبات التي نلتقيها في طريقنا ، رحمة في أقسى الظروف وأمرها ، حينئذ نستطيع أن نفنى ونزعم ، نستطيع أن نردد القول مع داود :

أما أنا فاعنى بقوتك

وارنم بالغداة برحمتك

لأنك كنت ملجأ لى

مز ٥٩ : ١٦

ومناصا فى يوم ضيقى

٢ - ثم كان السر أيضا فى وجهة نظره نحو الله « من قوته (أو ياقوتى) اليك التجيء (أو نحوك انتظر أو أراقب) » ع ٩ والكلمة « التجيء » تدعمل فى اللغة العبرية لتعبير عن الراعى إذ « يراقب » قطيعه ، عن الناظر فى برجه ، عن الحارس فى حراسته . هل هذه هى وجهة نظرنا على الدوام؟ كثيرون يصلون ولكنهم لا يتطعمون الى السلم الذى تنزل عليه الملائكة محملة بالجواب من السماء . كثيرة هى السفن التى تتمر عينا ليللا مشحونة بالخيرات الجزيلة التى نصلى من أجلها ولكنها لا تجدنا منتظرين هناك لتسلمها . كثيرة هى الامدادات التى تمر علينا هرامحها وخوذاتها ولكن أبوابنا مغلقة . كم من حمامة تاتى لى كوتنا من غمر المياه ولكننا منغمسون فى مشاغل أخرى فلا نلقن الى نقراتها الخفيفة . اننا نصلى ولكننا لا ننظر ولا نراقب، نحن نطلب ولكننا لا نؤمل أن ننال ، نحن نقرع ولكننا ننصرف قبله أن يفتح الباب .

فلنتعلم هذا الدرس : اننا يجب ان نرهب الله ، ان ننتظر
الرؤيا ، ان ننتظر حتى يأتى صموئيل ، ان نوقن بان من علمنا
الرجاء لا يمكن يخيب لنا رجاء ، ان نشق بأنه لن يخذى منتظروه ،
ان نتقدم اليه بالايمان ، ان نعلم بان لنا الطلبات التى نطلبها ،
بل وما هو اكثر من ذلك : ان نتسلمها ونوقن بأنها فى حوزتنا
ولو لم يكن فى داخلنا شعور بامتلاكها •

هذا هو الالتجاء لله وانتظاره ، هذا يحفظنا هادئين وثابتين
مهما زمجرت حولنا الشرور والمخاوف ، بل هذا يحول «انتظارنا»
الى « ترنم »

الفصل التاسع

ومسألة المساهم

١. صم ٢٠: ٢١ - ٢٧

مهما اشتدت مقاومات الأعداء
أو اغراءات الأصدقاء
فالقلب ثابت على الرجاء
طالما كان هو المرشد والسند والعزاء

ج . م . نيل

كان ليوناثان تأثيرا عظيم على أبيه . فان شاول لم يكن
يعمل أمرا كبيرا ولا أمرا صغيرا الا ويخبره به ، ١ صم ٢٠: ٢٠
من أجل محبته لأبيه ومن أجل سلامة أبيه كن شديد الرغبة في
عقد مصالحة بين من كان يدين له بالولاء كابن وكأحد رعاياه
وبين ذلك الشاب الراعى الذى يحسن الضرب بالعود والبطل فى
الحروب ، الذى سجل لنفسه اسما خالدا بين الأبطال منذ عهد
وجيز . لقد كان يوناثان على الأرجح جدا يكبر داود بسنوات
كثيرة ، ولكن محبته الطاهرة النقية التى كانت تتدفق فى صدره
لم تعقها السنون والأعمار . لقد تحدث مع أبيه أكثر من مرة
عن صديقه محاولا التأثير عليه لكى يحلف له بأن لا يقتله ، حتى
الله عندما عاد داود فورا من نايوت تاركا شاول تحت تأثير النبوة
بين الأنبياء وسأل يوناثان « ماذا عملت وما هو اثمى وما هى

خطيقي أمام أبيك حتى يطلب نفسي ، ويضمير لي هذه للعداوة المرة مؤكدا أنه كخطوة بينه وبين الموت ، لم يتردد يونانان عن أن يؤكد له استعداداه لاتصام كل ما تشتهي نفسه ، فقال يونانان لداود مهما ثقل نفسك أفعله لك ، ١:٢٠ - ٤

وفي المساء السابق لعيد رأس الشهر دعا شاول رؤساء مملكته إلى الوليمة ، واتفق الصديقان على أن هذه فرصة سانحة لمعرفة شعور شاول الحقيقي . فاقترح داود أن يتخلف عن الوليمة الملكية وعرضا عنها يزور بيت أبيه في بيت لحم . كان ميسورا له أن يفعل ذلك ويعود في اليوم الثالث وفي نفس الوقت يجس يونانان نبض أبيه ويلاحظ لهجة كلامه ويعرف شعوره نحو داود أن كان للخير أم للشر .

أبرمت المواد الأولية لهذه الحطة داخل جدران القصور ، ولكن كانت هنالك بعض أسرار يتبادلانها بأكثر حرية ، أحاديث يتجاذبانها ويسكبان فيها نفسيهما ، عهد يقطعانه بين بعضهما ، ومائل للتفاهم ترتب في الخفاء ولذلك وجدا أنه من الأنسب أن يتما الحديث في الخلاء حتى لا تشهد الدموع السخينة ويسمع انفجار الصديقين في البكاء إلا الغابات الجامدة التي لا قبل لها على نقل أي حديث . كان هنالك فعلا شاهد آخر ، لأن يونانان كان ممثلا بروح التقوى ، وكان من عادته أن يعيى حضرة اله إسرائيل ولذلك فقد أشهد الله عليه عندما فتح قلبه لصديقه وتوسل إليه أن يعامله بالحق والأمانة وأن لا ينسى حقوق الصداقة ولا يقطع معرفته عن بيته عندما يقطع الرب أعداء داود جميعا عن وجه الأرض في المستقبل ع ١٢ - ١٥

بقينا أن موقعة جبل جلبوع الفتاكة كانت قد سبقت فخيمت على قلب يونانان بظلمة قائمة ، وأحس بأن الوقت لا بد آت حيث

يرتقى داود الى العرش ، وقد يوعز اليه المجرب فكرة اباداة كل منافس له من ورثة يوناثان وذلك باستئصال البيت الملكي . وفى مرارة نفسه طلب من داود أن يحلف له ثانية ، ثم اقترح تلك الفكرة السامية التى يعبر فيها حديثه مع غلامه عن ذلك السرالذى اما أن يرفع داود الى صخرة الأمان والسلام ، أو يهوى به الى بالوعة اليأس ع ١٨ - ٢٢ .

ونحن اذ نقرا هذه الرواية يتمثل أمامنا سعاة البريد الذين يحملون الرسائل البريدية وهم يجهلون كل الجهل مقدار ما ستحدثه من تأثير فى نفوس الذين يستلمونها ، وفى البعض تحدث تلك الرسائل نشوة الفرح والغبطة والسرور ، وفى الآخرين تحدث المأمضا وحزنا وغما . لا زالت السهام تطير الى الآن ولا زال الغلمان الصغار يقومون بمهمتهم نحو تلك السهام وهم لا يدرون شيئا عن مهمتهم هذه ، وكثيرا ما قصرت السهام فى الوصول الى المرمى ، وفى أحيان أخرى تتخطاه وتبتعد عنه . وما أكثر المرات التى فيها تبتعد عنه وتتخطاه . ايه ايتها الذراع القوى ! لماذا تقذف بها بكل هذه القوة ؟ وانت ايتها الرياح ! لماذا تحملينها بهذه السرعة ؟ ان القلب يخفق كلما سمع القوس يقذف بالسهم . وحياة الكثيرين من البشر تتشكل حسبما تقع تلك السهام ، فهى اما أن تقصر بون الوصول الى الهدف ببضعة امتار ، أو أن تتخطاه ببضعة امتار .

(١) كانت السهام تعبر عن وقوف صديق ذبيل وقوى فى الذئبة

كان يوناثان نبىلا ، من الدرجة الأولى ، وكادت حياته أشبه بحجر كريم شديد التالى ، فقد كان لا يبارى فى استعمال الأسلحة ، جريئا جدا فى ساحة الدوى ، أسرع من النسر ، وأقوى من الأسد ومع ذلك كان رقيقا كالنساء ، وفرا لصديقه ، يبعث فى نفس رفيقه محبة قوية حتى أن حامل سلاحه تجاسر على

أن يواجه جيشاً بجانبه ، ثابتاً جداً في مبادئه حتى أنه ظل ملازماً لأبيه في فشله ولو تحمل من ذلك الأب كل ما تنطوى عليه الغيرة والحسد من اهانات مرة وبغضة كريمة .

لم يكن بالأمر الهين ما تعهد به يوناثان بعهد الصداقة ، ولعله كان مستعداً لثورة الغضب التي كان يتوقعها بعد احتجاجه الجريء من أجل صديقه المتغيب . في اليوم الأول لاحظ شاول تغيب داود ولم ينطق بكلمة . وفي اليوم الثاني إذ لاحظ أن مكان داود لا يزال شاغراً تحول بغضب نحو يوناثان وتساءل عن السبب « لماذا لم يأت ابن يسي إلى الطعام لا أمس ولا اليوم ؟ » والحال قدم يوناثان الإجابة السابق الاتفاق عليها المضمنة رغبة داود في زيارة أسرته وأضاف إلى ذلك أنه هو شخصياً أعطاه أذنًا بذلك . وكانت هذه الإجابة سبباً في انفجار بركان غضب شاول على يوناثان . ولقد كانت ثورة غضبه متناهية في الشدة قائنا أن نراه يشير إشارة لاذعة لأم يوناثان ، وهي زوجته ، كسبب لتمرّد ابنه ، ويوجه نحوه تعبيرات قصد بها أن يفرغ في قلب ابنه نفس السم الذي كان يملأ قلبه هو شخصياً ، وانفذ إليه أمراً بالبحث عن داود فوراً ليقّتل، نجده يبين بكل صراحة بغضه الشديد وعزمه على نزع حياة ابن يسي من الأرض . أما يوناثان فقد حاول مرة - عبثاً - أن يحاج الملك في ثورته ، كأنه يحاول أن يوقف فوران نهر الأردن وقت فيضانه . وإن احتدم غضب الملك وانتابه ذوبة أنفعال شديدة « صابى الرمح نحوه ليطعنه » . حينئذ علم يوناثان أنه يجب أن يتوقع أسوأ الغروض « وقام عن المائدة بحمو غضب لأنه اغتم على داود لأن أباه قد أخزاه » .

لا تستح من صديقك . لا تعتبر أى شخص صديقاً لك إن كنت تستحى من ذكر اسمه ، أو إن كنت تخجل من صداقته له .

ولكن عندما تتحد نفسك بنفس أى شخص أحببته كما أحببونا ثانياً
داود فكان جريئاً ولا تنكر صداقتك له مهما كنك ذلك من تضحية
فى راحتك أو فى علاقتك بأولئك الذين لا يعرفون صديقك كما
تعرفه أنت . وإن كان صديقك فقيراً أو مجهولاً أو مرذولاً فإن
هذا ادعى أن تتمسك به ولا تتخلى عنه . إذا وجد المرء وسط
جماعة من أولاد العالم تسودهم روح الزهو والكبرياء فمن الشهامة
ومن النبيل أن ينتصر لقضية نبيلة ولو لم تحز رضاء أحد ، أن
يتجاسر للدفاع عن أحد خدام الله وقد افترى عليه لكنه براء ،
أو عن رفيق غير مصقول لكنه نقي . كل هذا يدل على أمانة
وأخلاص ونبل الشخص الذى ينتصر للضعيف ويعترف به . أن
مقاومة الحصن أيسر من احتمال الاستهزاء المستور ونظرة
الاحتقار .

والأنبل من ذلك أن يتجاسر المرء على الاعتراف بولائه للرب
يسوع وسط أية جماعة . أن يسوع الآن مجهول من الكثيرين
كداود ، ومحتقر من الكثيرين ، واسمه ليس شائعاً بين الكثيرين ،
وانجيله يحرقه الكثيرون ، واتباعه معرضون للازدراء والتوبيخ
والهوان . فى هذه الأيام لا بد للمرء أن يضحي بالكثير إذا هذ
عن المألوف بين هامة المسيحيين ، ولأجل هذا يجب أن لا نتقهقر
للى الوراء مطلقاً ، بل أن كنا موقنين أنه سوف يعترف بنا
امام أبيه وامام الملائكة فيجب أن لا نخجل من اسمه لقد دلت
سهام يوناناً على أنه لم يتردد فى الاعتراف بداود وإن انفرد
هو وحده بهذا الاعتراف . فلنؤكد للمسيح - ولو كان متوارياً
عن عيوننا الجسدية - أننا مستعدون لتحمل الهزء والعار والموت
من أجل اسمه المبارك .

ولا نستح من الدفاع عن الحق . كم من المرات وسوس
روح الأدب والاحتشام فى صدورنا بهذه الكلمات المعسولة و دع

هذا الأمر يجوز بسلام ، انتظر حتى ينتهى وقت تناول الطعام ، لا تعرض نفسك لأنظار الجميع وانتقاداتهم ، انتهز فرصة الاختلاء بصديقك حتى توبخه منفردا ، لا تنطق بكلمة بل هدىء روعك وانتظر حتى ترى ماذا يمكن عمله . أما يونانان فقد سلك الطريق النبيل . لقد كان الطعام الذهبى موضوعا امامه ولكنه لم يمسه ، وكانت الكأس فى يده ولكنه لم يقربها من شفثيه ، وكان أبوه امامه ويتطلب الأمر أن يحترمه ويوقره كآبيه ، وإن يرهبه كملك فى يده سلطان الحياة والموت . ولكنه لم يستطع السمكوت . لو أن الأمر كان مجرد مراعاة مركزه أو احترامه ، أو مجرد للتأديب والاحتشام والتوقير اللائق بالسن لكان هو أول من يضع يده على فمه ويصمت . ولكن القضية كانت قضية الحق ، والبر ، والعدل ، ولو أنه صمت لنطقت ضده الحجارة التى فى الحائط ، وخسر هو راحة الضمير .

ولعل سائلا يسأل : اليس من غير اللائق الاعتراض على آراء من هم أكبر منا منا وأوسع علما . نعم ولكن هنالك فرقا شامسا جدا بين آراء واهية هى أقرب ما تكون الى نسيج العنكبوت وبين آراء مؤسسة على مبادئ الحق والفضيلة والعدل التى يزكها الضمير . وعندما تدافع عن هذه الآراء فأنك لاتحاول للتدليل على صلاحك أو اكتساب أية منفعة ، ولكنك إنما ترفع العلم لئلا يداس فى التراب . فلتشهد السهام على بساطتك وتمسكه بكل ما هو ظاهر وكل ما صيته حسن .

(٧) وكانت السهام تعبر عن خطر داهم .

لقد « علم يونانان أن أباه قد عزم على قتل داود » وببشما للفلام راكض رمى يونانان السهم حتى جاوزه « الفلام ذهب وداود قام من جانب الجنوب وسقط على وجهه الى الأرض وسجد

ثلاث مرات • وقبل كل منهما صاحبه وبكى كل منهما مع صاحبه حتى زاد داود • لم يكن هنالك ما يدعو يونانان أن يوضح للأمر فان داود علم أن الرب قد أطلقه ع ٢٢

« السهام دونك قصاعدا • لقد كنت ترجو على غير الرجاء ، كنت تحاول الاحتفاظ بمركزك ، لقد اتممت الواجب عليك ، دافعت عن قضيتك ، طلبت معونة أصدقائك بالتوسل من أجلك • صليت ، بكيت ، اكتأبت • ولكن ذلك كله عبث ، فان انطلاق السهام يدل على انك يجب أن تتطلق حيثما شئت • من ورائك الصباح المشرق الجميل ، وأمامك جو قاتم • من ورائك تمتع سعيد بالاصدقاء والزوجة والوطن ومحبة الملك وثقة للشعب ، وأمامك حياة شريفة طريفة منبوذة • ولا شك في أن القلب ينجذب نحو الاشخاص المعروفين والمحبوبين • على أن رسالة هذه السهام لا يمكن مقاومتها • ليس أمامك إلا أن تنتزع نفسك تضع حياتك في كفك وتخرج ، ولو كنت لا تعلم الى أين تذهب • لكن اليك هذه التأملات لتعزيتك :

١ - هنالك أشياء لن تتركها وراءنا ولن نخسرها • كان داود واثقا من أنه لن يخسر محبة صديقه ، وولاء الشعب ، وذكرى صلاح الله ، واختباره في عنايته الحارسة المخلصة ، وشعوره برفقة الله الذي كان يراه عن يمينه في كل حين ، ومزاميره التي نسقها لنفسه وللعالَم بأسره • هنالك خيوط نسجت في ثوب حياتنا لا يمكن انتزاعها أو محوها •

٢ - وهنالك مقاصد الهية تحدد كل طريقنا • لم تكن عملية رمي السهام سوى شذوذا من الأمير في نظر الغلام • ولعله اذا سئل عما كان يفعله حينئذ لك لأجاب « اننى التقط سهام الأمير • نحن عادة نخرج للصيد ، أما اليوم فانه يلهو بها • كان هذا

كل ما يعلمه • فهو لم يكن فى استطاعته أن يتكهن بغرض سيده ، وبالأولى لم يكن فى استطاعته أن يدرك أن كل سهم يطير إنما هو مأخوذ من كتف الله - على حد تعبير البشر - وملقى بيده • انه لا مجال للصدفة فى حياة الصالحين • فلنتأكد ان العناية الالهية تتدخل حتى فى أتفه الأشياء • ولنتيقن أن وراء كل سهم يطير قصدا ساميا تسنده محبة أبينا السماوى • وانه يريد « أن يطلقنا » •

٣ - ان الخروج من الوطن وترك الوظيفة أمر ضرورى للحصول على سعادة اسمى من تلك التى تتركها • لو أن داود بقى فى القصر الملكى لكان قد خسر حياته ، وخسر كل الأمجاد والبركات التى فاض بها كأسه فى السنوات التالية • كان هذا هو الطريق للعرش • كان هذا هو الطريق الوحيد الذى به تتحقق تلك العبارة التى همس بها صموئيل فى أذنه منذ بضع سنوات • كان هذا الطريق الجبلى بوعورته هو الطريق للوادى السعيد • لقد حرك العش لكى يقوى داود على الطيران • ولقد نقلت خمر حياته من آنية لأخرى لكى تزداد نقاوة • ولقد نزع دعامته الشجرة لكى تقف الشجرة بمفردها •

إذا فلتبع طريق السهام • من ورائك تلك الدائرة الدافئة التى أحتميت فيها طويلا • من ورائك أرض الجنوب وأمامك أرض الشمال بثلوجها • من ورائك ماضيك المعروف وأمامك المستقبل المظلم المجهول • أخرج الى الأرض التى يريك الله كابرهم • أدرك سفينتك الى ناحية غروب الشمس مثل كولبوس • لتكن لك ثقة داود الذى قال :

انك لن تترك نفسى فى الهاوية

لن تدع تقيك يرى فسادا

مز ١٠: ١٦ و ١١

تعرفنى سبيل الحياة

(٣) وكانت السهام تعبر عن ضرورة تحمل المحبة البشرية
لآلام الفراق . كان هذا آخر اجتماع يلتقى فيه الصديقان النبيلان
قبل انقضاء فترة طويلة ، لأنهما لم يلتقيا بعد ذلك سوى مرة
واحدة قبيل موت يوناثان . لقد كانا واثقين من أنهما سيفترقان
إلى حيث لا يتلاقيان . ويظهر أن نفس يوناثان بذوع خاص قد
تثقلت إذ أيقن أنه سوف لا يعود إلى الاستمتاع بعشرة داود
الطوة ، ولذلك استحلف داود بذلك القسم المؤثر أن يكون أميناً
نحو نسله وأن يذكر محبتتهما عندما يبید الله كل أعدائه .
وأخيراً قال له يوناثان « اذهب بسلام » كأنه لا يطيق آلام ساعة
الفراق . « اذهب بسلام لأننا كلينا قد حلفنا باسم الرب قائلين
الرب يكون بينى وبينك وبين نسلى ونسلك إلى الأبد » ثم قام
داود وارتحل كشريد طريد ، عرضة فى أية لحظة للقبض عليه
والبطش به . أما يوناثان فعاد حزينا مهموما إلى القصر الملكى
لقضاء بقية حياته مع من لا يبالي بأسمى مبادئه ، بل مع من
أثار أرق عواطفه .

هذه هى الساعات التى فيها تترك القلوب دامية ، وتشيب
لهولها الرؤوس . أن العالم فى اندفاعه لا يبالي بالمأسى التى
تحصل حوله . فالشباب يتألم حتى يكتظ بالآلام ، والشيوخ
لا ينسون ما حل بهم من شجون وأحزان ، وبعد منظر كهذا
لا يمكن إلا أن تنهمر الدموع من العيون كلما مرت الذكريات
بالمخيلة . على أن المسيح يأتينا فى تلك اللحظات الأليمة كما
طمأن قلوب تلاميذه فى القديم إذ تثقلت نفوسهم باقتراب ارتحاله
عنهم « لا تضطرب قلوبكم . . آمنوا بى » وهل بعد هذه من

تعزية ؟ ان كنا نؤمن بأنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، وندرك بأن محبته تتخلل كل حركة تخرج من بين يديه وكل فكرة تخرج من فكره ، ان كنا نكئ على صدره ونتكل عليه كل الاتكال ، عندئذ تهون علينا ساعة الفراق، ونجد بيننا وبين من افترقوا عنا صلة قوية لا تقوى عليها عوامل الحدثان .

الفصل العاشر

أشرف على الهلاك

١ صم ٢١ ، مز ٥٦

ومهما أصابك من شرور في الحياة
فلا تحاول أن ترسم لنفسك طريقا للنجاة
كن أمينا لله وألق كل همك عليه
فإنك لابد أن تجد الخلاص في النهاية

(ترنم)

ليس السير مع الله أمرا مينا ، فما أضيق الباب وما أكره
للطريق ، والهواء حول أعالي قمم جبال الشركة الالهية يندر
وجوده ، ويصعب استنشاقه ، والأقدام البشرية تعيا بعد قليل ،
والإيمان يميل إلى التوقف عن متابعة السير مع الله . هذا
ما اختبره داود فقد مرت عليه فترة أليمة جدا يجدر بنا التأمل
في الخطوات التي أدت إليها ، وفي نتائجها ، وكذا في تخلصه
منها .

(١) خطوات ضعف داود :

كانت العلامة الأولى على ضعفه ملاحظته ليوناثان أنه
مخطوطة بينه وبين الموت ، ١ صم ٢٠:٢٠ . واضح من هذه

الكلمة ان ايمانه قد بدأ يضعف ، لأن الله سبق أن أكد له تأكيداً لا يدع سبيلاً للشك بأنه لا بد أن يتبوأ عرش الملك . لقد نظر الى الله فى ظلمة الظروف الحالكة التى كانت تنذر بالخطر المحقق لدى النظر اليها بالعين المجردة بدلا من أن ينظر الى الظروف فى ضوء معونة القدير . لقد كانت العواصف والأمواج تزعجه أكثر مما كانت تطمئنه مواعيد الله لقد كان رمح شاول يلاشى من عقله تكريات تلك الساعة التى اقتبل فيها مسحة الدهن من يد صموئيل ، يخبرنا الرسول يوحنا أنه ليس كافيا أن ننال هذه المسحة مرة واحدة بل يجب أن تستقر علينا وتثبت فيها ، وهذا ما تم مع مخلصنا فان المعتقدان رأى الروح نازلا « ومستقرا عليه » . ولكن لعل داود اكل كلية على ما ناله وأهمل واجبه اليومى نحو الامتلاء يوما فيوما (يو ١: ٣٣ و ٣٤ ، و ١ يو ٢: ٢٤) .

أما الخطوة الثانية فانه التجأ الى الخداع والمواربة ، الأمر الذى لا يليق به ولا يتفق مع صديقه الأعظم ربه والله . كانت هذه خطوة أخرى فى سبيل انزلاقه من مكانته السامية وشركته السماوية . الله نور ، والنور حق ، وعلى الذين يسلكون معه أن يخلعوا أعمال الظلمة ويلبسوا أسلحة النور ويسلكون كأبناء النهار .

فى مساء اليوم السابق للسبت وصل صهر الملك (أى داود) ومعه جماعة من أتباعه الى مدينة نوب الصغيرة الواقعة بين الجبال والتى تبعد عن جبعة نحو خمسة أميال الى الجنوب . كانت تقع تلك المدينة فى موقع منعزل هادئ بعيد عن الطرق التجارية والحربية يتناسب مع أخلاق سكانه الذين كانوا يهتمون بخدمة الأقداس . كان يسكن هذه المدينة ستة وثمانون شخصا ممن يلبسون الأقدوس فى حياة هائلة مع زوجاتهم وأولادهم وأطفالهم ولهم كفايتهم من ثيرانهم وحميرهم وغنمهم . فى ذلك المكان الهادئ المنعزل المقدس لم يكن يسمع شيء من ضجيج

الغواصف التي كانت تجتاح العالم الخارجى . لم يكن متوفرا فيه على الأقل ما يدفع به غزو أضعف الجنود ، لأنه لم توجد فيه أسلحة مطلقا سوى سيف جليات الذى كان قد أودع هناك منذ يضع سدوات كعلامة لنصرة بطل اسرائيل الشاب . لعل الاجتماعات العظيمة السنوية التي كانت تقام فى تلك المدينة قد أبطلت ولم يتزدد عليها سوى الزائرين بين حين وآخر - كنواغ - الذين يأتون لايفاء نذورهم أو ليتطهروا من نجاساتهم حسب وصية الثاموس . من هذا يتضح أنه لم يكن هناك استعداد لاطعام عدد كبير ، فان نصيب الكهنة الضئيل كان بالكاد يكفيهم ، وإذا ما نزل عليهم ضيفان أو ثلاثة شعروا بشيء من الضيق ، فانهم لم يجدوا خمسة أرغفة من الخبز العادى لتقديمها لضيوفهم .

لما تقدم داود الى أخيمالك الكاهن اضطربت نفس الساكنين وكان لا بد لداود من الاجابة على الاسئلة التي وجهها اليه لكي يزيل من نفسه الشكوك ، وهذا ما حاول داود أن يفعله إذ قدم حجة التي تتضمن فى أن سيده الملك قد أوفده فى مأمورية هامة عاجلة . وأوهم أخيمالك أن مأموريته هذه كلفته السير ثلاثة أيام هو ومن معه ، وأنها سرية جدا لا يصح أن يروح بها لأحد ، وأن هناك حامية كبيرة تنتظره عن بعد . وبينما هو يقدم هذه الحجج للكهنة البسيط السانج ويطلب منه معونته بامدادته بما يحتاجه هو ورجاله من طعام وسلاح هزت قلبه رعشة عنيفة إذ رأى وجه دواغ الادومى « رئيس رعاة شاول » . لانه أدرك أن تفاصيل الرواية سوف تنقل بلا رحمة الى الملك الذى يسعى وراءه للانتقام منه . وملا الخوف قلبه من نحو مضيقه البرى ومن نحو نفسه ، وخالما انتهت خدمة السبت ترك المكان فورا وركض بكل قوته عبر الجبال فى الاتجاه الجنوبى الغربى الى أن عبر وادى البطم الذى حاز فيه النصر فى موقعة جليات الخالدة . ولكن سبحة مغير الأحوال فقد تبدلت الأحوال فى ذلك الوادى وتغيرت تغييرا

كلية ، اذا كان كل ساكنيه الآن وحوش الأرض وكاسرات السماء .
وعلى بعد عشرة أميال منه تقع مدينة الفلسطينيين المتكبرة «جت»
التي أرسلت في ذلك الوقت بطلها المتعجرف . لقد ترك داود
وراءه عدوه اللدود ، وهل ينتظره في جت خطر أشد مما كان
يهدده طالما بقى في أرض يهوذا . لذلك عزم على دخول جت لعل
الفلسطينيين الذين يعرفون بأنه منذ بضع سنوات كان غلاما يرعى
الغنم لا يمكن أن يخطر ببالهم انه وصل الى ملء القوة الحربية ،
أو لعلهم يرحبون بمساعدته في حروبهم ضد بني شعبه اسرائيل .

وللحال عرفت شخصيته بسبب ما كان يبدو على وجهه من
علامات الفزع والخوف ، أو ربما بسبب سيف جليات المعلق في
منطقته ، فتذكر عبيد أخيش الأغنية التي حركت غيرة شاول .
وحالما عرف بأن هذا هو قاتل ربواته قوبل بالكراهية والبغضاء ،
فهو الذي قد تلطخت يداه بدم الفلسطينيين وهو الذي ارتفع من
المزبلة على حساب تخريب بيوت الكثيرين من الفلسطينيين . وهنا
وجدوا القصة سانحة للانتقام لأنفسهم بسبب كل هذا واذ رأى
داود مقدار الأثر السيئ الذي حدث في البلاط الملكي ، وأدرك
الخطر المحقق الذي ينتظره ، اما بالسجن أو بالقتل ، نجى نفسه
بالانحدار أخلاقيا الى درجة الغش والرياء حيث « تظاهر بالجنون
واخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته » .
فنجحت حيلته وطرده أخيش بعد أن أشار الى عبيده اشارة هي
أقرب ما تكون الى النكتة والتفكهة بأن لديه من المجانين ما يكفي
ولا داعي أن يأتوا اليه بمجنون آخر . لا شك في أن هذا التصرف
كان مزريا بداود ، لا يليق بمسيح الله . ووجه اللوم فيه هو انه
لم يكن هنالك ما يبرره لو انه لم يضعف ايمانه ويبتعد عن الله
إلى .

(٢) مزمور الحمامة البكماء :

لدى الاطلاع على المزمور ٥٦ الذى يشير بكل تأكيد الى الحوادث السابق الاشارة اليها قد ندهش لأول وهلة ان يخلل الينا ان هنالك تناقضا بينه وبين تلك الحوادث . ولكن ليس هنالك ما يدعو للشك فى دقة الاشارة التى جعلت عنوانا للمزمور (١) والتى كتبها داود نفسه .

ولدى التأمل الأدق يتضح ان هنالك أوجها للشبه بين ظروف داود وبين كلماته القوية فى المزمور . وهذا يبين لنا انه قد يكون وراء الكثير من العبارات أو الأشياء المحترقة والمزدرى بها روح تاتهب غيرة وتقوى وحنينا حارا الى الله ، وقد تكون هنالك نفس كريمة وسط الأشياء الرذيلة . ولا شك فى أن من ينظر نظرة عاجلة الى داود فى تصنعه الجنون لا يمكن أن يخطر بباله انه كان يتأمل فى بعض الأفكار التى تعبر لكل الأجيال عن أعماق الإيمان واخلص الثقة . ولكن هذا ما حصل فعلا .

يحتوى الجزء الأكبر من هذا المزمور النفيس على فقرتين تتفقان فى قرار واحد (٢) هو أقوى وأسمى ما فيهما من معان . أما باقى المزمور فنراه مملوءا رجاء وتسبيحا مع التعبير عن الفرح الذى يملأ قلب المرنم ان يذكر ما سوف يتمتع به عندما « يسير قدام الله فى نور الاحياء » .

(١) وهى : « لآمام المغنين على الحمامة البكماء بين الغرياء » . مذهب لداود عندما أخذه الفلسطينيون من جت « . . . » .
(٢) وهذا القرار هو : « الله افتخر بكلامه ، على الله تمكلت فلا أخاف ، ماذا يصنعه بى البشر » ع ١٠ و ١١

(الفقرة الأولى) (ع ٤-١) انه يتحول عن الانسان ويلجأ
 لله يتحول عن صفوف أعدائه الألداء الذين اضطفوا حوله
 محاولين افتراسه وابتلاعه ويلجأ للرحمة الالهية . انه يعتبر
 نفسه كصمامة وحيدة بعيدة عن وكرها فى الغابات . كان قلبه يرتجف
 خوفا تخامره الريب والشكوك وسط الكثيرين الذين يقاومونه
 بكبرياء . ومع ذلك نراه يضع الخوف فى كفة والايمان فى الكفة
 الأخرى ، ثم يقنع نفسه بأنه لا مبرر لمخاوفه ان يقارن بين قوة
 الانسان الجسدية وقدرة الله اللانهائية . وهكذا يرتفع فوق
 الأمواج المتلاطمة ، ويثبت قدميه على صخرة ، ويضع فى فمه
 ترنيمة جديدة ، هذا هو قرارها : « لا أخاف » . ايه أيتها
 النفس السعيدة التى تعلمت كيف يكون الثبات فى الله كصخرتك
 وحصنك .

(الفقرة الثانية) (ع ٩-٥) مرة أخرى نراه يغوص فى
 الأعماق ، فقد ابتلعت الأمواج ان عادت فهجمت عليه . لقد تحول
 افتخاره الى أنين ، وتحول التحدى الى شكوى . لم يكفوا عن
 تحريف كلامه لحظة واحدة ، ولم يبدأوا برهنة واحدة دون أن
 يفكروا عليه بالشر ، ولم يخط خطوة واحدة دون أن يلاحظها
 أولئك الذين ترصدوا نفسه . لقد كثر تبهانه وهو يهرب من
 ملجأ الى ملجأ . لقد انهمرت دموعه غزيرة ثخينة . لقد صار
 أعداؤه أكثر من شعر رأسه ايه أيتها النفس ، أهذا هو صبرك
 الذى كان منذ لحظة يتهلل بالتساييح ؟ أسفا عليك . على اننا
 وسط تأسفاتنا هذه نسمع صوت الايمان مرة أخرى يرن هاتفا
 بلهجة الواصل : « هذا قد علمته ان الله لى » ، ثم نسمع قرار
 الترنيمة القديمة .

الله افتخر بكلامه

الرب افتخر بكلامه

على الله توكلت

فلا أخاف

ماذا يصنع بهي الإنسان

(الفقرة الثالثة) (ح ١٠-١٣) لا رجوع الى الوراء فيما
بعد . فقد ثبت قلبه ، واتكل على الرب ، واستقرت نذور الله
على رأسه . هوذا ينظر خلفه الى الهاوية المظلمة التي أوشكت
أن تبتلع نفسه ، ويدرك أنه قد نجا منها الى الأبد . واذ يشرق
الصباح يرى آثار قدميه على حافة الهاوية ويتيقن أن قوة الله
ونعمته هما اللتان خلصتاه من التردى فيها . والآن يستعيد
نشاطه وغيخته وبهجته التي قد خسرها بهربه المخزى من جبعة
الى ثوب ، ومن أنه الآن فصاعدا سيسير « قدام الله في نور
الأحياء » ، ومتيقنا أن الحق والطهارة والبهجة ستصير نصيب
نفسه .

وفي تلك الساعات الحرجة التي قضاها في جت والتي ظن
فيها أن شعلة الحياة كادت تنطفئ بسبب حقد الفلسطينيين عليه
نراه يرجع الى الله ، ويمسك بحبل الرجاء الذي به يصعد من
الهاوية الى النور ، ويجلس مرة أخرى كطفل في بته وقد مسحت
بالدهن رأسه ومدت أمامه مائدة تجاه مضايقيه .

(٣) عاقبة أخيمالك :

قد تغفر خطايا أولاد الله ويعودون الى حالتهم الأولى الا أن
هذه الخطايا قد تسبب الويلات والنكبات لنفوس الكثيرين من
الأبرياء . وهذا ما حصل في هذه المناسبة . فانه بعد ذلك بقليل
كان شاول جالسا تحت الأثلة في الرامة ورمحه في يده وجميع
عبيده وقوف لديه ، فحاول أن يستثيرهم بتعداد المساويء التي

خيل اليه أن تحملها من داود . وانتهز دواغ هذه الفرصة للتقرب من الملك فقص ما رآه في نوب ، متحاشيا ذكر براءة الكاهن وسذاجته ، وروى الرواية بحيث يتبين منها كما لو كان الكاهن بويته شركاء في الجريمة مع داود ، وأنه يميل الى مساعدة داود لكي تكون له السيادة والسلطان . وعبثا حاول أخيمالك أن يثبت براءته ، فانه عدد الخدمات الجليلة التي أداها داود ، وأشار الى المناسبات الكثيرة التي طلب فيها داود مساعدته ، مؤكدا بأنه لا يعلم شيئا عن النزاع القائم بين شاول وصهره . وقبل غروب الشمس اهرقت دماء جميع الكهنة وقتل كل الأحياء في تلك المدينة الجبلية الصغيرة بحد السيف . وهكذا نرى أن كل جماعة الكهنة ابعدوا بضربة واحدة بلا رافة .

لم ينج إلا شخص واحد هو أبياثار الذي حمل معه الاقود والذي سنقرأ عنه فيما بعد . دهش داود إذ التقى بأبياثار راكضا بكل قوته الى وادي البطم لكي يجد مخبأ مع تلك الجماعة الطريدة في مغارة عدلام .

إذا فليحذر أولاد الله لأن الخطية تسبب مرارة في نفس الخاطيء ، ومرارة في نفوس الآخرين بسبب نتائجها الوخيمة . لنسلك بحذر ، وسهر ، وبروح الصلاة ، سائلين ضمائرنا على الدوام لئلا نكون قد انحرفنا عن طريق النزاهة الكاملة ، ولئلا نكون قد بذرنا بذارا يستحيل استئصالها لكنها تذرت ثمارا مرة في حياة الآخرين الذين يصابون بشر أعمالنا بسبب اتصالهم بنا .

الفصل الحارث عشر

مغارة عدلام

١ صم ٢٢ ، مز ٢٤

واذ غادر داود جت بقلب شكور من أجل مراحم الله المنقذة
أسرع في عبور الحدود ثانية ووجد نفسه مرة أخرى في مملكة
شاوول ، وأدرك أن حياته في خطر شديد . ولكنه لم يتجاسر أن
يعرض نفسه لسخط الملك . كان مستحيلا أن يعود الى البلاط
الملكي ، ولذلك فكر في الالتجاء في بيت لحم غير مبال بما يجره
عمله هذا من متاعب لاهله . وظاهر انه لم يكن هنالك بديل من
أن يهرب الى جبال اليهودية ويهيم على وجهه في ربوعها حيث
كان ملما بها كل الامام منذ صباه اذ كان يرعى الغنم .

وعلى بعد ميلين من جت توجد في وادي البطم ناحية مكتظة
بالمغائر ، تقع احداها بقرب مدينة عدلام الكنعانية القديمة ولذا
سميت باسمها . اختبأ داود زمنا طويلا في هذه المغارة التي كانت
عبارة عن مكان مظلم يصل اليها الداخل من نافذة صغيرة أسفل
وجه الصخرة العمودي . وكان موقعها يمكنه من العبور من مملكة
الى أخرى حسبما يقتضي الحال . الى هذه المغارة هربت عائلته
باسرها اذ كانت تخشى بطش شاوول ، واليها ايضا التجأ كل
رجل متضايق ، وكل من كان عليه دين ، وكل رجل مر النفس ،
فكان عليهم رئيسا .

لا يسمح المجال الآن بالاسهاب فى وصف محبة داود النبوية التى دفعته لعبور تلك المسافة الطويلة من عدلام الى موآب للبحث عن مكان أمين يأوى اليه أبوه وأمه اللذان كان سنهما لا يسمح لهما بتحمل مشقات وأخطار المعيشة التى كان يحياها متنقلا بين الغاير والجبال . ويكفى القول أن طلبته قد أجيببت فوراً من ملك موآب ، ولعل ذلك يرجع الى آثار الدم الموأبى الذى كان يجرى فى عروق ذلك البطل العبرانى الشاب (١) . على أن تلك الرحلة المزدوجة - أولاً للبحث عن الملجأ وثانياً ليوصل والديه اليه - قدل على سمو فى أخلاق داود . فانه قد تم بدقة تلك الوصية الأولى المقرنة بوعد . والآن لننتأمل فى هذه المغارة وفى تلك الجماعة التى لصقت به .

(١) المغارة وما تتعلمه منها من دروس :

لا شك فى أن الروح القدس يريدنا - من دقة الوصف لهذه الاختبارات فى حياة داود - أن ندرك بأن هنالك أوجهاً للشبه بين حياته وحياة الرب يسوع فى ابعاده عن عرش العالم فى الوقت الحاضر . ان المشابهة قريبة جداً وفيها نجد عدة دروس:

١ - كان يتربع على العرش ملك مرفوض . مع أن شاول مصحه صموئيل الا أنه خسر حقه فى الملك بسبب تمرده وعصيانه ، ولاشى تأثير المسحة المقدسة كما يفعل الكثيرون منا اليوم . لقد سبق أن نطق صموئيل بالحكم بخلعه من الملك ، وكان هذا الحكم فى انتظار التنفيذ فى اللحظة المناسبة . وعلى هذا المثال كان الروح النجس - الشيطان - يوماً من الأيام ملاكاً ، يقيم فى جبل الله المقدس ، كاملاً فى كل طريقة منذ خلقته حتى سقوطه . ولعل

(١) فان راعوث جدة يسى أبيه كانت موآبية

سبب اللقب الذى أعطاه له المسيح « رئيس هذا العالم » يرجع الى تعيينه الاصلى كغائب الله وممثله ، ولكنه يسقطه خسر هذا المركز المجيد ثم خلق الانسان ليحل محله « من هو الانسان ... تسلمه على أعمال يديك » مز ٨: ٤-٦ على الانسان لم يستعمل هذا السلطان الآن ، فانه لم يخضع اليه كل شيء بعد ، ولكنه يتم فى شخص ابن الانسان الذى كلل فعلا بمجد وبهاء مز ٨: ٥

وفى نفس الوقت ان الشيطان لا يزال متربعا على عرش العالم وكم من مرة صوب رمحه نحو الملك الذى وجد حسب قلب الله . وفى التجربة على الجبل ، وفى جثسيماني ، ظن بأنه قد ضربه حتى الحائط . وفى عصرنا الحاضر نراه يأتى بأخر ما عنده ليقتضى على مملكة المسيح رغم علمه بأن الله قد قصد لها أن تحل محل مملكته هو . على أن كل محاولاته لا بد ذاهبة أدراج الرياح . وكما سقط شاوول فى حقل جلبوع كذلك لا بد أن يسقط رئيس الظلمة سقوطا نهائيا فى أعماق الهاوية .

٢ - وكانت مملكة داود خفية . لقد كانت مملكة حقيقية ولو فى السر والخفاء ، متوارية فى ظلمات مغارة عدلام ، ومختبئة وراء الأودية والجبال . لقد وقع فى الأرض ومات لا لكى يبقى وحده بل لكى يأتى بثمار كثيرة . انها لعملية غامضة تلك التى تجوزها حبة الحنطة الصغيرة فى الشتاء ان تخضع لعوامل التحطيم التى تنتظرها فى جوف الأرض . فانها ان تعرض لفعل رياح الشتاء ، وتداس بقدمى الفلاح الذى يحرق الأرض ، وتدفن وتبقى وحدها ، كأنها قد تركت من الله والانسان لتعمل فيها عوامل الفناء والانحلال يوما فيوما ، واذ تذيبها مياه الامطار وحرارة الشمس حتى تشوه هيئتها ، فانها تبدو كأنها غير مجدية لله أو للانسان . هكذا كان اختبار داود ، وهكذا أيضا كان

اختبار الملك السماوى الذى رأيناه متروكا على الصليب بسر غامض لا تستطيع أن تصل اليه عقولنا ، ومتروكا فى القبر بسر لا يدرك ، والذى نرى الآن شخصه ومملكته متواريين عن عالم البشر .

ليس ببعيد ذلك اليوم الذى يستعلن فيه الرب مع قديسيه ، ويأخذ لنفسه سلطانه العظيم وملكه ، ولو كان الآن سدواريا حتى لزمنة رد كل شيء . وتلك اللؤلؤة التى ربحها من مغارات البحار سيضعها على جبهته ، وذلك الكنز الذى من أجله اشترى حقل العالم سيفتح لتعجب المسكونة ، وذلك الجيش الذى كونه من أشخاص لا رجاء فيهم سيتبعه على خيل بيض وبثياب لامعة وفى نفس الوقت أن ملكوته فى السر والخفاء .

٣ - وكان داود واتباعه فى عزلة . لقد أبعدوا عن محلة اسرائيل ولم يكن هناك بديل من هذه الحالة . لم تكن لهم صلة مباشرة بولائم شاول واحتفالاته ، بنصائحه وأحكامه ، بسياسته الداخلية وحروبه الخارجية ، رغم أن مغارة عدلام كان لها تأثير جوهري غير مباشر على كل المملكة . لم يكن نصيب داود الا نصيب المهاجرين الغرباء ، وكذلك كان حال جميع الذين رغبوا فى مشاركته نصيبه . كان طريقه الى العرش محفوقا بالمناعب والآلام والاحزان . ومع أنه كان يتنسم الجو النقي ويتذوق طعم الحرية ، وكان قد تخلص من الرسميات فى القصر الملكى البعيدة عن خوف الله ، الا أنه كان يخس على الدوام بوحشة مرة وكآبة تكاد تقضى على أنفاسه .

ان الملك الحقيقى للبشرية لا يزال بعيدا عن رجال السياسة وعن الهيئات الاجتماعية . لا يمكن أن نجتمع بينهم وبينه . فعلى الذين يريدون أن يكونوا من رعيته وأن يكونوا شركاء فى أمجاد

الأيام القادمة التي سيتمت فيها « سلطانه من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصى الأرض » زكريا ١٠:٩ أن يخرجوا اليه خارج المحلة ، وأن يرتضوا ترك كل ما يملكون ، وأن يحسبوا « كإقذار العالم ووسخ كل شيء (١) » .

٤ - وكان داود راضيا انتظار وقت الله المعين . مهما أساء إليه شاول فانه لم يفكر يوما من الأيام أن يقابل المثل بالمثل . ومهما توفرت لديه الفرصة للقضاء على عدوه الذى كان يطارد نفسه فانه لم يستخدمها . لأنه كان مستعدا أن ينتظر الوقت المعين من قبل الله ، وأن يثال السيادة العليا بالطريقة التي أعدها الله . وقد تعلم أن يسكت نفسه كقطيم . وكانت وجهة نظره على الدوام هي هذه التي سجلها في كلماته « إنما لله أنتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى (٢) » وكأنه جلس صاغرا راضيا حتى جعل الله أعداءه موطئا لقدميه ، وأقامه الله ملكا على صهيون جبل قدسه (٣) . وب نفس هذا المعنى أيضا أن مخلصنا منتظر طول هذه الأجيال المتعاقبة . الآن وقت ملكوت يسوع المسيح وصبره (٤) ، هنا صبر القديسين بينما « انتظار الخليفة يتوقع استعلان أبناء الله . ونحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا . لأننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا . ولكن أن كنا نرجو ما لسنا ننظره فأننا نتوقعه بالصبر » رو ٨: ١٩ - ٢٥ .

(١) ١ كو ٤: ١٣ (٢) مز ٦٢: ٥ (٣) مز ٢: ٦

(٤) رؤ ١: ٩

(٢) المغارة ومن فيها :

انتشرت في كل الأرض بسرعة البرق وبشكل عجيب أخبار رجوع داود الى يهوذا واختبائه في المغارة ، وابتدأ يلتف حوله كل الذين كانوا يرنحون تحت اعباء البؤس ، والفقر ، ومسرارة النفس . وسرعان ما وجد القائد الشاب نفسه على رأس أربعمائة رجل مختلفي الأمزجة . لأن الجماعة القليلة التي كانت ملتفة حوله أمينة له سرعان ما انضم اليها الجماهير المتكاثرة من كل الذين تثقلت نفوسهم بالهموم والأحزان والذين كانوا يتوقون الى الخلاص منها . ويخبرنا التاريخ المقدس أن « وجوههم كوجوه الأسود ، وهم كالظبي على الجبال في السرعة » ١ أي ١٢ : ٨ ولكن الأرجح أن طباعهم كانت وحشية مفترسة تتطلب كل الحكمة والمقدرة للسيطرة عليها حتى يعودوا الى حياة النظام والهدوء ، وهذا ما كان في استطاعة ذلك القائد الشاب . يقينا أنه لم يكن بالأمر الهين تدريب هذه الجماعة حتى صارت ذواة لأعظم جيش في ذلك العهد يحمل علم اسرائيل في عصوره الذهبية .

يجب ألا ننوهم بأن داود كان في تلك الحقبة من حياته رئيس عصابة لصوص أو قطاع طرق ، لكنه بالحرى كان بمثابة حصن منيع لحماية الحدود من غارات العمالقة والفلسطينيين الذين كانوا على الدوام يقتحمونها وقت الحصاد ويكتسحون كد الفلاحين . اذا فقد صار هو المدافع عن شعبه ولو كان مبعدا عنه . حتى أنه كان يشبه هو ورجاله في الأحاديث العادية في ذلك الوقت بسور لرعاة جنوب يهوذا وفلاحيتها « ليلا ونهارا » ١ صم ٢٥ : ١٦

من المستحيل أن لا يتحول الذهن من داود الى ذلك الملك

(م ٧ — حياة داود)

الأعظم ، الذى ولو أبعد عن أنظمة هذا العالم ورئيسه الا انه على الدوام يجمع حول رايته الفقراء والمساكين والنبوذيين ، البرص والخطاة ، العمى والعرج ومنكسرى القلب ، المتضايقين والمديونين والمضطربين ، ويجعل منهم جدودا يربحون العالم لشخصه .

ان كان أولئك الجنود الأقطاظ الأغبياء قد وجدوا مركزا جديدا لحياتهم فى داود فأننا قد وجدنا هدفا جديدا للحياة فى الرب يسوع الذى اذا ما عشنا من أجله نجد الحياة حياة حققة ، واذا ما متنا من أجله نجد الموت ربنا .

وان كان هذا المركز الجديد قد قطع كل علاقة لهم بمملكة شاوول المتدهورة فان اتحادنا بالمخلص الحى قد فصلنا عن العالم وجعلنا مواطنين لعالم أفضل . لقد اتخذناه نصيبا لنا فى الحياة ، وصرنا رعية اورشليم الجديدة ، وأصبح يلذ لنا الاعتراف بأننا غرباء ونزلاء فى هذا العالم .

وان كانوا قد نزعوا عنهم عاداتهم وتصرفاتهم السابقة ، وسمحوا لآلة نسيج المحبة والقداسة أن تنسج لهم ثوبا جديدا ، قد خلطنا الانسان العتيق مع اعماله ولبسنا الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه .

وان كانوا قد أحبوا داود لأنه سكن اضطرابهم ، وخفف أحزانهم ، وأراحهم من حياة الفوضى والعبث ، فحرى بنا نحن ان نحب بالأكثر ذاك الذى أحسن إلينا أكثر مما أحسن داود الى اتباعه المساكين . فانه قد وفى ديوننا بدمه الثمين وخلصنا من دائبنا ان قابلهم هو بنفسه ، وألبسنا جماله الكامل ، وأراحنا من أحزاننا ، وسكن وهدأ نفوسنا .

وان كانت علاقة داود باتباعه قد ازدادت قوة على مسر
السنين لأنها ربطتهم بشركة متينة كانت نتيجة اشتراكهم معا في
الأخطار العامة ، أخطار الليل وأخطار النهار ، أخطار العدو
اللدود ، أليس حريا بنا أن نجد في اثر الشركة مع ربنا المبارك
التي لا بد أن تنمو كلما ازدادت ألامنا التي نشترك فيها معه

(٣) المغارة وأغنيتها :

لدى التأمل في الزمور الرابع والثلاثين نجد فيه اشارات
عدة ترجح بأنه يتصل بمغارة عدلام . فانه هناك كانت تلك
الجماعة الصغيرة في حاجة أن يحل حولها ملك الرب لينجيها ،
وهناك احتاجت الأشيال وجاعت ، وهناك أيضا كانت عفاية الله
تحفظ عظام تلك الجماعة بصفة دائمة لئلا ينكسر واحد منها
ع ١٧ و ٢٠

ونحن نستطيع أن نتخيل ذلك القائد في مساء أحد الأيام ،
بعد أن أعيته اضطرابات اليوم ومتاعبه يجمع جماعته حوله
ويسمعهم هذه الكلمات: « هلم أيها البنون استمعوا الى فأعلمكم
مخافة الرب » ع ١١ وعلى الفور يقدم لهم هذه النصائح الثلاث
عظموا الرب معي . . . ، ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب . . . ،
اتقوا الرب يا قديسيه ، ولعلمهم جميعا بصوت واحد لبوا النداء
وانشدوا قائلين « الرب فادى نفوس عبيده وكل من اتكل عليه
لا يعاقب »

ويحسن بالنفس التي تعيش حياة العزلة ونالت التبكيت على
الخطية ، وتمتع بمغفرتها ، وطرحتها وراء ظهرها ، أن تتأمل
في هذه الحقائق الأربعة :

١ - الخلاص • حتى وسط المصاعب والارتباكات التي سببها سوء تصرفها ع ٤ و ٧ و ١٧ و ١٩

٢ - الاستنارة • وكما يفعل نور الفجر للنفس الساهرة طول الليل هكذا يفعل الله للنفس التي تسبكت في الظلام طويلا لو انها اتجهت نحوه ع ٥

٣ - سد كل المطالب • وبذلك لا يعوز النفس شيء مما تشعر بانها في حاجة حقيقية له ع ١٠

٤ - الشعور يقرب الله • هو أقرب من أقرب شيء الينا وموجود يقينا كيقنية وجود أى شيء من المراتيات ع ١٨

ان كان داود قد استطاع في مغارة كهذه أن يتحقق من وجوده في حضرة الله بينما كانت لديه المشاغل الكثيرة التي تشغله عن الله ، وبينما كان مضطرا أن يصرف كل ساعة مع رجاله، فكم يكون ذلك مستطاعا وميسورا لنا جدا • ومتى تحققنا من هذه الحقيقة تم لنا كل شيء في الحياة على أحسن وجوهه •

ما الذي يميز الربيع ببهائه وجماله عن الشتاء بعبرسته الا قرب الشمس وانجذاب الطبيعة نحوها وتشكلها بالوانها الخلابة •

هكذا أيضا ايها الاخ العزيز يامن سقطت في الخطية ، وأصبحت كسير القلب ومنسحق الروح ، لا تنتظر خلقك الى سبقاتك الماضية وتقصيراتك السابقة ، ولا تقف مذعورا من احتمال رجوعك الى الخطية، بل انظر الى فوق وانظر بعيدا الى وجه يسوع • أتوسل اليك أن لا تتطلع الى الفاحية المظلمة بل الى الفاحية المنيرة • أسكن في ستر العلى • أمكث في بيت الرب كل

أيام حياتك ، ادخل قدس الأقداس بجراءة لتمكث هناك ، اطلب من الروح القدس أن يعينك لتحقيق من وجودك في حضرة الله بصفة مستمرة . ردد لنفسك هذا القول كل يوم مرارا حتى ولو لم تجد ميلا لذلك « أنت قريب ، أنت هنا » ليكون الشعوز بقرب الله هو لذتك . ذق وأنظر طيبة حياة كهذه .

هكذا تدرك أسعد وأقوى الاختبارات الممكنة للقديسين ، « قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحق الروح »
ع ١٨ .

الفصل الثانی عَشَرَ

الحصاة البيضاء

١ صم ٦:٢٢ ، مز ٢٧

الا يضيء الرب بنوره

للذين يطلبونه منه ؟

نعم انه يهبهم اياه بغزارة

لان ذلك بهجته ومجده

وذلك يتفق مع طبيعته

اما المتكبرون غير المخلصين

او الذين يتغافلون في طلبه

فانه لا ينعم عليهم حتى ببصيص من النور

(كوبر)

لا نعلم على وجه التحقيق أين كان داود عندما انضم إليه
أبياثار ولكن لدى التأمل تاريخيا قد نميل الى الاعتقاد بأن مذبحه
الكهنة تمت بعد هروبه الى جت بوقت قصير ، وفي هذه الحالة
يكون أبياثار قد أتى الى داود عندما كان في مخبئه الأول في
مغارة عدلام إذ أقام فيها فترة طويلة . على أساس هذا الغرض
ذكرنا في نهاية الفصل العاشر أن أبياثار إذ هرب ركض بكل
قوته حتى وصل الى تلك المغارة .

على أننا إذا حكمنا بأن أبياثار التقى بدادود فى « قعيلة » كما يستدل من ١ صم ٦:٢٢ فالأرجح أن هذه المدينة كانت تقع فى وعر حارث (أو غابة حارث) التى تبعد قليلا عن عدلام الى الجنوب ، وهى قريبة أيضا من حبرون • ويظهر أن جاد النبى الذى انضم حديثا الى داود ، والذى رتب له العناية أن يلازم داود فى كل أدوار حياته لكى تتاح له الفرصة لتسجيل تاريخ حياته ، هو الذى أشار على داود بهذا الانتقال (اى من مغارة عدلام الى قعيلة) على أساس أن المدينة المكشوفة الأمن - فى حالة المطاردة - من المغارة التى يمكن اغلاق مدخلها فتصبح مصيدة للموت (١ صم ١٥:٢٢ اى ١، ٢١، ٩، ٢٩:٢٩)

ومن الجهة الأخرى ان ما ورد فى ١ صم ٦:٢٢ يفترض بأن أبياثار أتى الى داود فى قعيلة ، « وكان لما هرب أبياثار الى داود الى قعيلة نزل وببده أفود » • على أن الترجمة السبعينية تفترض أن أبياثار لما أتى الى داود نزل كلاهما الى قعيلة • وكان لما هرب أبياثار الى داود نزل مع داود الى قعيلة وببده أفود ، لا أنظر هامش الكتاب المقدس (• اذا صح هذا فإن الاستعلام الوارد ذكره فى ع ١-٥ تم بواسطة الأوريم والتميم كما كانت العادة حينذاك •

وعلى أى حال فلا مبرر لإطالة البحث فى هذه الأمور القليلة الأهمية • ففرضنا الرئيسى الآن هو تبيان عادة داود التى ثبت عليها كل أيام حياته وهى انتظار الله للهدى والارشاد • ونحن إذ نلاحظ أن الخطوات التالية فى حياته لم يخطأها الا بعد انتظار الارشاد الله بكل دقة نجد فى هذه الملاحظة كثيرا من الدروس نفوسنا • وكأنه فى النصيحة التى يقدمها إلينا اجمعين فى هذا المزمور الذى يرجع تاريخه الى تلك الحقبة من حياته يفرغ أعظم اختباره :

انتظر الرب

ليتشدد وليتشجع قلبك

مز ١٤:٢٧

وانتظر الرب

والآن لننتأمل فى حالة داود النفسية عند كتابة هذا المزمور (٢٧) وفيما نستطيع أن نستخلصه من فوائد حياتنا اليومية :

(١) وجهة نظر المرنم ورغبة قلبه :

هناك أدلة داخلية كثيرة تؤكد بأن هذا المزمور يشير الى هذه الفترة من حياة داود . فقد كانت حينئذك مظلمة كمغارة عدلام من الداخل ، ولذلك نراه يتحدث عن الله كنور له . وكانت حياته معرضة للخطر كل يوم ولذلك كان عزاءه أن يجد الله خلاصا له . ولقد كان الرب حصن حياته فعلا أكثر مما وجد فى حصن تلك الصخرة . قد يقترب اليه الاشرار ليأكلوا لحمه ولكن لا بد انهم يعثرون ويسقطون ، كما سقط جليات فى نفس ذلك الوادى . قد ينزل عليه ولكن قلبه لا يخاف . قد تقوم عليه حرب ولكنه مطمئن لقد اختبأ فى مظلة القدير من وجه كل مطاردة وارتفع فوق صخرة لن يصل اليها أعداؤه . صحيح انه لم يعد بعد يلتجئ فى بيته الاول فى بيت لحم ، ومن هذه الناحية تركه أباه وأمه ع ١٠ ولكن الرب ضمه اليه وصار أباً وأماً .

أما الاشارات الأخرى نحو ضيقة نفسه الشديدة ومرارتها وضرورة هدايته فى سبيل مستقيم ، وشهود الزور الذين قاموا عليه ونقثوا فيه ظلماً (وهذه الاشارة تنطبق تماماً على وصف أبياثار لخيانة دواغ) - كل هذه الاشارات تؤكد بأن هذا المزمور الجميل يشير الى إقامة داود فى المغارة . هذا المزمور إنما هو

صرخة الائمة لا شك فى انها طالما انبعثت من قلب داود فى تلك الايام المحزنة الحالكة السواد . ولا شك فى أن الصخور المحيطة به طالما سمعت صرخاته الائمة وشهدت دموعه ، وأحست بمرارة نفسه التى أشرفت على الهلاك كلما رجع بذاكرته وتأمل فى تلك الهاوية التى تردى اليها والتى نجا منها بكل صعوبة ، فانه لم ينس قط أنه بزلته الاخيرة فى جت جعل الله يحجب وجهه عنه ويرفضه ويتركه ويخيه بسخط ع ٩٠ . ولكنه يعود فيطمئن نفسه بأنه وسط هذه الظلمات الحالكة التى اجتازتها نفسه قد آمن بأن يرى جود الرب فى أرض الاحياء ع ١٣ . ويعزى نفسه بأن ذلك الذى شدد نفسه بالرجاء المبارك لا يمكن الا أن يحقق الرؤيا التى بها رد عبده الضال اليه

ان الاعتراض الرئيسى على الافتراض بأن هذا المزمور يشير الى تلك الفترة من حياة داود ناشئ من اشارته فيه الى بيت الرب ، والخيمة ، والهيكل ع ٤٠ . ولكن هذا الاعتراض لا يمكن أن يجد من هذه الاشارات الدليل القاطع . فالتنا نجد نفس هذه الفكرة فى المزمور الثالث والعشرين حيث يبين الراعى المرمم رغبته فى أن يسكن « فى بيت الرب الى مدى الأيام » . وليس معقولا أنه فى حادثته رغب فى قضاء باقى أيام حياته فى الحدود الضيقة للخدمة اللاوية . لأن رغبة كهذه لا تتفق مع روحه الوثابة . اذا فإن هذه الرغبة - للسكن فى بيت الرب - التى ملأت قلبه فى حادثته أيام كان راعيا ، وفى هذه الفترة التى قضاه فى المغارة ، وفى منفاه عند هروبه فيما بعد من وجه ابشالوم ، يمكن تفسيرها بأنها تشير الى رغبته فى الشركة الالهية المتصلة التى تستطيع أن يجد فيها هدى وارشادا فى كل طريقه الخطرة المظلمة .

عندما نقرأ كلماته على ضوء هذا التفسير نجد فيها معانى

جديدة بهيجة • وعلى ذلك يمكننا القول بأنه كان يرغب فى البقاء فى شركة كاملة مع الله ، يتناجى معه وجها لوجه ، كما كان يفعل الكهنة فى الهيكل فى نوب • كان يشاق أن يتاح له فى أى وقت الالتجاء الى كلمة الله • كانت أمنية قلبه أن يعيش بقرب الله حتى اذا ما سمعت الدعوة الالهية فى أى وقت ولو بصوت خافت قائلا « اطلبوا وجهى » يكون قريبا جدا لسمعها ويجيب قائلا « وجهك يارب اطلب »

(٢) اخفياؤه الدائم :

عندما قص الكاهن روايته فى انزعاج قلبه اجابه داود بكلمات نجدها كلها عذوبة اذا ما جعلناها لسان حال المسيح • فان المسيح اذ طرد خارج المحلة من معظم البشرية والهيئة الاجتماعية يرحب بكل نفس هاربة ملتجئة اليه قائلا لها « اقم معى ، لاتخف لأن الذى يطلب نفسى يطلب نفسك ، ولكنك عندى محفوظ »
١ صم ٢٢ : ٢٣

والسبب الخاص الذى من أجله سر داود أن يرحب بأبيائنا هو انه امكنه استخلاص الأقدود الذى بداخله الأوريم والتميم واستحضاره معه ومعنى كلمتى « الأوريم والتميم » هو « النور والكمال » ليس معروفا على وجه التحقيق ما تشير اليه هاتان الكلمتان ، ولكن الأرجح أن معناهما كما يلى :

كان الثوب الداخلى الذى يلبسه رئيس الكهنة حلة من كتان ابيض ، وكان يلبس فوقها رداء أزرق ، وفوقه الأقود ، وهو مصنوع من كتان ابيض مجدول مشغول بأزرق وأرجوان وقرمز وذهب • وكانت تثبت به صدره القضاء التى يوضع فيها اثنا عشر حجرا كريما مماثلة لأسباط اسرائيل الاثنى عشر • فى صدره

القضاء هذه وضع حجر ماسى جميل جدا أو حجران - ربما كجزء منها أو كشيء اضافى - ليعلن الرب ارادته عن طريقهما . فان قدم الكاهن بكل خشوع ووقار استعلما لله وكانت الاجابة سلبية انطقا نور هذين الحجرين ، واذا كانت الاجابة بالاجاب ازدادا رواء وبهاء ومجدا .

من هذا يتضح جليا أن داود حسبه ربنا عظيما أن يحصل على هذه الوسيلة النفيسة التى كانت أداة اتصال بينه وبين الله . لقد كان جاد النبى معه فعلا ليمثل الوظيفة النبوية ، والآن حضر ابياثار ومعه الافود ليمثل وظيفة الكهنوت السامية جدا . اذا فقد كان ميسورا له معرفة ارادة الله فى أية لحظة باحدى هاتينوظيفتين خصوصا بالوظيفة الثانية تلك الأيام الغابرة .

فاذا أتته الأخبار بأن الفلسطينيين يهبون فصيلة لا يتجاسر أن يتابعهم قبل أن يسأل الرب . واذا فكى شعب المدينة الجبناء فى أى تدبير لخيانة منقذهم لا يتجاسر أن يغادر المدينة قبل أن يصل اليه الارشاد الالهى . وفى حد اختبارات حياته الاليمة جدا عندما فكر رجاله فى رجمه نراه بدلا من أن ينتقم لنفسه يقول لابياثار الكاهن « قدم الى الافود » . فقدم ابياثار اليه الافود وسأل داود من الرب ١ صم ٧:٣٠ . وبعد أن استقر الأمر وأصبح ملك الأرض كان يحرص بأن يسأل الرب حتى عن طريقة الهجوم على الفلسطينيين فى حروبهم معه ٢ صم ١٧:٥-٢٥

من هذا يتضح جليا أن داود تعود كل أيام حياته أن ينتظر الله ، وبذلك كان يهدىء من حدة نفسه ويوقف نزاحم الأفكار المحتاجة فى عقله حتى يأتى الوقت الذى فيه تكشف اغراض الله ومقاصده . وكما أن الطفل لا يجرؤ أن يخطو خطوة واحدة

وحده ، وكما أن السائح فى أرض غريبة يعتمد كل الاعتماد على مرشده « كذلك كان داود يرفع نفسه لطلب الارشاد الذى لا يستطيع أن يمنحه أحد الا الله ، لأن المستقبل مكشوف امامه كالماضى ، ولأنه لا يخفى عنه أى امر .

(٣) الدرس الذى نتعلمه لأنفسنا :

عند خروج اسرائيل من مصر كان الرب يرشدهم وسط الصحراء بعمود السحاب وعمود النار . وبعد أن استقروا فى أرضهم حلّ محلّهما الأوريم والتيميم . وبعد ذلك بطلت تلك الطريقة التى كانت تستخدم لمعرفة ارادة الله وتكلم الأنبياء مسوقين من الروح القدس . وهؤلاء - حتى فى الكنيسة الأولى - لعبوا دوراً هاماً فى ارشاد شعب الله الى طريقه .

ولكن أصوات الأنبياء صممت عند اقتراب العصر الرسولى . ومن أين ننال نحن الارشاد ؟ هل يترك الاتقياء دون وسيلة يسألون بها الله وينالون ارشاده الصريح فى الأمور الغامضة التى تعرض لهم على الدوام ؟ كلا ، لانه فى إحدى الرسائل الاخيرة التى بعث بها الرب لكنيسته على يد الرسول يوحنا يبين لنا أن من يغلب يعطى « حصاة بيضاء » ، والكلمة « بيضاء » تعنى وضاءة أو لامعة أو بهية . إذا فقد يكون المقصود بها حجراً ماسياً ، ولعلها تشير الى حجارة صدره القضاء التى كان يلبسها رئيس الكهنة ، والتى كانت تعتم أو تضىء بالأقوال الالهية . على هذه الحجارة كان ينقش اسم « يهوه » بحروف تمزية . وعلى هذا المثال قيل ان الحصاة البيضاء التى ينالها كل مؤمن انتصر فى الحرب الروحية على الخطية والعالم منقوش عليها « اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذى يأخذ » رؤ ١٧:٢ .

وبتعبير آخر ان لكل واحد من اولاد الله اوريمة وتعيمه ،
أى ضمير بلا عثرة ، قلب مطهر بدم المسيح ، طبيعة روحية
يسودها ويملاها روح الله القدوس .

عندما نكون فى ريبة أو صعوبة ، عندما نسمع أصواتا
كثيرة تطلب منا الاتجاه نحو هذه الطريق أو تلك ، عندما نقدم
لنا حكمتنا البشرية نصيحة ويقدم لنا الايمان نصيحة أخرى ،
عندئذ لنصمت ، ولنبعد كل مقفل ، ولنهدى أنفسنا فى حضرة
الله بصمت ورهبة ، ولندرس كلمته بورع وخشوع والتفات ،
ولنرفع طبيعتنا فى نور وجهه الصافى مشتاقين فقط لمعرفة ما يقرره
الرب الاله - عندئذ لا يمضى وقت طويل حتى نجد جوابا صريحا
مبيناً لنا ارادته بكل وضوح . ليس من الحكمة - فى بدء الحياة
المسيحية - الاعتماد على هذه الطريقة وحدها ، بل لنتنظر حتى
نجد تأكيدا مما يجرى حولنا من ظروف . أما الذين قد تعمقوا
فى شركة الله فانهم يدركون تماما قيمة الاختلاء به لمعرفة ارادته .
وفى كل يوم تثرى علينا الحوادث التى تبين بكل وضوح أن سر
الرب لخائفيه الذين يريهم عهده .

هل أنت فى شك من طريقك ؟ اذهب الى الله بسؤالك ،
واطلب الارشاد من نور ابتسامته (اجابته بالايجاب) أو من ظلام
رفضه (اجابته سلبيا) . ان استطعت أن تختلى بالله حيث
لا تستطيع أن تنفذ اليك ظلمات أو أنوار الارض ، وحيث لا تستطيع
أن تتحكم فىك إرادتك الشخصية ، وحيث لا تستطيع أن تصل
اليك أفكار بشرية ، وأن استطعت أن تبقى صامتا ومنتظرا ولو
كان كل ما حولك يتطلب قرارا سريعا وعملا عاجلا ، عندئذ تبين
لك ارادة الله جلية واضحة ، وفوق ذلك فانه يعطى لك اسم
جديد ، فكرة جديدة عن الله ، رؤية أعمق فى طبيعته وقلب محبته ،
وهذا الاسم الجديد يعطى لك وحدك ، كأجر عظيم لساعات
الانتظار الطويلة .

الفصل الثالث عشر

أغنيات منبعثة من الأحزان

١ صم ٢٢

أغنية القلب الكسير

أغنية الآنات والدمع الغزير

أغنية الأمراض والفاقة والحزن المريع

أغنية أيام البغرية

يالها من أغنيات حلوة تلك المنبعثة من الأحزان

تلك التي تتغنى بالافراح التي يعبر عنها

وتقدم للجالس على عرش مجده

الذي بكى في القديم

(هـ سيرس)

تدين الكنيسة بكثير من أبهج أغنياتها وترانيمها للآلام العميقة
التي عصرت قلوب أخلص أبنائها • لقد دأست أقدام التجارب
والحن والآلام - كما في معاصر الزيوت - قلوب الكثيرين
فأخرجت منها عصارة اختباراتهم في أغنيات من أعماق ما سمعته
الأذن البشرية • إن الأغنيات التي تدوم وتنقل من قلب الى قلب
هي تلك المنبعثة من الآلام والأحزان •

يحدثنا أحد كتاب العصر الحاضر أن جمال الموسيقى
العجيب في اعتقاده أكثر بهاء من كل المظاهر والألوان الخلابة

المنتشرة فى الطبيعة ، ثم يضيف الى ذلك بأن الانسان انما يبعث الموسيقى الكامنة فى كل المواد تقريبا ويفك أسرها بعد أن كانت تنتظره ليخرجها الى حين السمع . و ان الانسان انما يخرج الى الظهور ما كان كامنا كما ان الفحم الذى يخرج من باطن الأرض اذا ما وضع على النار فانه انما يظهر الحرارة والضوء اللذين استمدتهما الغاية من الشمس ، . أليست هذه الموسيقى الحبامنة المغلق عليها فى الطبيعة منتظرة أن تخرج الى الظهور بالاغاني أو الصوت بواسطة الانسان - أليست جزءا من انتظار الخليفة الذى يتوقع استعلان أبناء الله (١) ؟ .

مما يلاحظ أن الكثير من مزامير داود قيلت فى تلك الأيام الأليمة المحزنة التى كان يطارد فيها كما تطارد الحجلة فوق الجبال . ونحن نستطيع أن نتتبع تاريخ حياته من المزامير كما من الأسفار التاريخية . فان قعيلة ، وزيف ، ومعون ، وعين جدى ، تعطينا فكرة عما أصابه من مشقات وآلام . لقد أعطيت لهذا المرنم الموهوب قوة اخراج الموسيقى الكامنة من أعماق تلك المواد التى لا يوجد بينها أى توافق مطلقا . أليس غريبا أن تصير هذه الخرائب الآن خالدة ، وأن كلا منها تكون وترا فى موسيقى النفس الكاملة ؟ ولنتأمل الآن قليلا فى تاريخ حياة داود مما ورد فى الأسفار التاريخية وما يقابلها من مزامير .

(١) مجموعة من المزامير :

١ - قعيلة : بينما كان مختبئا فى وعر حارث أئته الأخبار بأن الفلسطينيين اقتحموا إحدى المدن المتاخمة للسينة الحظوهذا

الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر » ع ١ ، كان حصاد السنة معدا فى ذلك الوقت للدراس فى البيادر، وهذا جعل الفرصة سانحة للنهابين . لذلك نهبوا كد الفلاحين فى طول عامهم ووسطوا على الماشية . ولعله وهو غائص فى التفكير فى هذه الأخبار جاءت دعوة شرية يطلب النجدة لانه كان معروفا . عنه أنه سور منيع لحماية الاقاليم الجنوبية . كان شاول بعيدا جدا ولا قتاح له فرصة النجدة السريعة التى كانت مطلوبة ، ولعله كان منهمكا فى أوهامه الخاطئة . أما داود فقد كان متاهبا ، نشيطا ، قريبا . واذ جاءت هذه الدعوة وجدت أذنا صاغية سيما وقد تأيدت بالصوت الالهى ع ٢ . فقام ونزل من جبال يهوذا الى السهول والتقى بالنهابين اثناء عودتهم محملين بالغنائم الوفيرة وأمامهم الماشية الكثيرة ، وضربهم ضربة قاتلة ، وأعاد كل الغنائم لسكان المدينة الذين فرحوا فرحا عظيما وأضافوه ورجاله ردا لجميله واعترافا بخدماته .

سر رجال داود بهذه الضيافة بعد التعب الشديد الذى حل بهم ولا شك فى أنهم وجدوا فى عودتهم الى مدينة « لها أبواب وعوارض » تغييرا محببا بعد أن قضوا الأيام الطويلة فى مغاير وشقوق الأرض ، كما تجد البشرية الآن راحة وغبطة فى تغيير الحياة من الهمجية الى المدنية . وهذا الشعور بالغبطة والراحة ينعكس فى مزمور امام المغنين الحادى والثلاثين « مبارك الرب لأنه قد جعل عجبا ، رحمته لى فى مدينة محصنة » .

٢ - زيف . على أن اقامته فى قعيلة لم تطل بسبب الأخبار التى جاءت - ربما يوناثان - بأن شاول يجرد حملة لاقتناص نفسه كعصفور ولو آل الأمر الى تخريب كل المدينة التى آوته . وقد تأيدت هذه الأخبار بواسطة الافود التى التجأ بها داود الى انه اسرائيل . وبعد ذلك أعلمه الرب أن سكان المدينة الجبناء

الجاحدين اذا ما ألزموا على التفضيل بينه وبين الملك لا يترددون عن انقاذ أنفسهم بتسليم منقذهم • حينئذ قام داود ورجاله - وعددهم نحو ستمائة - وغادروا قعيلة وساروا حيثما أمكنهم المسير • ولعلمهم قسموا أنفسهم الى فرق صغيرة واختار داود من رجاله أكثرهم شجاعة واخلاصا ورافقهم الى المدينة المجاورة « زيف » وهى تبعد عن مدينة حبرون نحو ثلاثة أميال الى الجنوب •

وهنا صارت حياة داود فى غاية الخطورة • فقد كان الملك يفتش عنه كل يوم بغضب شديد جعل الكل يعتقدون أنه يبحث عنه ليبيطش به • وتحت ستار الكلمات التى تحمل ظاهرها آثار الدين والتقوى ومعرفة الله ع ٢١ و ٧ كان شاول يخفى رغبته فى مقاومة المقاصد الالهية • لقد كان يعلم داود سيصير ملكا على اسرائيل، الأمر الذى نقله يوناثان لصديقه فى مقابلة خاطفة فى بركة زيف فى الغاب ع ١٧ • ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه على قتله ان استطاع لذلك سبيلا • يالها من حالة تعسة شنيعة تلك التى وصل اليها شاول نتيجة تركه لنفسه وأفكاره الرديئة وطرقه الشريرة ، من ذلك يتضح أن داود كان له كل الحق فى أن يخشى غضب وحقد ذاك الذى أقام نفسه حتى لمقاومة إرادة الله •

وعلاوة على ذلك الحقد الشنيع فإن أهل زيف كانوا يدبرون خيانة مبتذلة ، لأنهم فكروا فى أن يتملقوا الملك بأن يكشفوا له عن مكن داود • على أن داود وصلته أخبار هذه الخيانة فتحرك جنوبا نحو بركة معون الى جبل مخروطى الشكل يكشف كل البلاد المجاورة • ولكن رجال زيف أرشدوا الملك فوراً الى المكان بمنتهى الدقة حتى أن داود ورجاله سرعان ما وجدوا أن الجبل قد احتله الملك بجيوشه ، وخيل اليهم أن نجاتهم مستحيلة • ولكن

لحسن حفظهم جاء فى ذلك الوقت الحرج رسول الى شاول يركض بكل قوته وفاجأه بهذه الكلمات « اسرع واذهب لأن الفلسطينيين قد اقتحموا الأرض » .

عندئذ تنفس داود الصعداء وتغنى بمزموره الرابع والخمسين اللهم باسمك خلصنى وبقوتك احكم لى » .

٣ - عين جدى : وبعد أن أنقذ الرب داود من هذا الشر العاجل الذى كاد يلحقه به شاول ترك معون وانتقل شرقا الى « صخور الوعول » على شواطئ البحر الميت . على الشاطئ الغربى فى منتصف المسافة بين الشمال والجنوب توجد بقعة مستوية غنية بمزروعاتها، ومحصنة بحصون قوية بارزة فى مياه البحيرة . ويقال انه قد وجدت آثار مدينة قديمة فى تلك البقعة وآثار أشجار نخيل . هنا اختبأ داود بعد زيف فى « عين جدى » (أى مسكن الجدى البرى) حيث تتوفر فيه كل حاجياته . وهنا أيضا يسجل الترجم اختبارات موسيقيا فى مزمورين من أجل مزاميره ، وهما مزمور ٥٧ « ارحمنى يا الله لانه بك احتمت نفسى وبظل جناحك احتمى الى أن تعبر المصائب » ، ومزمور ١٤٢ بصوتى الى الرب أصرخ . بصوتى الى الرب أتضرع » .

ولقد كانت اختبارات البرية أيضا باعثة على وضع بعض المزامير الاخرى التى تتميز كلها بتعدد الاشارات ذات المعنى الواحد المستقاة من البرية والصخور ، ويكرر الاحتجاجات التى يظهر فيها براءته، وتكرار الكلمات عينها التى يشر فيها الى التجائه فى ظل جناح القدير ، وتكرار نفس الاشارات التى يشير فيها بركة ولطف الى شاول من ضمن هذه المزامير مزمور ١١، ١٣، ١٧، ٢٢،

(٢) بعض مميزات هذه المزامير :

لا يسمح لنا المجال بالتأمل الدقيق فى كل منها ولكن لننأمل بوجه عام فى بعض نواحيها التى تبدو واضحة جلية لدى النظرة السطحية اليها .

١ - صيغة المجاز فيها : فهى تتحدث عن الانسان كأسد « مثله مثل الاسد القرم الى الافتراس وكالشبل الكامن فى عرينه » . ونفسه تحتمى تحت جناحى أبيها . ثم يتحدث عن الله بأنه صخرته ، وفيه يختبئ كما تختبئ جماعته فى المغارة . ومعينه لا يدع أعداءه يظفرون به بل يحدث لهم ما يحدث للصيادين فى كثير من الاحيان وفى نفس تلك القفار ان يسقطون فى نفس الحفرة التى يحفرونها للوحوش التى يريدون اصطيادها ، بالليل يختبئ فى الله ، وفى الصباح يستيقظ مترنما . كل هذه المزامير مشحونة بالكثير من التشابيه والاستعارات والاقوال المجازية المماثلة .

٢ - اشاراتها الرقيقة لشاول : أنه لم يشفق على أولئك الذين كانوا يحفزون الملك ويشيرون غضبه عليه بل نعتهم بأقسى الصفات . وأولئك الذين كانوا يترقبون سقوطه قائلين الحقه الحقه ، الذين حقدوا عليه وأساءوا اليه وحرقوا حقه لم يتردد فى أن يشبعهم من قارس الكلام . وأما عن شاول فلم يذكر شيئاً سوى اشارة خفية عنه بصيغة الجمع يصف فيها جماعة العتاة الذين طلبوا نفسه مز ١٤:٨٦ وهنالك اشارة رقيقة الى الأيام السعيدة السالفة التى أظهر فيها أسفه الشديد من أجل مرض الملك ولبسه المسيح واذلال نفسه بالصوم ١٣:٣٥ . ولكننا لا نجد أية كلمة ينعى فيها باللائمة على شاول ، أو يوبخه فيها ، أو يعيره ، أو يقابل فيها البغض بالبغض . وفى ذلك نجد - مقدما - صورة مصغرة لتعليم المسيح وصفاته .

- وهي تبين استقامته بشكل واضح : لقد كان ضميره بلا عثرة أمام الله والناس . ولكن لو أنه نسبت إليه براءته التامة من كل خطية لكان أول من يرفض نسبة هذا الى نفسه ، وأول من يعترف بأنه فى حروبه كان فى حاجة مستمرة الى الذبائح الكفارية التى تشفع فى ضعفه أمام الله . أما عن وجهة نظره مع شاول ، أو قبل أية خيانة ضد نفسه أو ضد بيته ، أو قبل أية جريمة يستحق مرتكبها ما كان يتوهم من الشر ضده ، فقد اعترف ببراءته التامة ، وكان واثقا من أنه يقف أمام الله بيدين طاهرتين وقلب ظاهر كشخص لم يحمل نفسه الى الباطل ولا حلف كذبا (مز ٧: ٣٥ و ٥ ، مز ٢٤) .

٤ - وتبين أيضا آلامه بكل وضوح : بين جميع أنواع الآلام لا يوجد أمر وأشد ايلاما من حقد أصدقائنا . وهذا هو أمر ما عاناه داود . كان أشد ما عذب نفسه الحساسة الرقيقة أن يرى مبغضيه يتعقبونه بخبث وحقد وضغينة بينما كان هو لايحمل لهم فى قلبه أى أثر للشر ، بل كان يضلى من أجلهم ، ويتقانى فى خدمتهم « أسنانهم أسنة وسهام ولسانهم سيف ماض ، مز ٥٧: ٤ » .

٥ - وأخيرا تبين أنه كان لا يلجأ الا الى الله :

اللهم باسمك خلصنى

وبقوتك احكم لى

هوذا الله معين لى مز ٥: ١ و ٤

اصرخ الى الله العلى

الى الله المحامى عنى

يرسل من السماء ويخلصنى

يرسل رحمته وحقه مز ٥٧: ٢ و ٣

باد عنى المناص • ليس من يسأل عن نفسه
صرخت اليك يارب
قلت انت ملجأى
مز ١٤٢: ٤ و ٥

يا لعمق هذه الطلبات • انه لا يحاول أن ينتقم لنفسه أو
يرد المثل بالمثل ، بل يسلم نفسه لمن يقضى بعدل ، واثقا من أن
القدوس البار سيظلله وقت التجربة ، ويظهر مثل الذور بـره ،
وحقه مثل الظهيرة •

ان كان هنالك ممن يقرأون هذه السطور من هو رازح تحت
المظالم والاضطهاد فليسترح فى الرب ويُنْتَظَره بالصبر • قد يمر
بعض الوقت حتى تأتى ساعة الخلاص التى يلبسون فيها الثياب
البيضاء ثياب البراءة والقداسة رؤ ١١: ٦ ، أما الآن فان الرب
سوف يقوم ويقيم المسكين من التراب ويرفع الفقير من المزبلة
للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسى المجد «لأنه لا ينسى المسكين
الى الأبد • رجاء البائسين لا يخيب الى الدهر » مز ١٨: ٩

الفصل الرابع عشر

داود يكبح جماح نفسه

١ صم ٢٤ و ٢٦ ، مز ٤٢ : ١

انتظر فان نور النهار لا بد ان يشرق
ولو طال الليل
انتظر فان الله لن يتركك
تقو • تقو
انتظر فهذا مفتاح الراحة
وسلام الله
انتظر حتى يحين الوقت
الذي يريحك الله فيه من أعبائك

(تونسنند)

عندما راجع داود ماضى حياته ودون اختباراتِه كان عالما
علم اليقين بالشرور الكثيرة التي أحاطت به ، بالحفرة العميقة
والطين والأوحال التي رفع منها ، وبالإشراق الكثيرين الذين
حاولوا عبثا اصطياد نفسه ، ولكنه من الجميع أنقذ • على أنه
لم يتجاسر بأن ينسب نجاةه لسترة خاطره أو ذكائه ، أو لخفة
حركاته ، بل لله ، والله فقط • لاحظ كيف يدون أعمال الله معه
اذ يقف فوق قمة السنين وينظر الى أسفل وإلى الوراء :
(هو) مأل الي وسمع صراخى

(وهو) اصعدنى من جب الهلاك ، من طين الحمأة

(وهو) أقام على صخرة رجلى ، ثبت خطواتى

(وهو) جعل فى فمى ترنيمة جديدة ، تسبيحة لالهنا من

١:٤٠ - ٣

وإذا ما تساءلنا بعد ذلك عن وجهة نظره أثناء كل تلك السنوات الأليمة الطويلة أجابنا على الفور :

انتظارا انتظرت الرب من ١:٤٠

رأينا فى أحد الفصول السابقة كيف كان داود ينظر الى الرب ويتطلع اليه . ولكن هنالك فرقا واضحا بين النظر اليه وبين انتظاره ولو أنهما مرتبطان ببعضهما عمليا . اننا ننظر الى الرب بالصلاة والتضرعات متطلعين الى اعلان ارادته، وننتظره بالصبر والتسليم متطلعين الى تدخل يمينه . وما أشد حاجتنا لنعلم هذا الدرس ، درس الصمت والصبر والانتظار والتسليم . جميل جدا أن نرى فى الحادثتين اللتين أمامنا كيف تعلم داود هذا الدرس تماما ، وتعلم كيف ينتظر الرب .

(١) أساس انتظار الله :

يجب أن يكون هنالك وعد يبرر الانتظار ، أو قول صريح من الله نتكل عليه « كاعلان الأكيد » لمقاصده . لقد أعطى يوناثان لداود حبيبه هذا « الاعلان الأكيد » عند اجتماعهما الأخير فى غابة زيف ، إذ كان يتكلم كرسول من قبل الله . وكم كان جميلا وقع تلك الكلمات على قلب داود المتعب الذى استساغها كما تشرب الأرض الجافة المياه : « لا تخف لأن يد شاول أبى لا تجدك وأنت تملك على اسرائيل وأنا أكون لك ثانيا » . والأكثر من ذلك أن

يوناثان أكد له أن هذه هي عقيدة شاول أيضا « وشاول أبى أيضا يعلم ذلك » .

وفوق ذلك فقد كان واثقا من القوة التي منحها الله إياه ، والمقدرة على قيادة دفة المملكة المضطربة ، وتوصيلها الى المياه الهادئة .

وإن أدرك كل هذه العوامل لتأييد الوعد الأصلي ازداد اقتناعا بأن لله مقصدا ساميا فى حياته ، ووطد العزم على انتظار الرب بالصبر ليتمم قوله ، وصمم على عدم بذل أى مجهود شخصى للوصول الى الملك . لأنه إن كان الرب قد وعد فلا بد أن يتم وعده . ومتى حانت الساعة التي يجلس فيها على العرش كذلك على شعبه كان كل ذلك من أوله الى آخره مجرد هبة من الله ونتيجة لتدخل يد الله . لأنه لن يوجد ما يمنع الله عن أن يقول:

أما أنا فقد مسحتم ملكى

على صهيون جبل قدسى من ٦:٢

(٢) حادثتان خطيرتان :

١ - « عين جدى » فى أحد الايام بينما كان شاول يتابع داود بكل غضب - ومعه ثلاثة آلاف من رجاله - وسط صخور عين جدى الوعرة حصلت حادثة غريبة جعلته فى قبضة داود . كانت حرارة الشمس فى منتهاها مما دعا كل مخلوق حى يختبئ من قيتها . لهذا اختبأ داود فى مغارة عظيمة مع رجاله ، أو لعله اختبأ فى تلك المغارة هربا من شاول . وإذا بشاول يأتى الى نفس تلك المغارة ويستقر فيها الى مسافة قليلة من مدخلها ، أما

رجاله فقد انتحوا ناحية أخرى • كائن به فأرا قد دخل الى
المصيدة •

هذه المغاير حالكة الظلام من الداخل ولا يستطيع الداخل
اليها من الخارج أن يرى مسافة قدم واحدة ، أما من كان قد اقام
بداخلها طويلا فإنه يستطيع أن يرى كل حركة على بابها بوضوح
تام • لهذا فان شاول لدى دخوله لم يستطع أن يرى أحدا بداخلها
أما داود ورجاله فقد عرفوه وأبصروا كل خطواته لدى
دخوله • لم يدرك شاول قط أن ستمائة رجل كانوا يتفرسون فيه
مغتبطين بدخوله ، ولم يخطر على باله مطلقا أنه قد سعى وراء
حقيقته بظلفه • وحالما رآه رجال داود انتفخت صدورهم بشرا
وسرورا •

والآن قد حانت الفرصة لداود ليريح جماعته من تشردهم
ومتاعبهم بضربة واحدة برمح • ولعلمهم همسوا في أذنيه قائلين:
« انتهت الفرصة ، فلن يجود الزمان لك بفرصة أكثر مناسبة •
هوذا الرجل الذى سعى مرارا ليصطاد نفسك ، وهوذا قد جاء
الآن لنفس هذه الغاية • يقينا أن ناموس الله نفسه يبيع لنا الفتك
بمن يريد الفتك بنا • ولا شك فى أن الله نفسه قد أتى به إلينا
هنا لكى تنتقم لنفسك منه بسبب إساءاته إليك ، ولكى توفر على
نفسك الإساءات القادمة •

وبكل جهد استطاع داود أن يكبح جماحهم ، وهذا يدل على
مقدار ما كان له من نفوذ قوى على رجال أشداء غشومين كاولئك
الرجال • ولا شك فى أنه بذل أيضا جهود الجبارة لكى يكبح
جماح شهوته هو شخصيا ، فقد كانت ثائرة فائرة فى كل عروقه،
واكتفى بالزحف بقرب الملك وقطع طرف جبته، لكى يبرهن له فيما

بعد انه كان فى قبضة يده تماما . ولكنه فيما بعد ندم حتى على هذا العمل التافه (قطع طرف جيته) ، وبعد خروج الملك شاول التف رجال داود حوله مظهرين استياءهم الشديد من ضعفه ، ولكنه قال لهم « حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى بمسيح الرب فأمد يدي اليه لأنه مسيح الرب هو » .

٢ - « مخيلة » فى هذا المكان كاد داود يقع فى يد شاول من قبل . أما الآن فقد دارت الدائرة وانعكس الموقف . ومرة أخرى نرى شاول يقتفى أثر داود « ومعه ثلاثة آلاف رجل منتخبى اسرائيل » ولعل الدافع له الى ذلك عامل من العوامل الشريرة سوف نتأمل فيه فى الفصل التالى . واذ تحقق داود - بواسطة جواسيسه - من الموقع الذى حل فيه شاول ورجاله نراه يحاول التاكيد منه شخصيا بالصعود على صخرة مشرفة على ذلك الموقع . كان شاول مقيما فى الوسط هو وأبنير ، وحوله رجاله ، وحول الرجال اصطفت العجلات بشكل متراس . ولكن الحراسة نظمت تنظيما سيئا ، ولم تتخذ الحيطة ضد الهجوم المفاجيء .

تملك داود شعور مفاجيء واقترح على أبيشاى وأخيمالك الحشى النزول الى محلة شاول ليلا . ففتطوع أبيشاى لمرافقته بكل سرور ، ونزل كلاهما على الجبل فى ضوء القمر ، ثم عبرا الوادى واخترقا متراس العربات ، ثم صفوف الجنود النائمى ، ووقفوا برهة يتهامسان فوق رأس الملك الغارق فى نومه « وأخذ داود الرمح وكوز الماء من عند رأس شاول وذهبوا ولم ير ولا علم ولا انتبه أحد لانهم جميعا كانوا نياما لأن سبات الرب وقع عليهم » .

وهكذا نرى مرة أخرى أن شاول قد وقع فى يد داود ،

ولكنه ضبط نفسه • لم يستطع أبيشاي أن يدرك نفسية داود أو أسراره الخفية • لأنه خيل إليه بأنه أمر طبيعي وشرعى جدا أن يبطش داود بذلك الذى كان يحاول بكل قوته البطش به • ولا شك فى أن داود لو كان متأنيا من قتله بيده هو شخصيا لصرح لأبيشاي بقتله لأنه (أبيشاي) لم يكن شريكا فى الخصومة شخصيا وفى الحديث السرى الذى دار بينهما فوق رأس الملك قال أبيشاي لداود أن الله حبس عدوه فى يده ، وطلب منه أن يأذن إليه بضربه برمح ضربة قاضية عاجلة « تقضى عليه فى برهة ، فلا يتمالك من الآن أو الصراخ لايقاظ أبير أو حرسه • أما داود فلم يسمح بذلك •

وقال له : كلا ! انى لن اشترك فى هذا العمل ، فمن الذى يمد يده لمسيح الرب ويترأ • عندما تحين ساعة موته يأخذه الله اما يموت طبيعى على فراشه فى قصره أو أثناء معركة الحرب ولكن يدى لن تقصر أيامه • فلابد لى من انتظار اليوم المعين من قبل الله •

★★★

فى كل من هاتين الحادثتين تصرف داود بروح الشهامة وعظمة النفس الجديرة بالابطال والقديسين • إذ لم يشأ أن ينتهز الفرصة للفتك بغريمه ، ولم يشأ أن ينتقم لنفسه بسبب الاساءات التى لحقت به ، أو يقابل المثل بالمثل ، ولم يشأ أن يسلم بالحجة المعسولة التى قدمها إليه أبيشاي وهى أن الفرصة ان كانت قد حانت فانها تأذن بالانتقام • لكنه بالاحرى هدا ثورة نفسه وقاوم التجربة الخبيثة الماكرة ، وفضل أن ينتظر حتى تكشف المقاصد الالهية ولو بعد وقت طويل •

(٣) السلوك الذى يبعثه انتظار الله :

٢ - انه يمتنع الجرائم • لا شك فى أن داود لو رضخ لأصدقائه ومد يده لقتل شاول لاشتدت به آلامه النفسية بسبب وخزات الضمير القاسية ، ولحزمت البشرية من نغمات قيثارته العذبة ، ولوجود هنالك ما يبرر سباب شمعى وكلماته القارسة فى ذلك اليوم المظلم فى حياته • ولكن هذه الكلمات مهما كان وقعها أليما على نفسة فاتها لم تؤذ ضميره على الإطلاق إذ كان عثرة أمام الله والناس فانه إذ بحث قلبه أمام الله أدرك أن تمرد ابنه أبشالوم عليه واغتصابه عرشه لا يمكن أن يعتبرا اقتصاصا منه من جنس العمل جزاء له على معاملته لشاول كما أخبره شمعى • صحيح انه كان يجب أن تنقضى بضعة شهور مملوءة بالاضطراب والانتظار قبل أن يتوج ملكا فى حبرون ، ولكن هذه المدة نسيت ذكرياتها كما يذوب الثلج فى النهر ، وبعد ذلك لم يكن هنالك ما يندم عليه داود ، ولم يشعر بوخزات فى الضمير ، ولم يجد مرارة فى كأس مسراته • إذا فاهدا أيها القلب وانتظر الله لأن ذلك يحفظك من بعض التصرفات أو الأقوال التى أن تتمح بها نغصت عليك كل أيام حياتك القادمة •

٢ - ويبعث الشجاعة • يالها من روح جريئة شجاعة تلك التى ملأت جنبى داود إذ تجاسر بأن يصرخ وراء الملك وامسك بيده طرف جيته ١ صم ٨: ٢٤ - ١٥ • تلك الروح التى طلبت الى اثنين من أقوى رجاله أن يشتركا معه فى عمل جرىء فتراجع أحدهما ١ صم ٦: ٢٦ • يقينا أن الرجل الذى يعيش حسب المقاصد الإلهية تكبر له الشجاعة التى لا تقهر • فهو يدرك أن كل آلة صورت ضده لا تنجح ، وأن كل لسان يقوم عليه فى القضاء يحكم عليه اش ١٧: ٥٤ • انه لا يرهب شيئا سوى فعل الخطية واغضاب الله • وأن كان فى اتباعه الطريق القويم يأتى فجأة الى

حافة الهاوية التى يجب أن يطرح نفسه إليها فإنه لا يتردد أن يفعل هذا عالماً أن الملائكة سوف ترفرف تحته وترفعه فلا تصدم بحجر رجله •

٣ - ويمنح راحة عظمى • يقينا أنه بعد اختبارات كهذه كتب داود المزمور السابع والثلاثين الذى ولو كان يرجع الى عهد أحدث الا أنه يؤيد هذه الاختبارات • ان الحكمة الناضجة التى بلغ إليها فى شيخوخته لم تأت الا عن طريق بوتقة الآلام التى جازها فى أيام شبابه •

لا تغر من الأشرار

ولا تحسد عمال الأثم

فإنهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون

ومثل العشب الأخضر يذبلون

مز ١: ٢٧ و ٢

ان النصائح المتضمنة فى هذا المزمور الجليل الذى تحتنا على الاتكال على الله ، والتلذذ بالرب ، تسليم الطريق للرب ، انتظار الرب والصبر له ، سيما عدم الغيرة من الأشرار - كل هذه تسطع بلمعان جديده ومعنى جديده عندما نقرأها فى نور هذه الحوادث الخطيرة فى حياة داود •

أيها القارئ العزيز ! عش حسب المقاصد الالهية ، لا تبال بنفسك كثيراً بل ليكن كل اهتمامك هو اتمام عمل الله • يقينا انه سوف يعتنى بمصالحك ان كنت تعتنى بمصلحته • هدىء نفسك كقطيم ، استرح ، اصمت واتكل ، فان الله يدبر كل

مستقبل حياتك • انك لا تستطيع أن تعجله، وإذا فعلت ذلك فانك انما تنفق جهودك بلا مبرر ، انه سوف يمنحك سؤال قلبك في الوقت الذي حدده هو ، وهو أنسب الأوقات •

٤ - ويبحث توبة في الآخرين • عندما برهن داود على قدرته لضبط نفسه ، ولأنه التام الذي ظل محتفظا به لشاول ، ومحبه الأكيدة له رغم كل ما بذل من مجهودات غنية من ناحية شاول مما كان يكفي لأطفاء تلك المحبة ، وعندما أثبت براءته الكاملة وأوضح بأن التهم التي نسبت إليه لم يكن لها أساس مطلقا ، وعندما تحول بكل خشوع وإخلاص من أباطيل الأرض ومظالمها وظنونها وسوء تقديرها الى قضاء الله العادل - عندئذ رفع الملك التعس صوته وبكى واعترف قائلا « قد أخطأت » • لقد تحقق شاول من نبل داود ، ولذا فان روح البطش التي كانت تدفعه للانتقام من داود تحولت الى ضعف وجبن وخور في العزيمة ، بل ذهب الى أبعد من هذا فانه اعترف بأنه (داود) لا بد أن يصير ملكا • ولا شك في أن العامل الوحيد الذي قرب شاول الى التوبة هو روح احتمال داود وصبره وطول أناته •

ولا زالت هذه هي الطريقة لربح الآخرين • فكلما ازدادنا تواضعا وخضوعا وتسليما ازدادنا ربحا للآخرين • وعندما نأبى أن نسيء استخدام الفرص التي تقدم اليها نجنى منها أينع الثمرات • ان الشخص الذي يعرف كيف ينتظر الله هو رجل القوة ، ولا بد أن يعترف الآخرين له بها وينحذون أمام صولجانه • وخضوعنا لمبادئ الله السامية يجعل زمرة من الجنود تحت أمرنا ، يذهبون ويأتون حسب إرادتنا ، ويفعلون ما نأمرهم به •

الفصل الخامس عشر

كوش البنياميني

١ صم ١:٢٦ ، من ٧

كل من اشتاق الى تلك البركة
يجب أن يجوز الدماء والنار حتى يبلغ اليها
ان أنات القلب الجريح
أقصى من حراب العدو
ان النفوس الهادئة المتراخية
التي تستخف بكفاح الحياة اليومي
تفضل حياة اليلادة والكسل
وتبقى في شقائها دون أى اكتراث
ودون أن تجد أى رجاء لها على الأرض

(كبل)

غريب جدا أن نجد شاول يبحث عن داود بعد أولى الحادثتين
اللتين تأملنا فيهما في الفصل السابق . فقد كان يندو عليهما في
عين جدى انهما تقاربت نفساهما وتم الصلح بينهما وعاد الصفاء
الى قلوبهما على أحسن حال . اذ اعترف شاول بأن داود أبر
منه ، وانه قد تصرف معه تصرفا نبيلًا ، وطلب من الله أن
يكافئه خيرا ، وأكد له بأنه واصل الى الملك يقينا . بل انه ذهب
الى أبعد من هذا اذ طلب منه أن يحلف له بأن لا يقطع نسله

من بعده ولا يبيد اسمه من بيت أبيه عندما يصل الى كرسى الملك
١ صم ٢٤:٢١ • ولكنه سرعان ما عاد الى متابعة داود بعد
وقت وجيز •

قد يعزى هذا التقلب بطبيعة الحال الى المرض الذى كان
يشكو منه • ولكن هنالك سببا آخر أكثر معقولة ، وهذا السبب
يكشف لنا عن نور جديد ومعنى جديد للمزمور السابع • يؤكد
الدكتور ماكларن - الذى تدين الكنيسة كثيرا لتفسيره الرائع
لسيفر المزامير - ان هذا المزمور السابع يرجع الى تلك الفترة من
حياة داود ، وبين انه يعيننا على فهم التقلب السريع فى
أخلاق شاوول •

صدر هذا المزمور بعنوان « شجوية (١) لداود غناها للرب »
أى انه نشيد شان ، كنهز جار يتكسر تياره على بضعة صخور
فى قاعة ، يعبر بنغماته وأوزانه المتغيرة عن اضطراب مؤلفه •
اننا كثيرا ما نضطر أن نتغنى بهذه الأوزان الشجوية المتكسرة ،
كثيرا ما تتكسر أغنياتنا بالأناث والتنهيدات • على أنه يحسن بنا
حتى فى هذه الأحوال أن نحسن النشيد وطوبى لأولئك الذين
يستطيعون أن يغنوا للرب فى كل الظروف الأليمة المحزنة •

أما باقى العنوان الذى صدر به المزمور فهو : « بسبب كلام
كوش البنيامينى » • ومن هو كوش هذا ؟ كلمة « كوش » معناها
« أسود » • لعلها تشير الى لون جلد وشعر رجل بنيامينى اطلقت

(١) يقال هذه الكلمة مشتقة من كلمة عبرية معناها يتجول
تائها وأن داود استعملها فى هذه المناسبة ان كان عقله شاردا
بسبب ضيقة نفسه فصار يتخبط هنا وهناك •

عليه هذه التسمية . يظن البعض أنها تسمية أطلقها داود على شاول ولكن لهجة الاحترام التي كان يتحدث بها نواما عن مسيح الرب (أى شاول) تجعل هذا الظن بعيد الاحتمال . ويظن الآخرون أنها تشير الى شمعى البنيامينى الذى سب الملك بكل وقاحة فى ساعة محنته فلم ينل من الملك الا منتهى الصبر والاحتمال ، وأما ابيشاى فحنق عليه أشد الحنق . ولكن الأسلوب يدل بشكل واضح على أن المزمور يشير الى هذه الحقبة من تاريخ داود الأمر الذى يجعل هذا الفرض (١) أيضا بعيد الاحتمال .

ولدى فحص المزمور فحصا دقيقا يتضح أنه قريب الشبه جدا من تلك الكلمات التى فاه بها داود عندما تحدث هو وشاول خارج مغارة عين جدى ثم عند جبل حخيلة .

والواقع أن أوجه الشبه كثيرة ودقيقة حتى أنها تكاد تنطق بأن هذا المزمور يشير الى الحوادث التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق وإن كان الأمر كذلك استطعنا أن ندرك سبب تقلب شاول وعودته الى عاطفة الانتقام مرة أخرى . ولدى مقارنة المزمور بما ورد فى سفر صموئيل الأول يتضح جليا أن كوش كان أحد أصدقاء شاول الحميمين ورفقائه الملازمين له وأنه كان باستمرار يفسد عقل الملك ويسم آفكاره باتهامات باطلة ضد داود . عندما كان شاول يفارق هذا الرجل ويقع تحت تأثير عواطف داود النبيلة وأخلاقه السمحة الكريمة كانت تفارقه روح الانتقام وتجذب نفسه الى عواطف الصداقة القديمة ، ولكنه عندما كان يعود الى قصره ويعود كوش الى تأثيراته السابقة عليه كان يستسلم الى الناحية

(١) أى الفرض بأن التسمية تشير الى شمعى البنيامينى .

الفاسدة في أخلاقه ويستأنف جهوده لمقاومة المقاصد الالهية .
وهكذا كان كالوشيجة (المكوك) يجيء ويروح بين هاتين
الشخصيتين . ففي لحظة تجده قد أثر عليه داود وطبع فيه روح
اللفظ والشفقة والرحمة ، وفي لحظة أخرى تجده وقد أثر فيه
كرش فنفت فيه روح الحق والانتقام .

يحتمل جدا أن نجد الكثيرين من قارئى هذه الكلمات من
يستطيعون أن يدركوا - من اختباراتهم المرة - مرارة نفس داود
من هذه الحالة . ولعلك أيها القارئ لا تخلو من وجود «كوش»
في حياتك يذيع عنك كل مذمة زورا وبهتانا ، وينسب اليك جزافا
كثيرا من القهم الباطلة ، ويسمم أفكار الكثيرين من جهتك مع انهم
لولا ذلك لأحسنوا الظن بك ، وينسب اليك أمورا توجب الريبة
والشك أقنس وإنزه تصرفاتك . أمثال هؤلاء المقترين يوجدون
في المنتديات الاجتماعية في العصر الحاضر كما كانوا يوجدون في
قصر أول ملوك اسرائيل ، ويسببون انزعاجا للاحاساسات الرقيقة
اليوم كما سببوا لداود في قفار عين جدى .

والآن لتعلم كيف نتصرف مع أمثال هؤلاء الأشخاص :

(١) فتش قلبك لتتأكد أن كان يوجد هناك أساس لهذه
الافتراءات :

لعله يوجد بعض الحق في هذه الكلمات القارسة أكثر مما
نظن لأول وهلة . اليس من الحكمة أن نتأكد من ذلك قبل أن
تضرب بهذه الكلمات عرض الحائط أو تحتقرها ؟ وربما تكون
العيون الحادة الحاسدة قد لاحظت في أخلاقك ضعفا معيناً يدركه
أقرب الناس اليك ولكنهم يحجمون عن لفت نظرك اليه لأن المحبة
سرمان ما تلاحظ فقط الضعف في الصديق ولو أنها لا تكون

أمانة على الدوام في اظهار الضعف أو توبيخه • أما المحبة
الخاصة فهي وحدها التي تمنطق ذاتها وتغسل أقدام الاصدقاء •
ومن للحكمة - قبل أن تمزق الخطاب الغفل من التوقيع أو ترفض
الاصغاء الى الحقائق القاسية المنتشرة في كل الجو المحيط بك -
أن تجلس أمام كرسي القضاء عند قدمي المسيح وتساءل نفسك
في نوره الوضاح عما اذا كنت تستطيع أن تقول مع داود •

ترسى عند الله

مخلص مستقيمي القلوب من ٧ : ١٠

(٢) وان وجدت بانه لا أساس لها فاغثبط :

انكر علي الدوام عندما يحتقرك البشر ويضطهدونك ويقولون
عليك كل كلمة شريفة كاذبين (أولا) انك تسير في اثر الانبياء
والقديسين في كل الاجيال، وانه يحق لك أن تثق بأنك في الطريق
المستقيم (ثانيا) وانك تستطيع أن تستخلص منها - حسب أقوال
المسيح الصريحة - تلك الغبطة التي هي أثمن وأعمق من كل
افراج العالم التي تؤول كسحابة صيف •

كم نحن مدينون بالشكر لله لأنه حفظنا من أن نكون ملوثين
فعلا بالتهمة التي تنسب إلينا • لأنه كان ممكنا أن نرتكبها وأشر
منها ، وان كنا قد نجونا منها فليس ذلك الا لنعمته • وان كانت
لنا شهادة ضميرنا الصالح وشهادة روحه في قلوبنا فيجب أن
يكون ذلك مصدر غبطة وسعادة لا ينضب •

(٣) الجأ الى حكم الله العادل :

نحن عبيده ، وان كنا مرضيين امامه فلماذا نكسر قلوبنا

بما يقوله زملاؤنا العبيد ؟ الله وضعنا فى المراكز التى نشغلها ، وأن أراد أن يبقينا فيها فعبثا يحاول البشر انتزاعنا منها مهما قالوا أو فعلوا وعلى أى حال فإنه أمر زهيد جدا أن ندان من البشر ، بل نحن لا نحكم على أنفسنا ، لكن الذى يحكم فينا هو الله . لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يحدد نوع حياتنا وحقيقتها تحديدا لاثقا ، فهو وحده الذى تكشف أمامه الخفيات التى تعطى المفتاح الحقيقى للخطأ أو الصواب .

(٤) طلق حياة الجسد كلية :

لماذا نغذب أنفسنا بسبب هذه الكلمات القاسية والافتراءات التى لا أساس لها والخالية من المحبة ؟ اليس لأننا نقيم وزنا لمدح الناس واستحسانهم ؟ اليس لأن أخشى ما نخشاه أن ننتقد أو نحقر من الآخرين ؟ ألا يزال العالم يعيش بداخلنا معلنا لنا قوة تشبهه بنا يصدد هذه الامامة ؟ وهل هذا هو معنى صليبنا للعالم وصلب العالم لنا ؟

ان كنا ندرك حقا بأننا لا شيء ، وان كان الله هو الكل فى الكل ، ان كان السائد علينا فى حياتنا الداخلية هو روح الله وحمل الله ، ان كنا مائتين عن الجسد وأهوائه وشهواته وعائشين لله فقط لما كنا نبالى بثلم صيتنا فى أفواه الأغبياء والخطاة . اذا فهنا يعلن لنا الله نوعا من الموت أكثر عدقا ، وعلينا أن لا نهرب منه بل لنكن مستعدين أن نقع فى الأرض ونموت عن سمعتنا كما فعل يسوع الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه والذى كان يتحدث عنه اليهود بأنه متحالف مع بعزبول رئيس الشياطين .

يجب أن نختر الموت فى كل تلك الصور التى عرفها المسيح،

حتى اذا ما اشتركنا معه فى شبه موته نشترك معه فى شبه قيامته .

(٥) اتوك لله أن يبين حقيقة أمرك ويدافع عن سمعتك :

ان كل تهمة تلصق بنا انما هى جزء من شر العالم وعلان لفساده المتأصل ، هى سبب حزن وهم لله ، هى جزء من العيب الذى يحمله على الدوام ، ويستحيل علينا ان نرحل عنها أو نحاول الاقلاص منها ، ولا يجدينا شيئا ان نعامل الآخرين بالمثل أو ننتقم منهم . ونحن يسوع لنا - كيسوع - مطالبة المتهم الكاذب فى دعواه بأن يثبت اتهاماته الباطلة والا رددنا عليها بالنفى بكل ثبات . لكن ان فعلنا ذلك ووجدنا انه لا يجدينا شيئا فليس لنا الا ان ننتظر الله بالصبر حتى يقوم وينتقم لاساءاتنا ويوضح حقنا .

هكذا فعل داود حتى فى تلك الايام القليلة النور ، فانه رفع امره الى الله البار الذى يفحص القلوب والكلى ، واعتقد بأنه يستطيع ان يتمنطق بسلحه ، يحدد سيفه ويمد قوسه ويهيئها نحو أولئك الذين لا يرجعون عن حنقهم على قديسيه . كان المرء واثقا كل الثقة من ذلك الناموس الثابت الذى لا يتغير وهو ان شر الشرير لا بد ان ينتهى ، وأن « تعبته يرجع على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » وأن من يحاول اصطياد القديسين « ينسقط على الهوة التى صنع » ، اما القديسون فانهم يثبتون ويظهر الله لهم . وهذه كانت أيضا وجهة نظر المسيح « الذى اذا شتم لم يشتتم عوضا واذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل »
لا بط ٢٣:٢ .

هذه هى الخطة المثلى والرشيده . اصمت ، اعط مكانا

للغضب ، فكر بالأحرى فى شقاء وتعاسة تلك النفس التى صدرت
منها هذه الكلمات الشريرة • فكر فى ذلك أكثر مما تفكر فى
الاساءات التى حلت بك ، اشفق على ذلك الذى اساء اليك ، ان
جاع فاطعمه وان عطش فاسقه ، اجتهد بأن تغلب شر قلبك بالخير ،
واترك الانتقام لله ودعه هو يظهر برك ، هو وحده الذى يستطيع
ان يدافع عن حق البرىء والضعيف ، ويجازى المسئى فى الوقت
المناسب •

الفصل السادس عشر

يد باردة على رأس حارة

٢٥ صم

هدئنى يا الهى واحفظنى هادئاً
وبطل جناحيك ظللى
هدئنى فى احتمال الآساءات
متشبهها بذاك الذى حمل العار عنى
هدئنى وسط تهديدات المقاومين
الذين يبغضون اسمك القدوس

(هـ يونان)

سرت الأنباء فى كل أرجاء البلاد - كما تسرى النار فى
الهشيم - بأن صموئيل قد مات ، « فاجتمع جميع اسرائيل » ،
لشعورهم بهذه الخسارة العامة الفادحة، لثناء هذا النبی والقديس،
وتأدية آخر واجبات الاكرام . وتقديراً لشخصه وخدماته منح
هذا الامتياز الاستثنائى وهو أن يدفن بجوار بيته فى الزامة على
مرتفعات بنيامين . والأرجح جداً أنه قد اطلق نداء عام بالعفو
الشامل فأتى داود ليشترك فى توديع سيده وصديقه الوداع
الأخير . على أنه لم يتجاسر بأن يبقى قريباً من شاول لحظة
واحدة أكثر مما تستلزمه الواجبات الضرورية جداً، بل يمشى وجهه
نحو بركة فاران - التى تكاد تكون مقبرة من السكان - حاملاً
انتهت مراسيم تشييع الجنازة . وتقع بركة فاران هذه فى أقصى

حدود اليهودية جنوباً. كان قدومه الى هذه البلاد المتاخمة للحدود باعثاً للطمانينة والسلام في قلوب سكانها بسبب ما كانت تستهدف له على الدوام من اغارة العمالة والفلسطينيين. لقد كان الرعاة محقين في اعتقادهم بأنهم يدينون لداود بحمايته أيامهم ، وحسنا ما قاله أحدهم « الرجال محسنون الينا جدا فلم نؤذ ولا فقد هذا شيء كل أيام ترددنا معهم ونحن في الحقل ، كانوا سورا لنا ليلا ونهارا كل الأيام التي كنا فيها معهم نرعى الغنم » ع ١٥ و ١٦

عندما كانت تقبل مثل هذه الخدمات وتقدر قيمتها فكان من العدل أن تقدم مكافأة عنها من نوعها حسب تقاليد تلك الأيام . كان هذا أمرا بديهيا وناموسا غير مكتوب ، ولذلك فقد كان لداود كل الحق في ارسال عشرة شبان من رجاله لتحية صاحب الغنم الثرى - نابال - في يوم رخائه وثرائه ليذكره بالتزاماته نحوه باعتبار انه يرجع اليه جزء عظيم من الفضل في هذه الثروة لحراسته أيامه ورجاله ، ولكي يطلب منه ما يوجد به عن طيبة خاطر . ولكن اجابة نابال القظة نفذت الى قلب داود كالسهم الحاد وادت الى حادثة يرويها لنا الكتاب المقدس بأسلوب جذاب جعلها من أحب وأعذب أناشيده .

تذكر هذه الرواية في ثلاث شخصيات : نابال ، داود ، وبيجاييل .

(١) نابال القظ :

يصور لنا الكتاب المقدس اخلاقه في ثلاث أو أربع صفات شنيعة لا داعي للافاضة في التحدث عنها . في كل وسط نلتقى بأشخاص من هذا الطراز يتشامخون على كل من كان دونهم ، لا يحتملون في رخائهم ، يفقدون رشدهم بسبب انغماسهم في

الملاذات ، أدنياء أذلاء وقت الملمات ، يتيهون عجبا عندما يرون أنفسهم آمنين ، ولكهم فى ساعة الخطر تذوب قلوبهم خوفا وجبنا وتذلا • ياله من وصف دقيق - ينطبق على كل من كان على شاكلته ذلك الذى صور به غلامه - فى ملاحظته السرية لزوجته من أنه « ابن لنيم لا يمكن الكلام معه » •

١ - « كان الرجل عظيما جدا » كما يروى لنا الكتاب • ولكن هذه كانت أخط أنواع العظمة ، غير مبنية على أخلاقه أو ما حازته من أعمال النبل والبطولة بل على وفرة قطيعه الذى يملكه • له ثلاثة آلاف من الخنم وألف من المعز • منتشرة فى مراعى الجنوب • هنالك أربعة أنواع من العظمة ، فاختاروا لأنفسكم أيها الشباب أفضلها كهدف لكم فى الحياة • أن أحقرها هى عظمة الثروة والممتلكات ، وأفضل من هذه عظمة الأفعال ، وأفضل من كليهما أن تكون لنا آراء عظيمة نستطيعها لأنفسنا ونذيعها للآخرين ، وأفضل الكل عظمة الأخلاق • وجه عنايتك نحو العظمة التى تهتم بها السماء • عندما أعلن الملك عن يوحنا المعمدان « أنه يكون عظيما أمام الرب » كان يقصد من هذه العظمة : ضبط النفس (خمرا ومسكرا لا يشرب) ، الامتلاء من الروح القدس (ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس) ، خدمة البشرية (ويرد كثيرين من بنى إسرائيل الخ) •

٢ - وكان أحق ، كما قالت عنه زوجته « لأن كاسمه هكذا هو ، نابال اسمه والخماقة عنده » • مسكينة هذه المرأة ، لقد كان لها كل الحق بأن تتحدث عنه هكذا بحرقة ومرارة • وفى نفس الوقت كانت امرأة فاضلة ، فلم تشأ أن تتحدث عن زوجها بهذه الألفاظ القاسية الا بعد أن صارت أعماله الفظة ويده القاسية سببا فى ضياع البقية الباقية للمحبة الزوجية والاحترام الزوجى •

ولعل صورة نابال كانت ماثلة أمام عيني المسيح عندما نطق بمثل الغنى الغبى الأحق الذى خيل إليه بأن نفسه يمكنها أن تستريح وتغتبط بسبب امتلاء بعض المخازن . هنالك أشواق فى النفس لا تستطيع الاطعمة الفاخرة اشباعها ، وهنالك رغبات لا يمكن اشباعها بمجرد جعل همتنا الوحيد اطعام الجسد ثلاث مرات فى اليوم طول أيام الحياة . .

٣٠ - وكان « ابن لنيم » كما قال عنه خادمه . وهذا ما برهن عليه تصرفه مع داود عندما قدم اليه طلبه بكل أدب وكياسة . كان فظ الطبع ، وقحا ، غير مؤدب . انه لا يمكن أن يكون قد جهل الأسباب التى من أجلها كان يعيش داود هذه الحياة الشريفة الطريفة ، ولكنه تجاهلها وعللها بالقسى الالتاف . وهو ان قال ان داود قد تمرّد على سيده شاول انما كان يدارى رضى طلبه داود بهذا التظاهر بالولاء للقاذون والحكومة ، وكان يقصد أن يبين بأن داود بتمرّده يستحق أقصى العقاب . وأخيرا أكد بأنه يفضل أن يعطى خبزه للذين قد شعبوا وكدوا واستحقوه مثل جزأيه من أن يعطيه لجماعة من الأدعياء الكسالى الذين اختاروا بأن يعيشوا على الفاكهة التى ان تنضج فقد تتساقط فى أفواههم .

ويظهر أن ضميره لم يوبخه على كلماته القاسية ، ولم يخطر بباله قط ما قد تحدثه من نتائج سيئة . فانه حالما نطق بها نسيها ، وفى مساء نفس اليوم نجده فى بيته يقيم وليمة كوليمة ملك ، وقد طاب قلبه بالخمر فأصبح لا يعي شيئا حتى أن زوجته لم تخبره بشيء صغير أو كبير الى ضوء الصباح .

(٢) داود فى حدة روحه وثورة عاطفته :

كانت احدى مميزات داود البارزة فى طبيعه واخلاقه كل تلك

السذوات الأليمة قوته على ضبط نفسه • لقد كان ينتظر الله بصبر • وكان يركز نفسه على وعد الله سنة بعد سنة ، وترك له أن يتم قوله الذى جعله ينتظره من ٤٩:١١٩ • عندما طلب منه اغاثة صقلغ أو أنذر لتركها لم يفعل الا ما فعله فى كل المناسبات الأخرى إذ أظهر كل خضوع وتسليم ، واستدعى النبى أو الكاهن للتأكد من ارادة الله قبل أن يخطو خطوة واحدة • وفى المرتين اللتين أصبح شاول فى قبضة يده استطاع أن يضبط نفسه ولم يشأ أن يبطش به • ولكن حصن ضبط النفس النبع هذا الذى بنى بطول المرات انهار فجأة - كحائط البحر عند اهماله - أمام ثورة الغضب التى أثارها كلمات نابال الوقحة • وفى ثورة غضبه قال لرجاله « ليتقلد كل واحد منكم سيفه » • فتقلد كل واحد سيفه ، وتقلد داود أيضا سيفه ، وتبع داود نحو اربعمائة رجل • ولا شك فى أنه ناجى نفسه بهذه الكلمات بينما كان رجاله مسرعى الخطى وسط تلك السهول المترامية الأطراف : « أن لى كل الحق فى هذا التصرف ، لأنه لا يوجد أى مبرر لهذه المعاملة السخيفة من هذا الرجل ، لقد قابل خيرى بالشر ، وزاد على ذلك أنه سبنى واهاننى ، هذا لا يحتمل ، يجب أن احتفظ بكرامتى لى أعرف كل المحيطين بنا أننى لست ممن يهزأ بهم ، اننى مستعد أن احتمل دن الملك مالا احتمله من أى شخص آخر سواه » •

فى تلك الساعة كان داود على وشك أن يقترب جريمة تكفى لتنغيص ضميره كل حياته القادمة ، تكفى بأن تملأ نفسه حزنا وقلبه وجعا كلما خلا الى نفسه فى الساعات الهادئة المقدسة وتذكر بأنه قد سفك دما بلا مبرر ، وانتقم لنفسه بدلا من أن يترك لله الانتقام من نفوس أعدائه • وبواسطة تلك المرأة الكريمة النبيلة - ابيجاييل - أنقذ داود من هذا الخزي والعار والحزن •

(٣) ابيجايل ، الوسيطة الجميلة :

كانت امرأة « جيدة الفهم وجميلة الصورة » وهاتان صفتان خليقتان بأن تجتمعا معا . لقد انطبعت اخلاقها على وجهها . على انه ليس ضروريا أن تجتمع هاتان الصفتان بصفة مستمرة فكم من نساء جميلات ولكنهن خاليات خلوا تاما من جودة الفهم ، كما ان الطيور التى تنعم بأقصر الريش تنقصها عادة موهبة التفريد . على أن جودة الفهم وهى سجية انبئية لا موهبة علمية ، تعكس جمالا فائقا على أبسط الوجوه .

ومما يلاحظ ان هنالك كثيرات من امثال ابيجايل يتزوجن بامثال نابال . كثيرا ما ارتبطت نساء خائفات الله . رقيقات الاحساس ، نبيلات الاخلاق ، برباط الزيجة الذى لا ينقسم برجال لا يشعرون نحوهم بانسجام حقيقى حتى ولو لم يحملن من نحوهم شعور الكراهية المطلقة والغور الشديد . والارجح جدا أن تزوج ابيجايل بنابال لم يكن نتيجة اختيارها بل نتيجة تلك العادة للشرقية القديمة التى كانت ترغم البنات على التزوج بمن يختاره لها ابوها ، والتى لا تزال آثارها باقية الى الآن . ولعلها قد اتت الى بيت نابال طفلة ، ثم ارتبطت به الى الأبد كزوجة .

قد تجد الفتاة نفسها - لسوء حظها - فى بيت نابال لأسباب اخرى ألزمتها على عدم اختيار الزوج بنفسها بسبب ضغط الظروف القاسية أو لأنها خدعت بمداينة ونفاق ورياء بعض الأصدقاء أو الصديقات . لامثال هؤلاء النساء التعسات لا توجد سوى نصيحة واحدة أن تبقى كل منهن حيث هى . فان اختلاف الذوق أو الطبع لا يكفى لترك زوجك لينصرف فى تيار الشر والفساد . اعلمى ايها السيدة ان الله قد سمح لك بهذا النصيب المتعب أولا لأن هذه البلوى المحرقة كانت تتطلبها أخلاقك وثانيا

لكى تكون لك الفرصة للتأثير على زوجك • فالزمنى مركزك حيث
أنت الآن • قد تأتيك الفرصة يوما ما كما أتت إبيجايل • وفى
الوقت نفسه لا تسمحن بتلويث نفسك الطاهرة • انك تستطيعين
أن تحتفظى بها طاهرة عفيفة بصفة دائمة • انتظري حتى يحين
وقتك • كونى كعين طاهرة (وسط مياه آسنة) ترتفع من
أعماق المحيط •

ولكن ان كانت هنالك من بين قراء هذه الكلمات شابة رقيقة
الاحساس نبيلة العواطف تفكر فى الزواج من رجل واسع الثروة
سامى المركز بغض النظر عن الاخلاق فلتعلم أن ارتباطها برجل
كهذا لغرض كهذا انما هو افساد للمثل الأعلى الذى رسمه الله
ولا ينتهى الا الى طريق واحد هو انها لن تستطيع أن ترتفع الى
مستواها بل لا بد أن تنزل الى مستواه ، وطبيعتها الرخامية
لن تغير طبيعته الطينية بل تصير خشنة مثلها •

كان خدم نابال يعرفون اخلاق سيدتهم ويثقون بحسن تصرفها
فى هذا الطارئ الذى حل بهم ، ولذلك قصوا عليها الأمر كله •
أما هى فانهى أمسكت بناصية الحال ثوابا ، وأرسلت بعضا من
رجالها حاملين مؤونة فى الطريق الذى لا بد أن يتخذه داود ،
وتبعتهم هى راكبة على حمارها • بعد ذلك قابلت رجال داود فى
سترة الجبل نازلين للانتقام • وقد دلت هذه المقابلة على ذكائها
كما دلت على طيبة قلبها • ان تواضعها المتناهى الذى بدا فى
سجودها عند قدمى داود ، واعترافها بصراحة بالاساءة التى
ارتكبت ، واعترافها بالشكر الجزيل لعدم انتقام داود لنفسه
وسفك دماء أعدائه ، وتحقيرها للهدية الكريمة التى قدمتها اذ
قررت بأنها غير جديرة الا بعبئده ، وتقديرها العظيم لرغبته فى
عدم خوض غمار أية معركة سوى « حروب الرب » وعدم تلويث

سمعتة ، وإدراكها عن بعد لذلك اليوم الذى يضمن فيه مستقبله ويحكم أعداؤه ، واقتراحها بأن لا يجعل هناك ذكريات قاتمة تزعج ضميره فى تلك الأيام القادمة ، كل هذا دل على مقدار جمال نفس تلك المرأة وحكمتها ، وكل هذا أعاد داود الى طبيعته النبيلة . وهنا نرى داود - كما تعودنا أن نراه فى كل المناسبات - يظهر منتهى النبل والصراحة ، ولا يتردد لحظة فى الاعتراف بشكره العميق لهذه المرأة الجميلة ، التى شعر بأنه مدين لها بفصل جزيل ، والتى رأى فى توسطها تدخلا من قبل العناية الالهية لمنعه عن ارتكاب الشر . « فقال داود لأبيجايل ميسارك الرب اله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالى ، ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتنى اليوم من اتيان الدماء وانتقام يدي لنفسى » .

الا نجد هنا اعلانا للخدمات التى يحاول الله بها ابعادنا عن طريقنا الشريرة ؟ قد تكون هذه الخدمات أحيانا تافهة وقليلة الأهمية وهادئة صامتة . قد تكون لمسة امرأة لمعصم يدينا ، قد تذكرنا الأم بأمومتها ، أو الزوجة بعهودها الأولى ، أو الطفل بنظرته التى تبعث العطف والشفقة . وقد تكون فكرة مقدسة تبعث فى القلب حسرة وندامة . كم من مرة كان ممكنا جدا تجنب بعض التصرفات التى سببت لنا آلاما دائمة وحسرة لا تنقطع لو اتقنا أصغينا الى تحذير الله . وفوق كل تلك الأحداث والمؤثرات التى ينادينا بها الله يوجد تأثير الروح القدس الذى يجاهد فينا ضد شهوة الانتقام ومحبة الذات ، ويحاول أن يسمو بنا الى حياة أسنى وأمجى . أيها الروح المبارك تعال دائما والتصق بنا « فى سترة الجبل » وصدنا عن تصرفاتنا الطائشة وجشوتنا ، ولا تسمح بأن نلزمك بتركنا لكى نسلك فى طريقنا الشريرة ، بل كن معنا كل الأيام والى انقضاء الدهر فندين لك بشكر أبدي .

وما أجمل ما تنتهى به هذه الرواية . فان نابال مات بنوبة
فالج سببها سوء تصرفه أو استياؤه من تصرف زوجته مع داود
ورجاله . وفكر داود فى التزوج من تلك المرأة التى شعر بأنه
مدين لها بالفضل الجزيل . أما هى فقد قبلت هذا الزواج الذى
شعرت بأنها ليست أهلا له . « وقالت هوذا امتك لغسل أرجلك
عبيد سيدى » . انتهى اعتقد بأن كل الروايات التى تمسها يد الله
تنتهى حسنا ، أما فى هذه الحياة أو فى الحياة الأخرى . هذه
عقيدتى التى أدين بها والتى أجد فيها تعزية جزيلة .

الفصل السابع عشر

فترة شك

١ صم ٢٧

عندما تصير النفس مذنبية فى نظر السماء
لسبب ضعفها واتكالها على معونة البشر
فلنتوقع قصاصها من الله
ولنتوقع الفشل وخور العزيمة
فى كل مرة تتكل باطلا
على ذراع البشر

(هويتير)

تتميز المزامير التى تشير - يوضح أو غموض - الى هذه
الحقبة من حياة داود بطابع الحزن الثقيل والأنات والتنهيدات .
من بين هذه المزامير مز ١٠ و ١٣ و ١٧ و ٢٢ و ٢٥ و ٦٤ وربما
أيضا مز ٤٠ و ٦٩ . فى المزامير الأولى نجد كثيرا من العلامات
المشتركة فيها كلها . فكثيرا ما تحدث فيها المرئم عن البرية كأن
نفسه حيوانا برياً تقتفى آثاره لاصطياده ، وفيها يكرر على
الدوام برأته ويطلب تدخل القدير ، وفيها يصف أحزانه وصفا
يكسر القلب . وعلاوة على هذه العلامات المميزة لهذه المزامير
نستطيع أن نجد فيها أيضا لهجة اليأس :

يارب لماذا تقف بعيدا

لماذا تخفتى فى ازمئة الضيق مز ١:١٠

الى متى يارب تنسانى كل النسيان

الى متى تحجب وجهك عنى مز ١:١٢

الهي الهي لماذا تركتنى

بعيدا عن خلاصى عن كلام زفيرى مز ١:٢٢

خلصنى يا الله

لأن المياه قد دخلت الى نفسى

وغرقت فى حمأة عميقة وليس مقر

دخلت الى اعماق المياه والسيل غمرنى مز ١:٦٩

هذه الأثات كلها حزن ونوح وبكاء وعويل كثير ، كما تنم عن روح اليأس والقنوط ، وكان المزمع فى آلامه قد وصل الى آخر حدود طاقة الاحتمال . ويبدو أنه كان يائسا كل اليأس من تغير شعور شاول نحوه طالما كان كوش ودواغ وابنير وغيرهم (الذين برهنوا على أنهم ألد أعدائه) ملازمين للملك وينقشون سمومهم فى صدره . ثم وجد أنه أصبح من الصعب جدا التخلص من متابعة رجال الملك له الذين صاروا ملمين بمخابئه ودخوله وخروجه بسبب طول المران . وفوق ذلك فقد كان ارتبائه يتزايد يوما فيوما بخصوص اعالة العدد العظيم من تابعيه . فقد كان عليه أن يعول كل يوم ستمائة رجل خلاف النساء والأولاد . ثم أن وجود هؤلاء النساء والأولاد معه جعله عسيرا عليه أن يكون دائم الهجرة والتنقل بسبب عدم قدرتهم على تحمل مشقات الانتقال الكثيرة . لقد كان له حينئذ زوجتان ، ومما قيل عن غزو صقلج - الذى تم بعد ذلك بقليل - نستنتج أن نسبة كبيرة من تلك الجماعة التى وافقته كانت تتكون من أولئك الذين كانت لهم زوجات وبنون وبنات وممتلكات ١ صم ٣٠:٣ و١٩ و٢٢ .

(م ١٠ - حياة داود)

أما في الأيام الأخرى التي كان فيها داود قسوى الإيمان فلم تكن هذه الاعتبارات بكافية لتزعزع نفسه • فلو أنها هاجمته في عنفوان قوته لثبتت نفسه في الله ، وتقوى بشدة قوته ، بكل صبر وأناة وفرح • ولكنه أخيرا ضعف إيمانه وانحلت رباط شجاعته حتى قال في قلبه « انى سأهلك يوما بيد شاول فلا شيء خير لى من أن أفلت الى أرض الفلسطينيين فيبأس شاول منى فلا يفتش عنى بعد فى جميع تخوم اسرائيل فأنجو من يده » •

(١) لننأمل فى هذا التفكير المفاجيء :

١ - انه كان بايعاز التدبير العالمى • «وقال داود فى قلبه» لقد لاحظنا اكثر من مرة انه كان من عاداته فى المناسبات الأخرى استدعاء الكاهن بالأقود ، او الاستعلام من الله بواسطة جاد النبى ، أما فى هذا التفكير فانه لم يرجع الى هذه الطريقة أو تلك • لقد تصرف فى موضوع نابال تحت التأثير المفاجيء لعاطفته وهنا يتصرف تحت تأثير الخوف والانزعاج لقد نظر الى الظروف ولعله أصغى الى مشورة الرجال الذين التقوا حوله معجبين بصفات الجراءة والشجاعة والكرم التى جعلته بطل زمانه ولكنهم لم يبالوا بمصانير حياته الأعمق فى الله وإيمانه وصلاته •

• ايها العزيز لا تتخذ اية خطوة واثت تحت تأثير الخوف والانزعاج ، ولا تسمح لآى انسان ياملاء ارادته عليك ، هدى نفسك واصمت ، الزم الخلوة فى مخدعك حتى يعود نبض القلب الى حالته الطبيعية وينزع الخوف • عندما تكون متحفزا جدا للعمل فاعلم بانك فى ذلك الوقت بنوع خاص - أكثر عرضة لأشنع الأخطاء • لا تقل فى قلبك ماذا أريد أو ماذا لا أريد أن افعله ، بل انتظر الله حتى يعلن لك طريقه • وطالما كان هذا الطريق مجهولا فهذا يوضح بأنه لا داعى للتقدم للعمل ، وأن الله

يعتبر نفسه مسئولاً عن كل النتائج التى تترتب على إبقائك حيث أنت .

٢ - وكان مهينا جدا لله . ألم يحلف له بأن يجعله ملكا ، ويرمى أعداءه كما من وسط كفة المقلع ، ويصنع له بيتا آمينا ؟
١ صم ٢٨: ٢٩ ، ألم تؤيد هذه المواعيد بواسطة صموئيل ، ويوناثان ، وإبيجايل ، بل شاول نفسه ؟ ألم يعلن له عند مسحه بالزيت الذهبى انه قد صار مسيح الله ؟ لقد كان مستحيلا أن يكذب الله أو ينسى عهده . لقد ارتبط معه الله القدير بأوثق العهود ، وكان مستعدا أن يمنحه فى محنته تعزيزات جزيلة لو أنه فقط بقى داخل جدران ذلك الحصن المنيع الذى شيدته هذه المواعيد ودعمته تلك التأكيدات ، ولقد كان من الأسر أن تزول السماء والأرض عن أن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من مواعيد الله .

إذا فلم يكن خليقا بداود مطلقا أن يقول : «لقد بدأت أخشى أن يكون الله قد تعهد بأكثر مما يستطيع إتمامه . صحيح أنه قد حفظنى إلى الآن ، ولكننى أشك فى أنه يستطيع أن يجعلنى تغلب على الصعوبات التى تتزايد يوما بعد يوم . ان شاول لا بد أن يتم مقاصده ضدى إن لم يكن عاجلا فآجلا ، فمن الخطأ أن أقف فى وجهه . لقد انتظرت حتى عييت ، وهذا هو الوقت لاستخدام حكمى وذكائى وتخليص نفسى - طالما كان ذلك فى إمكانى - من الشبكة التى نصبت فى طريقى .

لا شك فى أن هذا التفكير قد بعث السرور الجزيل فى نفوس الكثيرين من أتباعه ، ولكن لا شك أيضا فى أن كل الاتقياء قد احتسوا بأن هذا الاعتراف الذى ينم عن روح اليأس يتعارض مع نصائحه التى طالما رددناها لانتظار الله .

كل منتظريك لا يخزوا

ليخز الغادرون بلا سبب من ٢:٢٥

من الأيسر جدا أن نرشد الآخرين إلى الطريق السليم المستقيم في أوقات راحتنا وهدوئنا عن أن نكتشف لأنفسنا هذا الطريق عندما تعصف علينا العواصف .

كان الدكتور تاوولز - وأعظم ستراسبورج العظيم - قيل توبته لا يفوته أي شخص في التحدث عن فضائل التواضع والوداعة وإنكار الذات ، ولكن عندما التقى به سائح بسيط متواضع وعاب عليه محبته لنفسه أكثر من الله ، استاء أشد الاستياء وثار في داخله قلبه المتعجرف . يجب أن يدرك كل منا أن هنالك فرقا بين الكلام والاختيار ، بين التوهم أننا نملك والامتلاك فعلا ، بين إرشادنا لغيرنا وبين تصرفنا عندما تداهمننا الظلمة .

٣ - وكان في غاية الخطر . كانت فلسطين مكتظة بهياكل الأصنام وكنية الأوثان ٢ صم ٢١:٥ . لم تكن ضمن ميراث الرب ، الأرض المقدسة ، التي كان يعتبرها أتقياء الاسرائيليين في ذلك الوقت مسكن العلى والتي كان يعتبر كل من يبعد عنها كآفة قد أبعد إلى البرية والفقر والأرض المهجورة من الله . أية شركة يستطيع أن ينتظرها داود مع روح الله الذي اختار اسرائيل كشعبه الخاص ويعقوب نصيب ميراثه ؟ كيف يستطيع أن يرم ترميمة الرب في أرض غريبة ؟ أي نصيب يستطيع أن يجده في الذبائح التي تصاعد منها الدخان على مواقع توب وقرية يعاريم؟ وفوق ذلك فإن اختلاطه الدائم بسكان الأرض أثناء عبادتهم الوثنية وأرجاسهم لا يمكن إلا أن يحدث تأثيرا سيئا جدا في

نفوس وعقول غير الثابتين في جماعته • ولا بد أن تلك الأرجاس قد نفثت سمومها في قلوب الكثيرين وظهرت نتائجها الخطرة بعد ذلك ببضع سنوات • وما لم يؤثر قط في داود الذي كان يعتقد بأن الوثن لا شيء في العالم لا بد أنه قد أثر تأثيرا ضارا لأبعد الحدود في الضمائر الضعيفة بجماعته التي قد تلوث بما رآته وسمعته •

٤ - وكان دخولا في طريق يتطلب الغش والخداع على الدوام: لقد رحبت به جث كل الترحيب • عندما طلب الاحتماء بالملك أخيش من قبل لم يكن معه سوى جماعة قليلة جدا ، أما الآن فقد صار قائد جماعة عظيمة من الحاربين الذين يستطيعون أن يغيثوا جري الحرب الطويلة التي طالما نشبت بين إسرائيل والفلسطينيين • وأقام داود عند أخيش في جث هو ورجاله كل واحد وبنيته •

وعلى أي حال فقد كان هذا التقرب من القصر والبلاط الملكي أشد المضايقة للعبرانيين • إذ كانت كل حركاتهم تحت المراقبة بصفة مستمرة ، وكان من المتعذر أن يحتفظوا بحريتهم واستقلالهم • لذلك طلب داود أخيرا أن تخصص له مدينة صغيرة • ولحسن حظه سمح له بالنزول في صقلع وهي مدينة في الجنوب كانت من نصيب يهوذا أصلا ثم نقلت إلى نصيب شمعون وأخيرا متلكها الفلسطينيون ولكنهم لم يسكنوها يش ٢١:١٥ ، ٥:١٩ ،
أي ٤ : ٣٠ •

وإذ وجد هؤلاء الرجال المطاردون أنهم تحصنوا في هذه المدينة الصغيرة شعروا بشيء من الراحة والأمان • لقد ظلوا هذه طويلة بلا وطن يستقرون فيه ، وكانت حياتهم مليئة بالخوف

والفرع ، دائمى الهرب ، حاملين السلاح دواما على جوانبهم أو ممسكين اياه بأياديهم ، حواسهم مرهفة دقيقة تتنبه حتى لحفيف أوراق الشجر أو اخف حركة فى المخيا • اما الآن فقد استراحوا من كل هذه المتاعب • واستمروا فى راحتهم وطمانينتهم نحو ستة عشر شهرا • وجلس النساء والرجال المتقدمون فى السن فى الشوارع ، ولم يعد الأطفال يمنعون عن أصوات الفرع فى مسامراتهم والعابهم كما كانوا من قبل خشية ان يلتفتوا نظرا للجواسيس فى جيش الملك • « فاخبر شاول ان داود قد هرب الى جت فلم يعد أيضا يفتش عليه » •

على ان قلب داود كان لا يزال متعلقا بشعبه ، وكان عقله دائم التفكير فى تدبير أية خديعة للخلاص • انه لم يكن فى قلبه أية محبة حقيقية نحو اخيش ، ولم يكن متحمسا لاستدامة حكمه ، لأنه لم يكن قد هجر الشعب المختار ولو كان قد هرب امام شاول ، كان يعتقد فى قرارة نفسه انه لا يزال « عبرانيا من العبرانيين »

وكان لا بد له من ان يعول نفسه واتباعه • وفى تلك الايام ، ايام الحرب الوحشية مع الشعوب المتاخمة ، لم تكن هناك طريقة (فى نظر الفلسطينيين على الأقل) سوى الاغارة على الأرض التى هجرها • وهذا بطبيعة الحال لا يمكن ان يخطر له على بال ، ولذلك حول وجهه نحو القبائل الجنوبية التى كانت متحالفة مع الفلسطينيين ولكنها كانت من الذ الأعداء لشعبه • بين هذه كانت توجد قبائل الجشوريين والجرزيين والعمالقة ، وكلها قبائل بدوية تعيش على السلب والنهب • ولكى يضمن داود عدم وصول القسوة واتباع سياسة سفك الدماء وعدم استبقاء أى امرأة أو رجل حيا • وعندما طلب منه اخيش تقريراً عن حملته اجاب بمراوغة انه اغار على جنوب يهوذا والقبائل التى كانت تحت

حكم إسرائيل المباشر . وقد اعتقد الفلسطينيون أن عدم أسرهم أحدا من شعب إسرائيل (والأسرى عادة ائمن من سائر الغنيمات) دليل على شدة بغضه لأهل وطنه ، والواقع أنه فضل التنازل عن الأرباح التي تعود عليه من بيع الأسرى عن أن يراهم في مرارة المر في أسرهم . « فصدق اخيش داود قائلا قد صار مكروها لدى شعبه إسرائيل فيكون لي عبدا إلى الأبد » .

كان كل تصرف داود في ذلك الوقت لا يليق مطلقا بدعوته العليا كمسيح الله . ثم أنه كان أيضا وقتا مجديا في اختباراته الدينية . ونحن لا نستطيع أن نعثر على أي مزموّر يشير إلى هذه الحقبة . ففيها صممت مرثم إسرائيل الحلو . ولعله قد حصل على أوتار موسيقية جديدة ، أو أجاد العزف على بعض آلات موسيقية جديدة أثناء أقامته في جت التي طالما رددت ذكرياتها بهذه الكلمة « الجتى » في المزامير التي انشدت فيما بعد . ولكن من ذا الذي يبدل الأغنية بنغمة ، والمزموّر بقيثارة ؟ أنها لمبادلة بخسة . لقد كان في جو تلك السهول المنخفضة ما أخرج ذلك الصوت الجميل الذي طالما سبّح الله وسط جبال اليهودية ومغارات عين جدى .

لا تنطبق هذه العلامات - الدالة على الانتكاس والانحطاط - كل الانطباق على ما نشاهده في أنفسنا وفي الآخرين ؟ قد يكون طريق الإيمان شاقا للجسد ولكنه مبهج ومفعم للروح . قد يتطلب الأمر أن تتابع السير والجهاد بمشقة جمة وسط الجبال ، ولكننا لا بد وأجدون ترنيمة جديدة في أفواهنا ، ترنيمة الحمد والشكر . ما حين نهبط إلى السهول المنخفضة ، إلى مزالق السياسة العالمية والتدابير الشخصية التي تبدو مناسبة ومقبولة في نظرنا، تصاب لنفس بلوثة ممقوتة ، وتصمت أغنيات القلب .

ومن تلك اللحظة نحن نترك لتدعيم موقفنا بتدابيرنا الشخصية

وآرائنا الشخصية • قد نطلب المعونة من الله ولكننا لا نتكل عليه
الافتكال الكلى لتدبير أمورنا ، قد نطارد حتى نصل الى مواقف
حرجة نخلص منها بالكر والغش والخداع والمراوغة التى نحتقرها
فى قرارة أنفسنا • سوف ندرك اننا قد اشترينا الخلاص من
الظروف القاسية بتضحية جسيمة وبدلنا ابتسامة الله بابتسامة
أخيش التى سرعان ما تتحول عنا ، ونحسسون العناية الالهية
بأسوار صقلغ التى سوف نبكى سريعا على أطلالها بدموع سخية •

الفصل الثامن عشر

رحمة الله التي اقتادت الى التوبة

١ ضم ٢٩ و ٣٠

اخضع نفسك بصلاة التوبة والاتسحاق
واذل قلبك تحت يد القدير
الذي ان يرى اتسحاق قلبك وتجدده
يرشدك وسط الاثم والخطية
ويأتي بك الى التوبة الجميلة
والشعور بوجودك في حضرته

(كلف)

كانت رحمة الله الجزيل المحبة ترفرف فوق حياة داود في
فترة انحرافه وأرتداده التي كانت موضوع تأملنا في الفصل
السابق . عندما يضعف أو يتلاشى إيماننا ، عندما نكون غير
أمناء فهو يبقى أميناً لمن يقدر أن ينكر نفسه . وعندما يبتعد عنه
عبده ويذرعون الشوك والحصك لأنفسهم ويطعنون انفسهم بأوجاع
كثيرة فإنه يحيط بهم ، يرثي لهم ويشفق عليهم ، ويظهر لهم أعماق
مظاهر رحمته وشفقته ، لكي يعيدهم ثانية الى حظيرته .

وهذا ما يتجلى لنا بأجلى وضوح في هذه الفترة من حياة
داود . لقد سلب الرب عليه شعاعة قوية من رحمته وصلاحه لكي
تنتشله من وهدهة ، ولكي تنقذه من الحفرة حياته ويتنجى من
السيف نفسه .

والآن لتتبع الأدوار المختلفة لهذه العملية المباركة التي رد فيها الرب داود بمحبته الجزيلة • ولنثق ونحن نحاول ذلك أن الله لا يزال يتم نفس هذه الخطوات لكي ينتشل من الحفرة حياتنا ، لكي تستنير بنور الحياة • ثم انه لا بد أن تتحقق معنا أيضا كلمات داود التي نطق بها فيما بعد ان تطلع الى تلك الفترة من حياته وهو واقف فوق مجد قوته التي رفعه اليها صلاح الله فيما بعد « لطفك يعظمنى » ٢ صم ٣٦:٢٢ ، مز ٣٥:١٨ •
ولقد تجلت رحمة الله الهادية فى :

(١) دفع العظماء والاقوياء للدفاع عن قضية داود :

يقول كاتب سفر اخبار الأيام الأولى ص ١:١٢ « وهؤلاء هم الذين جاءوا الى داود الى صقلغ وهو بعد محبوس عن وجه شاوول بن قيس وهم من الأبطال مساعدون فى الحرب ، ويبدأ بعد ذلك بذكر أسمائهم • لقد اتى البعض من سبط شاوول نفسه : ماهرون فى الفنون الحربية ، يستطيعون - باليد اليسار كما باليمين - أن يرموا بالقلع أو بالقوس • والآخرين أتوا من شرق الأردن ، عبروة عائمى وقت الفيضان ، رجال بأس متمرنون على الحرب ، وجوههم تشبه وجوه الأسود ، سريغوا الحركة كالأيائل فوق الجبال • واتى غيرهم من بنيامين ويهوذا مؤكدين لداود انه لا مبرر بأن يشك فى ولائهم له • يالها من كلمات نبيلة تلك التي نطق بها قائدهم عماسائى والتي ربما كانت معبرة عن شعور باقى الأبطال الذين التفوا حول راية داود فى ذلك الوقت : « لك نحن يادود ، ومعك نحن يا ابن يسى ، سلام سلام لك ، وسلام لمساعديك لأن الهك معينك » ١ أى ١٨:١٢ •

واضح أن روح التذمر كان قد بدأ يتفشى فى كل اسرائيل فان الشعب اذا عيا من ظلم شاوول وسوء ادارته بدأ يدرك أن

رجاء اسرائيل الوحيد معقود فى ابن يسى . لذلك خرجوا اليه خارج المحلة ، حاملين عاره، مرتضين أن يخسروا كل ما امتلكوا، واثقين أنهم سيستردون كل شيء بل مئة ضعف عندما يأتى الى خاصته . وهكذا صاروا يتقاطرون عليه يوما فيوما « لأنه وقتئذ أتى أناس الى داود يوما فيوما لمساعدته حتى صاروا جيشا عظيما كجيش الله » ١ اى ٢٢:١٢

وهكذا فى كل يوم نرى الامناء والمخلصين يلتفون - فى صمت وفى الخفاء - حول ربنا المبارك الذى ليست مملكته ارضية بل سماوية ، الذى ذهب بعيدا ليستلم ملكا ولكنه سيعود يقينا ، وعندما يستعلن فى مجده فحينئذ يستعلنون معه هم أيضا . اذا فمن الذى لا يرتضى بأن يترك مملكة رئيس هذا العالم الزائلة التى سوف يقضى عليها القضاء المبرم فى الموقعة الأخيرة العظمى لكى ينضم تحت رعية مملكة ابن داود الباقية ما بقيت الدهور ؟

(٢) انتشار عبده من الموقف المزرى الذى هوى اليه :

وبغية اعتزم الفلسطينيون اتخاذ سياسة جريئة . لقد لاحظوا الانحلال الذى بدأ يذب فى مملكة شاول ، كما لاحظوا - بارتياح خفى - العدد العظيم من الأبطال الذين بدأوا للانضمام تحت لواء داود فتوهموا بأنهم لا ينضمون اليهم . ولعدم اطمئنانهم بسبب الأعداء المتأخمين الذين ضايقوهم زمنا طويلا اعتزموا السير فى طريق السهل البحرى ، وهو شريط من الأرض المنبسطة متأخم للبحر الأبيض المتوسط ، وأن يضربوا ضربة شديدة فى قلب الأرض ، أى فى سهل اسدرايلون الخصب ، الذى قضى عليه ان يشهد اعظم المواقع الحربية فى العالم ، وتخضبت أرضه بدماء أعظم القواد مثل سيسرا وشاول ويواش وتلاحمت فى ساحتها

أقوى الجيوش : الفلسطينيين مع العبرانيين ، المصريين مع الآشوريين، الرومان مع المكابيين ، العرب مع الأنجلوسكسونيين .
« وجمع الفلسطينيين جميع جيوشهم الى أفيق، وكان الاسرائيليون نازلين على العين التي فى يزرعيل » ١ ص ١:٢٩ .

وعند التفكير فى هذه الحملة اكث الملك لداود - بنية خالصة - انه لا بد من مرافقته اياه . ولعل هذه قيلت علامة على ثقة الملك بداود بنوع خاص . ولو لم يكن اخيش قد وثق كل الثقة فى قزامة داود لكان من الحماسة ان يدعو لمرافقته فى حملة كهذه .
انه لم ير اى لوم فيه منذ الساعة الاولى التى التجأ اليه طالبا حمايته ، بل كان ينظر اليه كملاك الله، لذلك لم يتردد عن دعوته للسير بجانيه بل ليكون قائدا جيشه . « فقال اخيش لداود لذلك اجعلك حارسا لراستى كل الأيام » ١ ص ٢:٢٨ . لقد وجد الملك راحة عظمى لنفسه الكريمة اذا تحول عن رؤسائه العتاة وقواده المتطرسين واثمن هذه الشخصية النبيلة طيبة القلب .

على ان الموقف كان دقيقا وحرجا جدا مع داود . فانه لم يكن امامه الا ان يرافق سيده فى الحرب، ولكن باى قلب يستطيع ان يفعل هذا ؟ لقد كان يدور بانه يتحتم عليه محاربة شاول الذى ترب من وجهه منذ سنوات طويلة ، ويوناثان صديقه الحميم ، والشعب المختار الذى كان يرجو ان يملك عليه يوما من الأيام .
ولكنه لم يستطع الا ان يجيبه بمراوغة وإبهام مع شىء من الرزانة المتكلفة « لذلك انت ستعلم ما يفعل عبدك » . ومع انه جاز معه تلك المسافة الطويلة التى تقدر بنحو خمسين أو ستين ميلا فقد كان يشعر فى كل خطوة بانقباض صدره وخفقان قلبه . انه لم يكن يرجو معونة من اى انسان ، ولهذا فلعل قلبه كان منشغلا بصلاة حارة الى الله لكى ينقذه من تلك الشباك التى نصبتهما لقدميه

خطاياهم . وفي الغموض الذي يكتنف الاجابة التي قدمها لآخيش نرى آثارا لرجائه بأن الله رغم كل ذلك سوف ينقذه من هذا الموقف المخيف الحرج .

ان كنت بسبب اخطائك وخطاياك قد أوجدت نفسك في مركز حرج كهذا فلا تيأس بل استمر في رجائك في الله . اعترف بخطيتك واتركها ، اتضع قدامه ، فيقوم ويخلصك . ربما تكون قد اتلفت نفسك ، ولكن تأكد بأن معونتك فيه وحده . » ان يكن قد بددك (بسبب عصيانك وارتيادك) لى اقضاء السموات فمن هناك يجمعك الرب الهك ومن هناك يأخذك ، ويأتى بك الرب الى الأرض التي امتلكها آباؤك فتمتلكها ويحسن اليك ويكثرك اكثر من آباءك ، تث ٣٠:٤ .

وبغته وعلى غير انتظار فتح باب الرجاء في هذا الوادى ، وأدى عخور . فانه عندما استعرض آخيش جيشه في افيق ، » وعبر اقطاب الفلسطينيين مئآت وألوفاً عبر داود ورجاله في الساقة مع آخيش ، . وهذا حرك عاطفة الحسد وبعث الشك في اقطاب الفلسطينيين المتعجرفين ، فأتوا الى آخيش بكلمات قارسة وتهديدات خطيرة » ما هؤلاء العبرانيين ؟ أرجع الرجل فيرجع الى موضعه الذي عينت له ولا ينزل معنا الى الحرب ، وعيثا حاول آخيش ان يدافع عن صديقه العزيز داود ، لأن الفلسطينيين لم يقبلوا منه كلمة واحدة في هذا الصدد . بل أشاروا الى مواقفهم الماضية كبطل صنديد وعدو عنيد في الحرب ، كما أبدوا تخوفهم من ان هذه قد تكون فرصة سانحة يصطليح فيها معشاول على حساب الفلسطينيين بأن يخونهم في الحرب . وأخيرا لم يجد الملك بدا من ان يذعن لهم . وقد كان شاقا جدا على نفسه ان يخون داود بالقران الذي اضطر اليه ، ولكنه لم يدرك مطلقا كيف

قوبل هذا القرار من داود بارتياح عظيم وفرح جزيل . واننا
لنتخيل داود يناجى نفسه - لدى مغادرته قصر الملك بهذه
الكلمات :

انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين

الفخ انكسر ونحن انفلتنا

مز ١٢٤: ٧

من ثم تظاهر داود بأنه قد أودى فى براءته « ماذا عملت
وماذا وجدت فى عبدك من يوم صرت أمامك الى اليوم حتى
لا آتى وأحارب أعداء سيدي الملك ؟ » . ولكن قلبه لم يكن
وراء لسانه . وأخيرا ألح الملك فى الرجاء لكى يرجع داود فى
الصباح الباكر . وحالما بزغ نور الفجر أصدر أمره لرجاله
بالرحيل . وفى تلك اللحظة نظر - بلمحة خاطفة - الى محلة
اسرائيل حيث كان قلب الأسد (يوناثان) صديقه الحميم يستعد
للحرب بلا ريب . وكم كان يتمنى من كل قلبه أن يكون بجوار
خله الوفى فى صد غارة من أعظم الغارات التى شهدوها .

(٣) تصرف العناية الالهية معه بصدد حرق صقلغ :

لقد كانت رحمة الله العظيمة هى التى دفعت أقطاب
الفلسطينيين للاحتجاج على استمرار داود فى محلتهم . لقد كانوا
يحسبون بأنهم انما يتبعون سياسة عادية تمليها عليهم حكمتهم
وبعد نظرهم ، ولم يدركوا بأنهم كانوا آلة فى يد الله لانقاذ داود
من فخه . لقد جاء احتجاجهم فى اللحظة المناسبة ، ولو أنهم
تأخروا بضع ساعات لكان داود قد اشترك فى الحرب ، أو لم
يكن قد عاد فى الوقت للحاق بالعمالقة الذين كانوا قد غزوا
صقلغ .

وبينما كان داود يغادر ساحة الحرب قدم اليه الفلسطينيون جماعة من سبط منسى (يظهر أنهم كانوا قد لجأوا هم أيضا الى اخيش) لئلا ينقلبوا هم أيضا الى خونة في الحرب . وهكذا غادر داود محلة الفلسطينيين وقد ازداد عدد تابعيه زيادة عظيمة . وهنا أيضا نجد برهانا على عناية الله وحسن تدبيره لأولاده ، لأنه لم يكن محتاجا الى تقوية في أى من الأوقات في كل أيام حياته أكثر من هذا الوقت . ان الله يرى بعينه الشاقيتين التجرية القادمة قبل أن تحدث ، ويهيئ القوة الكافية التى بها نستطيع أن نثبت أمام شدتها وضغطها . انه يأخذنا الى البيت الجميل لتتسلح بالأسلحة الكافية قبل نزولنا الى الوادى للقتال مع ابوليون (راجع كتاب سيطرة المسيحى) .

وكان من تدبير الله العجيب ورحمته العظمى أن لا يترك داود أى رجل للدفاع عن صقلج مدة غيابه على غير عادته . ليس يسيرا أن نعلل سبب عدم اتخاذ الحيلة لضمان سلامة المدينة في تلك الأيام الخطرة ، ولكن الأمر ظاهر انه لم يترك جنديا واحدا لحماية الأطفال والنساء . على أن هذا كان لخيرهم ، لأنه عندما سطا العمالقة على المدينة بغتة لم يكن فيها أحد للوقوف فى وجوههم ومقاومتهم فيحسبون له حسابا . لم يكن فيها أحد لصدهم ، ولم يخشوا من متابعة أحد لهم أو الانتقام منهم . ثم أنهم كانوا متيقنين أن داود ورجاله لا يمكن أن يعودوا من الحرب قبل مضي بضعة اسابيع أو شهور ، ولذلك لم يروا هناك داعيا لاتخاذ الاحتياطات العادية بل اعتقدوا أنهم يستطيعون ان ينتشروا فى كل الأرض يأكلون ويشربون ويولون الولائم .

فى تلك الساعة الرهيبة ، ساعة الحزن والفرح ، لم يكن ممكنا أن ينقذ حياة داود سوى تدخل الله العجيب . عند وصول الجنود الى المدينة منهوكى القوى بعد مسيرة ثلاثة أيام وجدها

اطلالا خربة ، وعوضا عن ترحيب الزوجات والبنين لم يسمعوا الا اصوات اليوم تنفق على خرائب المدينة . « فرفع داود والشعب الذين معه اصواتهم وبكوا حتى لم تبق قوة للبكاء » ، على أنه كان هنالك عنصر آخر للحزن فى نفس داود ، فان أولئك الذين صرخوا قبل الآن بوقت وجيز قائلين « نحن معك يا ابن ييسى ، سلام سلام لك ، لأن الله معيك » ٢ أى ١٨:١٢ فكروا الآن فى رجمة . لقد تبدل الولاء والاخلاص والمحبة التى تمتع بها على الدوام من تابعيه الى حنظل ومرارة . وتبدل لبن العواطف البشرية والمحبة الى خل وعلقم فى تلك الثورة المروعة .

على أن هذه كانت هى اللحظة التى رجع فيها الى الله . فى تلك الساعة الرهيبة التى فيها اكثرت قدماء من جمرات النار التى كان يطأها ، والتى فيها اشتدت مخاوفه وقلقه من أجل زوجته ، والتى كان يتجرع فيها مرارة الخداع والغش والخيانة التى ارتكبها ، والتى قطعت علاقته بالله حسب اعتقاده ، والتى طنت فى أذنيه كلمات التهديد برجمة - فى تلك الساعة قفز قلبه فجأة ودفعه للعودة الى موضع راحته السابق فى الاحضان الالهية « فتضايق داود جدا لأن الشعب قالوا برجمه لأن أنفوس جميع الشعب كانت مرة كل واحد على بنيه وبناته ، وأما داود فتشدد بالرب الهه » .

من تلك الساعة استعاد داود نفسيته الأولى ، القوية ، البهجة النبيلة ولأول مرة - بعد عدة شهور ابطل فيها تلك أنعادة الجميلة - يأمر ابيائنا بتقديم الافود اليه ليسأل الله . وبقوة عجيبة يجد فى اثر الغزاة فيلحق بهم . بعد ذلك نراه يكبح جماح رجاله حتى المساء ثم يأنث لهم بالانتقام من أعدائهم وتخليص بنيتهم وزوجاتهم ، فانقضوا عليهم كما ينقض النسر على فريسته حتى لم ينج سوى اربعمائة رجل كانوا يركبون الجمال وهربوا

بسرعة خاطفة وعندما أظهر تابعوه روح الجشع والطمع واقترحوا أن لا يعطى شيء من الغنيمة لزملائهم الذين تخلفوا فى وادى البسور بسبب اعيائهم وقف داود أمامهم جميعا بجرأة وشجاعة وأصر على رفض طلبهم هذا قائلا « لا تفعلوا هكذا يا اخوتي . . . ومن يسمع لكم فى هذا الأمر لأنه كنصيب النازل الى الحرب نصيب الذى يقيم عند الامتعة فانهم يقتسمون بالمسوية » . وهكذا نرى أن من يقوى على الوقوف أمام الله يقوى كذلك على الوقوف أمام الانسان .

وعندما جاءه رسول - بعد ذلك بقليل - يلهث راكضا لينقل اليه أخبار القتال العنيف فى جبل جلبوع (ص ٢٣١ ، صم ١) تجلد ورثا شاول وأبناءه بتلك المراثاة التى قد تكون أبلغ مراثاة فى الوجود ، ثم جازى ذلك الرسول العماليقى بما يستحقه ، رغم أن تلك الأخبار كان فيها اتمام آماله التى أبطأت .

كما كان داود قويا فقد كان حلوا ومحبوبا ، ومحشما ، ومؤدبا ، وشجاعا . لأنه عندما عاد الى صقلج كان أول ما عمله انه أرسل من الغنيمة التى ربحها من العمالقة الى شيوخ كل المدن الجنوبية المتاخمة التى كان متعودا أن يلجأ اليها من وقت لآخر اعترافا منه بأنه مدين لهم ، ووفاء لذلك الدين على قدر استطاعته

وهكذا اشرقت شمس محبة الله من جديد على نفسه وأضاعته . لقد أفلت من قلعة الشك وشيطان اليأس ووصل مرة أخرى الى طريق الطاعة والأمان (راجع كتاب سياحة المسيح) . لقد أصعده الله من جب الهلاك ، من طين الحمأة ، وأقام على صخرة رجليه وثبت خطواته ووضع فى فمه ترنيمه جديدة من ٢:٤٠ و٣ . فليصغ جميع المرتدين وليتشجعوا . فان هذه الأمور سبق أن كتبت لتعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء رو ٤:١٥ .

(م ١١ - حياة داود)

الفصل التاسع عشر

يتزوج ثلاث مرات

٢ صم ١ - ٤

لأن الحياة بكل ما فيها من أفراح وأتراح
هى نصيبنا من جزاء المحبة
فلنمسك من الآن بكل حرص
بهذا الجزاء رغم حسد العالم

(ر • براوننج)

انقضى يؤمان على نصرة داود على عماليق وذبحهم وعودته
الى صقلغ التى أصبحت اطلالا دارسة • ولعل داود كان ينتظر
طول هذين اليومين علامة تحدد له طريقه فى المستقبل • ماذا
يفعل بعد ذلك ؟ هل يبدأ ببناء المدينة الخربة ؟ أم هنالك خطوة
أخرى لحياته فى برنامج العناية الالهية ؟ لقد كانت نفسه منتظرة •
لم ينس بأنه عند ترك محطة اخيش كانت الحرب توشك أن تدور
رحاها بين الفلسطينيين وبلاده • هل تمت تلك الحرب ؟ وماذا
كأنت نتيجتها ؟ ماذا جدد من أحداث فى ذلك اليوم الخطير ؟
ماذا كانت أخبار شاول ، ويوناثان ورفاقه ؟ يقينا أنه لم تكن
لتمضى أيام كثيرة حتى تأتية الأخبار على جناح السرعة للجأبة
على ما كان يريد فى ذهنه من أسئلة غامضة •

وفى اليوم الثالث قدم الى المحلة شاب يلهث من سرعة

الركض ، ثيابه ممزقة ، والتراب على رأسه . فشق الصفوف ،
وتقدم الى داود مباشرة ، وخر الى الأرض ، وسجد بين قدميه .
وفى برهة قص كل ما لديه من أخبار ، وكانت كل كلمة تمزق
أحشاء داود . لأنه علم من هذه الأخبار أن إسرائيل هربوا أمام
العدو ، وأن عددا عظيما منهم قتلوا فى ساحة الحرب ، وأن
شاول ويوناثان قتلوا أيضا . فى تلك اللحظة أدرك داود أن تلك
الغمامة التى تلبد بها جوه طويلا قد انقشعت ، وأن آمال السنوات
الطويلة أوشكت أن تتحقق . ولكنه لم يفكر فى نفسه ، ولا فى
التغيير العظيم الذى سوف يحل بحياته . فان نفسه الكريمة
انكرت ذاتها ، وتناست شخصيتها ، وسكنت ينبوعا من الدموع
الكريمة التى لم تسكب نظيرها عين بشرية « على شاول وعلى
يوناثان أبنيه ، وعلى شعب الرب ، وعلى بيت إسرائيل لأنهم
سقطوا بالسيف » .

(١) قصص داود بصدد ذكرى شاول :

لم يكن هنالك أى شك فى موت شاول . ولقد وصل الى
داود تاج الملك ، وهو علامة الصلطان الملكى ، كما وصل اليه
السوار الذى على ذارعه . ولكى يشعر العماليقي داود يفضلته
عليه أكد له بأنه هو الذى قضى على الملك بنفسه بناء على طلبه .
« فقال لى قف على واقتلنى لأنه قد اعترانى الدور لأن كل نفسى
بعد فى فوقفت عليه وقتلته لأنى علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه » .
وكان داود قد فقد رشده حتى المساء ، ثم تنبه لى يبدى
احترامه لذكرى شاول .

١ - لقد استدرج العماليقي ليعترف بما فعل . ان ناقل هذه
الأخبار المجرئة قد أوقع نفسه بنفسه ، إذ اعترف بأنه قتل مسيح
الرب . وعند المساء أحضر هذا المسكين مرة أخرى فى حضرة

داود • ويظهر أن داود خامرتة بعض الشكوك في صحة هذه الرواية ، وقد اتضح كذبتها فيما بعد (١) • ومع ذلك فكان يجب أن ينال قاتل الملك أقصى العقوبة من أجل الجريمة التي اعترف بها بلسانه •

• وامتلاً قلب داود بنفس ذلك الولاء الذي سبق أن ملك مشاعره يوم ضربه قلبه من أجل قطع طرف جبة مسيح الرب وسأل ذلك السؤال الذي تنم لهجته على الرعب والفرع « كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب » • بعد ذلك استدعى واحدا من الغلمان وقال تقدم ، أوقع به ، فضربه فمات •

٢ - ثم سكب حزنه في « نشيد القوس » الذي أمر بأن يتعلمه بنو يهوذا وينشدوه ، والذي صار فيما بعد قطعة فنية رائعة في الرثاء لا تبارى بين أدبيات العالم • ولقد أطلق على هذه المراثاة « نشيد القوس » ع ١٨ بسبب الإشارة الى « القوس » فيها •

ويتبين عظم خسارة اسرائيل في الهتاف العظيم الذي تخيل داود أن بنات فلسطين رحبن به أبطالهن لدى عودتهم من الحرب ع ٢٠ ، في اللعنة الدائمة التي ضيها داود على الجبال التي تلوثت فيها مجن الجبايرة بالدماء والتراب ع ٢١ ، وفي الأعمال العظيمة التي قام بها البطلان بالقوس والسيوف قبل سقوطهما ع ٢٢ • بعد ذلك تنبعث من القلب المرئم فجأة تلك الكلمات القوية التي يعبر بها عن ذكرياته للصدقة القديمة التي ارتبط بها مع الراحلين • لقد نسي كل ما قاساه من شاول ، ولم يذكر

(١) فلم يكن هو الذي قتل كما يتضح من مراجعة ١ صم

سوى رجولته الكاملة فى أيام شبابه • وقد أبت عليه محبته النبيلة أن يذكر عن سيده شيئا الا كل ما هو جليل وجميل وثبيل ، تلك الصفات التى تحلى بها قبل أن يهبط به عناده الى الهاوية السحيقة المظلمة التى ظل فيها طول السنوات الأخيرة القليلة كأنه فى قبور الاحياء • « محبوب وحلو » هاتان هما الكلمتان اللتان نقشهما على قبره التذكارى •

اما يوفائان فلا بد من أن يخصص له فقرة خاصة • لقد كان مقتدرا كشاول • ألم يهجم وحده على جيش ويصنع خلاصا عظيما ؟ ولكنه مع كل قوته كان جميلا وحلوا • لقد كان أخا له ، كانت كل ذكرياته جميلة ومحبوبة ، كنغمات الموسيقى الشجية ، أو كرائحة نسيم الربيع العطرية كان رقيقا ، لطيفا محبا كالنساء ، شهما فى طبيعته ، يخشى العدو بطشه ، ويستमित فى حبه الصديق ، مروع فى الحرب ، ولكنه قروى جذاب فى محبته كمحبة النساء وأكثر • •

محبتك لى عجيبة

أعجب من محبة النساء

٣ - وفوق ذلك فانه بعث برسالة شكر وتهنئة لرجال يابيش جلعاد • ان الاهانة التى عامل بها الفلسطينيون جثث الملك وبنيه كفر عنها رجال يابيش جلعاد الصالحون • فهم لم ينسوا أن أول ما عمله شاول كملك أنه أنقذهم من عار شنيع وخطر محقق لا صم ١١ ولذلك فانهم دبروا خطة أمكنهم بها أن يأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه الثلاثة عن سور بيت شان الذى سمرت عليه هذه الأجساد بعد فصل رؤوسها عنها ، ثم حملوها الى مدينتهم ليلًا وأحرقوها لكي لا يعود الفلسطينيون ليمثلوا بها شر تمثيل ، ودفنوا الرماد بكل وقار واجلال تحت الاثلة فى جلعاد •

وحالما وصلت أخبار هذا الصنيع الى مسامع داود أرسل رسلا الى أهل يابيش جلعاد شاكرًا لهم جميلهم الذى صنعوه لذكرى الملك الراحل ، وواعدا أيام برد هذا الجميل كأنهم قد صنعوه بالآمة كلها وبنفسه .

فى كل هذا أظهر داود منتهى الشهامة وعظمة النفس . فانه لم يفكر فى نفسه أو فى مصالحه ، لانه تعلم سر انكار الذات ان حصر كل تفكيره فى العناية بشئون الآخرين . هذا هو سر انكار الذات . فتعلم اذا أيها القارئ العزيز كيف تحيا حياة غيرك ، سيما فى مصالح سيدك المسيح ، تجد نفسك قد تحررت من تطفل النفس وظلمها .

(٢) وجهة نظر داود نحو المملكة :

فى كل تصرفاته وحركاته فى هذه المناسبة نجد جمالا رائعا يدل على أن نفسه قد عادت تماما الى علاقتها بالله ، واستأنفت وجهة نظرها السابقة نحو انتظار الله وحده ، ووضع كل ثقته فيه لا سواه ، وتوجيه كل آماله نحوه . لقد وثق بأن الله وحده الذى يمنحه الملك ، ولذلك رفض أن يتخذ خطوة واحدة نحو العرش دون ارشاد الله المباشر .

ومما يجدر بنا ملاحظته بكل اهتمام موقفه فى الوقت الذى كانت توجد هنالك عدة بواعث تلزمه بسرعة التصرف . فان الفلسطينيين كانوا قد خربوا المملكة ، ولعله لم تكن هنالك حكومة مستقرة فى الأسباط الشمالية فى السنوات الخمس التالية ثم انه لم يكن هينا على نفسه - وقد كان قلبه يفيض محبة لبلاده - أن يقف مكتوف الأيدى دون أن يجمع شتات إسرائيل ويبطش بالعدو . وفوق ذلك فانه كان يدرك انه هو الملك اللعين من قبل الله ، وكان امرا طبيعيا أن يعتلى العرش قورا ، ويمسك

صولجان الملك كحقه الشرعى . ولعله لم يكن ممكنا لأحد أن يعترض على خطة حازمة كهذه . وربما كان ابنير قد أعبته الحيل فأحجم عن تنصيب ايشبوشث فى محنايم . وهكذا نرى أن داود قد تنازعتة عدة عوامل وأفكار بشرية . ولكنه لم يسلك حسب مشورة الجسد بل حسب مشورة أسمى ، لم يحكم حسب نظرة العين البشرية بل سال الرب قائلا « الأصعد الى احدى مدائن يهوذا ؟ » ، ويظهر أنه عندما أرشده الله للصعود الى حبرون لم يذهب اليها كملك أو قائد بل أقام بكل هدوء وسكون مع اتباعه وسط المدن والقرى المجاورة منتظرا حتى أتى رجال يهوذا واعترفوا به ملكا بكامل الرضى والارتياح . ثم مسح بالزيت للمرة الثانية .

لقد مسح أولا على يد سموئيل فى بيت أبيه خفية ، ومسح الآن ملكا على شعبه ، كما أن الرب يسوع - الذى كان داود ممثله ورمزه الأعظم - مسح أولا على شاطئ الأردن . ثم مسح ثانية كممثل لشعبه حين صعدوه الى السماء فى حضرة أبيه وأقيم ملكا على صهيون جبل قدسه .

وقبل أن نختم حديثنا عن هذه المسحة الثانية لا بد من الإشارة الى هذا الدرس الثمين الذى يجب أن نتعلمه وهو أننا قبل كل أزمة خطيرة فى حياتنا وخصوصا عندما نكون على وشك الدخول الى دائرة خدمة جديدة أوسع يجب أن نطلب وأن ننال مسحة جديدة لتعدنا لاتمام مطالبيها الجديدة . يجب أن تكون هنالك مسحات متكررة فى حياتنا كلما اتسعت دائرة الخدمة . من الخطأ أن نعتمد بنواما على مسحة سابقة قد حصلنا عليها فى الماضى ، بل يجب أن نمسح بزيت جديد . عند ترك المدرسة الى الكلية ، عند ترك الكلية الى الخطوة الأولى فى خدمة ربح النفوس ، عند بدء الحياة الزوجية ، ثم عند بدء حياة الأبوة أو الأمومة ، عند

الدعوة للخدمة العامة فى الكنيسة أو فى الدولة - كل خطوة جديدة يجب الاستعداد لها بانتظار الله ، وطلب قوة جديدة من الأعلى ، امتلاء جديداً من قوة الروح القدس .

(٣) مميزات حكم داود فى حبرون :

ملك داود على بيت يهوذا فى حبرون سبع سنوات وستة أشهر . كان فى عنفوان القوة ، إذ كان يبلغ من العمر ثلاثين سنة ، ويظهر أنه حصر كل همه فى الاستمتاع بحياة التقوى والقداسة الكاملة فى بيته . وفى بدء الاصحاح الثالث نرى اشارتين الى الحروب الطويلة التى قامت بين بيت شاول وداود ، وبين هاتين الاشارتين دوت أسماء زوجاته وبنيه ٢ ص ٢:٣ .

فى كل تلك السنوات ظل داود محتفظاً بروح الانتظار والرجاء فى الله التى كانت امتازت بها حياته بصفة مستمرة ، والتى لم تفارقه الا نادراً جداً . ونحن إذ نذكر أن الرب يسوع يجلس عن يمين أبيه حتى يوضع أعداؤه موثقاً لقدميه ، نذكر أيضاً - نفس هذا المعنى - أن داود جلس على عرش يهوذا فى مدينة حبرون (ومعناها شركة أو صحبة) منتظراً حتى نال الله كل الصعوبات وأزال كل العثرات ومهد الطريق الى المجد الأسمى الذى وعده به . لم يشذ عن هذه القاعدة الا حين طلب رن ميكال اليه . ولعله كان من الحكمة لكليهما لو أنها تركت لزوجها الذى ييسدو أنه كان يحبها محبة صادقة . ولكن يظهر أن داود وجد أن من واجبه الاصرار على حقه الشرعى كصهر الملك السابق ، سيما وكان قد عرف عنه أنه صاهر البيت الملكى .

إذا استثنينا هذه الحادثة نستطيع القول أنه كان على الدوام يسلك سياسة ايجابية . وعندما كان الأمر يستلزم الحرب

كان يترك ذلك الى يوأب . أما طلب نقل مملكة اسرائيل اليه فقد قدم اليه بواسطة ابنير نفسه الذى ظل يعتقد سنوات طويلة انه يحارب الله ، والذى قال أخيرا للملك (ايشبوشيت) الذى أقامه وعضده وسنده بأن ما حلف الله لداود لا بد أن يتممه ، أى لنقل المملكة من دان الى بئر سبع ، ومن بيت شاول الى بيت داود ٢ صم ١٠: ٩ و ١٠ . وتمت المفاوضات مع اسرائيل وبنيامين بواسطة ابنير بدون تدخل من داود مطلقا . فان ابنير هو الذىفاوض شيوخ اسرائيل ، وتحدث فى آذان بنيامين ، وذهب أخيرا ليتحدث فى اذن داود فى حبرون بكل ما حسن فى أعين اسرائيل وفى أعين جميع بيت بنيامين . وابنير هو الذى اقترح لداود أن يذهب ويجمع اليه (الى داود) كل اسرائيل ، وخاطبه على أساس انه هو سيده الملك قائلا له أن يستعد ليملك حسب كل ما تشتهى نفسه (ص ١٧: ٣ - ٢١) .

وسط كل هذه الاجراءات لم يفعل داود شيئا سوى أن يتقبل بهدوء ما عرض عليه ، ولم يحتد الا فى مناسبتين عندما كان من الضروري أن يبرىء نفسه من جريمتين شنيعتين ، ويظهر سخطه الشديد على من ارتكبهما .

كان مظهرها نبيلًا جدا عندما سار الملك وراء نعش ابنير ، وبكى على قبره . لقد نسى أن هذا الرجل كان عدوه الألد، وذكر فقط انه قائد كبير ورجل عظيم ، ونظم مرثاة بليغة لتوضع على قبره كما فعل عند موت شاول . ولا عجب ان كان كل الشعب يهتمون بهذا المنظر الذى « حسن فى أعينهم كما أن كل ما صنع الملك كان حسنا فى أعين جميع الشعب » .

بعد ذلك تمت المأساة الدنيئة وهى قتل ايشبوشيت الذى لم يكن الا ملكا صوريا . كان هذا الملك ضعيفا وكان ملكه هزيلا ،

كان مقره فى محنايم على شاطئ الأردن الشرقى ، ولم يكن إلا ملكا اسميا ، وكانت تغزى كل قوته الى ابنير ، ولما قتل ابنير انهار سلطانه ثم قتله جماعة الخونة . وحالما وصلت الأخبار الى داود ، وحملت رأسه اليه علامة على قتله والتمثيل به ، حول داود وجهه الى الرب الذى قدى نفسه من كل ضيقة وحلف بأن ينتقم لدمائه . كان جزاء العماليق الذى حمل خبر موت شاول والذى أكد بأنه هو الذى قتله أن حكم عليه بالموت . ولذلك لم يكن ممكنا أن يلقي جزاء أقل هذان الشريران اللذان قتلا صديقا فى بيته وعلى سريريه ٢ ضم ٥:٤ - ١١ .

من ثم جاء جميع استباط اسرائيل الى حبرون ، وقدموا اليه تاج الملكة كلها . وتذكروا قرابته لهم باعتبارهم عظمه ولحمه . وتذكروا خدماته السابقة عندما كان يخرج ويدخل جيوشهم ، حتى حين كان شاول ملكا عليهم ، وذكروه بالوعد الالهى انه لا بد أن يكون راعيا ورئيسا . حيثئذ قطع معهم داود عهدا ، وصار ملكهم الشرعى ومسيح - للمرة الثالثة - ملكا على كل الشعب ، كما أن ابن الانسان سوف يعترف به - يوما من الأيام - ملكا على كل عالم البشر ويملك بلا منازع .

لا شك فى أن الزمور الذى يشير الى هذه الحقبة هو من ١٨ الذى دون فيه أعظم عبارات الشكر والولاء . تحت كل اسم من أسماء الله الكريمة تنطوى بركة خاصة به . وياله من تعبير سام كل السمو ان يصور الله آتيا مطاطيء السموات لتخليص عبده . اننا نستطيع أن نستمع الى صوت البركة ، ونرى وميض البرق وجرم النار ، ولكننا خلال كل ذلك نستطيع أن نحس برقة محبة الله فى كل تصرفاته مع اولاده والتي تثبت فى تلك الكلمات الجديرة بذلك الرسول الذى أحبه يسوع :

تجعل لى ترس خلاصك

ويمينك تعضدنى

ولطفك يعظمنى

الفصل العشرون

يااللمياه من بئر بيت لحم

لنتأس ولنصبر ، لأنه ان كان الله قد حرمانا
من كنوزنا الأرضية التي جعلناها متكلنا
فلكى يفصل قلوبنا الى الأبد
عن كل علاقة بالاشياء الزائلة

(اناى وارنج)

لا بد أن يكون ذلك التجمع الذى احتشد لقتويح داود ملكا
على كل اسرائيل قد بلغ من الروعة منتهاه . يسجل لنا سفر
اخبار الأيام الاول (ص ١٢: ٢٣ الخ) اسماء وعدد قادة الشعب
الذين حضروا فى هذه المناسبة العظيمة الشأن . اجتمع عظماء
وابطال وذووا بأس من يهوذا وشمعون ، من بنى لاوى تحت قيادة
يهوياداع وصادوق ، رجال مبرزون من اقرايم ، من بنى يساكن
الخبيرين فى الأوقات ، من زبولون الاشداء فى الحروب . هؤلاء
وغيرهم كثيرون « اتوا بقلب تام الى حبرون ليملكوا داود على
اسرائيل وكانوا هناك مع داود ثلاثة أيام » يأكلون ويشربون كل
شئ وقد اشترك فى هذه الولائم الاسباط البعيدة . مثل زبولون
وتفتالى ، كما اشترك فيها القريبون ، وبذلك ساهمت كل جماعة
اسرائيل فى الفرح بهذه المناسبة السعيدة .

على أن الفلسطينيين كانوا يرقبون هذا المنظر باستياء
شديد . لأنه طالما كان داود قائما بدائرة ملكه الصغيرة فى حبرون
تاركا لهم الحرية للاغارة على القبائل الشمالية حسب ارادتهم

لم يشاءوا أن يتدخلوا ، ولكن عندما سمعوا انه مسح ملكا على كل اسرائيل نزلوا ليفتشوا عليه ، ولعلمهم انتظروا حتى انتهى ذلك الاحتفال الرهيب وتفرقت الوف اسرائيل الى أوطانها ، وحينئذ هجموا على يهوذا بعدد وفير جدا من رجالهم ، وانبتوا في وادي أفرام ، وقطعوا اتصال داود بالاستباط الشمالية ، حتى اضطر الى الالتجاء برجاله الأبناء واتباعه الستمائة الى الحصن الذي لا بد أن يكون هو مغارة عدلام الشهيرة (قارن ٢ صم ١٧:٥ ب ص ٢٣:١٣ و ١٤) .

(١) انقلاب فجائي :

كان يلتف حول داود بالامس جماعة من أقوى المحاربين الذين شهدتهم البلاد في أجيال كثيرة . لقد رفع الى العرش بابتهاج شعبي عظيم ليملك على كل الشعب بعد أن أصبح كذلة واحدة . كان واثقا انه متمتع بمحبة شعبه القلبية الخالصة . أما اليوم فنراه يهجر حبرون - التي أقام فيها أكثر من سبع سنوات في حياة هادئة مطمئنة - ليعود الى الجبال والقفار التي لجأ اليها من قبل انه هرب من وجه شاول . كان ذلك انقلابا فجائيا في حياته ، ظلمة داهمة في زائفة النهار ، سحابة قاتمة في جو صحو . والأرجح انه لجأ الى الله . هذه أيام لصق فيها بصديقه القدير ، ولم يخامره أي شك لحظة واحدة في أن الله لا بد أن يتم كل ما هو من ناحيته ، ويثبتته الى النهاية على عرش المملكة .

مثل هذه الانقلابات الفجائية تأتي الينا جميعا لكي تهدم ثقتنا في البشر وفي كل شيء ، لكي تمنعنا عن بناء العش على أية شجرة أرضية ، ولكي تدفعنا الى تثبيت كل رجائنا في الله وحده . كان من النافع جدا تذكير داود في هذه الأزمة الخطيرة

فى حياته بضرورة اعتماده على الله فى كل ظروف حياته، وبأن من يمنح البركات يستطيع بسهولة أن يستردها . يجب أن تعلم يامن تعيش فى هذا العالم ، عالم الفناء ، بأن دروسا كهذه سوف تقدم اليك حتما لتتعلمها . فى ساعة الانتصار العظيم يجب أن تذكر ذاك الذى حسبك أمينا بأن تكون وكىلا له ، يجب أن تعلم بأن ما وصلت اليه من مركز رفيع وقوة ونفوذ انما هو عطية منه ووكالة أوتمنت عليها لمجده . اذا فلا تعجب ان كان يززع عرشك بين الآونة والأخرى لكى تتذكر بأن ثباته لا يعزى لأية امتيازات موروثه بل لمحض ارادته وقوة اقتداره .

وهذه المفارقة بين مسحه فى حبرون وحرب عدلام تمثل لنا اختبار الرب يسوع الذى بعد أن مسح فى الأردن اقتيد بالروح الى برية يهوذا ليجرب أربعين يوما من ابليس . وهذا هو ناموس الحياة الروحية . ان حياة الشهرة والازدهار المزدحمة بالاختلاط بالجماهير لا تمكن من النمو والكمال فى الحياة الروحية . أما الوحدة والعزلة ، والصراع العنيف ، والتجارب ، فانها تشعل الحياة الروحية وتلهبها ، وتعدنا لخدمة المساكين والمنكسرى القلوب والمساجين والمأسورين والعمرى .

(٢) بريق من النور :

وفى وسط ظلمة تلك الساعات القائمة انبثق بريق من النور من ثنايا بعض الحوادث المشهورة ، فان عظماء اسرائيل اظهروا مقدرة فائقة فى مبارزة أبطال الفلسطينيين مبارزة فردية . ثم ان ايشاي ابن صروية ضرب جبار الفلسطينيين الذى خيل اليه انه قتل داود بسيفه الجديد ، والحاقان ابن يعرى قتل شقيق جليات الجتى ويوناثان ابن شمعى أخى داود ضرب رجلا طويل القامة أصابع كل من يديه وزجليه ست ان غير اسرائيل ٢ صم ١٧:٢١

٢١، والعازر وقف فى الثغرة - عندما هرب الباقون - وضرب الفلسطينيين حتى كلت يده ، وصنع الرب خلاصا عظيما على يديه ، ورجع الشعب وزاءه للذهب فقط ٢ صم ١٠:٢٢ . مثل هذه المعجزات تمت حول شخص قائدهم الذى سِرّ تابعوه أن يدعوه « سراج اسرائيل » رغم الظلمة الحالكة التى كانت سائدة اذ ذاك ٢ صم ١٧:٢١ .

بالمعجزات التى يمكن اتمامها بايحاء نفس واحدة . وفى هذه المناسبة لا يسعنا الا أن نعود بالذاكرة الى تلك الساعة الرهيبة الخطيرة التى برز فيها شاب مجهول من صفوف اسرائيل المرتعدة لمبارزة جليات القوى الجبار . ورغم أنه كان وحيدا - من ناحية المعونة البشرية - فانه انتصر على ذلك العدو الرهيب . أما الآن وقد مضى على تلك الحادثة نحو أربعة عشر أو خمسة عشر عاما فانه لا يقف بمفرده ، بل كان معه عدد وفير من رجاله الذين تشبعوا بروحه ، والتهبوا غيرة بايمانه ، والذين دفعوه برقة الى المؤخرة ، وأخبروه بأنهم يجب أن يكونوا هم فى مقدمة الحرب لكى يتحملوا كل خطر عن حياته الغالية التى كانت مصدر كل نشاطهم وقوتهم ، والتى يجب أن لا تعرض للخطر بلا مبرر .

وهكذا نرى أن حياة العظماء والأبطال تبعث الحياة فى نفوس الكثيرين وخاصة من معاصريهم . وكم من أشخاص دفعوا الى ميدان الخدمة عن طريق القدوة الصالحة . والذين كانوا تلاميذ للمسيح صاروا رسلا وشهداء . لقد صارت حياته التى عاشها على الأرض - حياة البذل والتضحية من أجل الآخرين - منارة جذبت ربوات من البشر من الأودية الواطئة ، أودية محبة الذات ، ورفعتهم الى حياة التسليم وانكار الذات وآلام الصليب . ولا زال تأثيرها هذا باقيا لكل النفوس التى تتبع خطواته .

(٣) حادثة مؤثرة :

لم تكن عدلام بعيدة عن بيت لحم • لقد طالما كان داود يرمى غنم أبيه فى أيام شبابه فى نفس الأودية التى كان يلجأ إليها الآن ، وكانت تلك المناظر التى ألفها تعيد اليه ذكريات الماضى ، تذكره بأبيه يسى ، وأمه ، وبيت أبيه فى صباه ، كما تذكرنا رائحة معينة أو نغمة مألوفة ببعض حوادث معينة •

وفى مساء أحد الأيام مثلت أمامه هذه الذكريات بشكل واضح كل الوضوح مما لم يعهده من قبل ، فشعر بانقباض فى نفسه • كان فى ذلك اليوم يقيم فى الحصن كأنه سجين • ورأى عن بعد أن جماعة من الفلسطينيين اقتحموا بيت لحم • وبلغته أحس بشهوة ملحة للتذوق من مياه « بئر بيت لحم التى عند الباب » • وبلغته خرجت من بين شفثيه - رغم إرادته - بضع كلمات تعبر عن هذه الشهوة • لم يكن يتوقع أن أحد أبطاله سمع هذه الكلمات ، أو أنه ان وجد هنالك من سمعها فلن تبلغ به الحماسة إلى حد أنه يحاول أن يشبع هذه الشهوة • لو أن هذا الخاطر جال فى ذهنه لكان خاطئاً ، فانه لم يكن قد سبر بعد غور محبة أبطاله له •

سمع عرضاً بهذه الرغبة ثلاثة من أبطاله ، فانسلوا خفية من المغارة ، ونزلوا إلى الوادى ، وشقوا طريقهم وسط جنود الفلسطينيين ، واستبقوا ماء من البئر ، وأتوا به بين يدي داود قبل أن يشعروا بغيابهم • وبهذا التصرف عبر هؤلاء الأبطال عن محبتهم التى كانت أقوى من الموت • أما داود فانه لم يستطع شرب الماء وبدأ فى عيشه ذلك الاناء الذى يحمل الماء كأنه يستطيع بذور قرمزى بانعكاس لون الدماء التى كان ينتظر أن يكلفها الماء • بعد ذلك نراه بروح الشهامة - التى لازمته أبداً فى كل أطوار

حياته المختلفة والتي خضع أمامها كل تابعية - ينهض ويسكبه للرب (كأن هذه الهدية النفيسة لا يليق تقديمها الا للرب) قائلا وهو يسكبه « حاشا لى يارب أن أفعل ذلك ، (هل أشرب) دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم » ٢ صم ١٧:٢٢ .

وهنا نرى صورة لامعة أخرى فى هذه الحادثة الرائعة التى تمثل قوة ضبط النفس العجيبة التى نعم بها داود . فانه الى ذلك اليوم كان فى كل أيام حياته ممنطقا حقويه بشدة ، ان لم يسمح لأية رغبة من رغباته أن تكون لها السيادة عليه . لقد تعلم أن يكبح كل الشهوات الجامحة، وكل الأهواء المنحرفة ، بعزم حديدى لا يلين ، لكى يعيش حسب المثل العليا للرجولة الكاملة ، ومقدما نفسه قدوة كملك كامل . وكان ينظر على الدوام لاشباع رغائيه كامر ثانوى بالنسبة الى المبادئ العليا النبيلة .

جميل جدا أن يتساءل كل الشبان والشابات ، وغيرهم ممن يقرأون هذه الكلمات عما اذا كانت الشهوات التى تعودوا الانغماس فيها مع أقرانهم لا تكلف ثمنا غاليا . أيجرأون أن يتجرعوا كأس اللذات فى دار التمثيل أو السينما لو تحققوا انها لم تقدم الى شفاهم الا بدماء عشرات من النفوس التى قد ضحت بأدبها واحتشامها وفضيلتها وراء الستار ؟ أيجرأون أن يتجرعوا كأس الخمر لو انهم ادركوا أن عادة تعاطى المسكرات تكلف سنويا سعادة وحياة ربوات من البشر بل وسعادتهم الأبدية ؟

كم مرة تأوهنا لطلب المياه من بئر بيت لحم . كم مرة رجعنا بذاكرتنا الى الماضى وفكرنا طويلا فى تلك الذكريات التى لن تمحى . كم مرة تشوقنا بأن نرى ذلك الوجه مرة أخرى، أن نحس يلمسة تلك اليد الرحيمة ، وأن نسمع ذلك الصوت . كم مرة تمنينا العودة لتلك السدوات السعيدة التى لم تمس فيها الشجرة

الحرمة ، ولم يشهر فيها لهيب السيف المتقلب . كم مرة تمنينا رؤية جديدة ، وتكريس حياتنا لخدمة السيد ، والاستمتاع من جديد ببهجة محبته . ليت من يسقيننا من مياه بئر بيت لحم التي عند الباب . هذه كلها تأسفات باطلة ، فانه لن توجد هناك قوة كافية بأن تنفذ فى طيات السنين السالفة وتعيد النيا الماضى . على أن طلبه النفس يمكن تحقيقها فى ذلك الذى قال « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ، ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » ان النفس لن تروى ظمأها من بئر بيت لحم ، ولكنها تجدد ريبها الى الأبد فى ذلك الذى ولد فى بيت لحم .

(٤) هزيمة الفلسطينيين :

لم تغير حياة الرخاء من وجهة نظر داود نحو انتظار الله والاتكال عليه . لقد ظل كما كان حين أتى أولا الى حبرون ، وفى ساعة الحيرة هذه سأل الرب قائلا «أصعد الى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدى ؟ » . وأجابه الرب مؤكدا له النصرة . « وعندما ابتدأت الحرب خيل اليه كأن الرب يكتسبهم أمامه كطوفان الشتاء الذى يكتسح كل ما يجده أمامه عند انحداره من سفح الجبل . وهذا ما قاله « قد اقتحم الرب أعدائى أمامى كاقترحام المياه » . ولم يجد العدو وقتا حتى لأخذ أصنامهم التى وصنتك لأيدى الغزاة .

« ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا لاسترداد سيادتهم القديمة » ٢ صم ٢٢:٥ . وعاد داود أيضا لانتظار الرب وطلب ارشاده . وحسنا ما فعل لأن خطة الهجوم لم تكن كسابقتها . يجب على الذين يتكلمون على معونة الله أن يحرصوا على أن يكونوا فى

صلة مستمرة معه . والمعونة التي أعطيت بالأمس بشكل معين تعطى غدا بشكل آخر . فى الموقعة المسابقة انتصر داود على الفلسطينيين بالهجوم عليهم وفى هذه الموقعة الثانية دار من ورائهم وصنع لهم كمينا . وسواء عكس داود الخطة أو اتبع خطة واحدة فى كلتا الموقعتين دون طلب ارشاد الله ومعونته لكان قد خسر مؤازرة تلك الجيوش العلوية التي كانت تعمل كحلفائه الأقوياء الذين لا تقوى عليهم أية قوة من القوات .

وهذه الخطوة التي اتخذها داود « مقابل أشجار البكا » - والتي كانت تشير بأن الكمين يجب أن يتحرك ويهجم على العدو - تبين ضمنا سماع « صوت خطوات » جيوش الملائكة غير المنظورة تتقدم الى ساحة الحرب ٢ صم ٢٣:٥ و ٢٤ « يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين » . حينئذ اقتحم داود صفوفهم وضربهم من جبع الى ساحل البحر .

قد يدعونا الله أحيانا الى المسير وأحيانا الى الوقوف ، أحيانا الى العمل وأحيانا أخرى الى الألم ، فى هذه الموقعة الى الهجوم كالسيل الجارف وفى الموقعة التالية أن ندور خلسة ونصنع كمينا وننتظر . يجب أن لا نصر على الجمود والبقاء على حال واحدة . وما يصلح فى بيت غزالة المتواضع (أع ٣٦:٩) لا يصلح فى قصر كرنيليوس الفاخر . ليكون لنا إيمان حى فى الله ، لنتنظر بهدوء وسكينة فى الصلاة على سطح المنزل ، لنتنظر أمر روح الله لنا بالرحيل حسبما يدبره لنا ، لنكن مستعدين بأن نتبعه ولو كان فى ذلك تضحية لعاداتنا القديمة . حينئذ ندرك ماذا يستطيع الرب أن يفعله ويقدمه لنا من قوة جبارة فى حياتنا ، وكيف أنه يستطيع أن يخرق صفوف أعدائنا ، ويقدم لنا جيوشه العلوية السريعة الخطى لاغاثتنا .

الفصل الحادى والعشرون

اورشليم المدينة المقدسة

٢ صم ٥

اورشليم الجميلة

المدينة المقدسة رفعت أبراجها عالية

(ملتون) فى « استرداد الفردوس »

كان ضمن المشروعات الاولى للملك الجديد أن يؤسس عاصمة ملائمة للملكة . ولقد دل اختياره لأورشليم على بعد نظره وحنكته السياسية والادارية . على أنه كان هناك عامل آخر ، فان ذلك الاختيار كان نتيجة ارشاد روح الله المباشر . كان هذا هو الوقت الذى تحدث عنه الله فى سفر حزقيال ص ٨:١٦ « فمررت بك ورأيتك واذا زمنك زمن الحب ٠٠٠٠ وحلفت لك ودخلت معك فى عهد يقول السيد الرب فصرت لى »

كانت هناك رغبة ملحة فى أن تكون العاصمة سهلة الاتصال بكل اطراف المملكة ، وأن تتوفر فيها كل الشروط التى تؤهلها بأن تكون قلب وعقل البلاد . يجب أن تكون ممكنة التحصين بحصون منيعة لحفظ مقادس المملكة النفيسة سليمة . يجب أن تتوفر فيها صفتا الجمال والقوة لكى تثير فى نفوس كل الشعب روح الفخر مع الولاء والاعجاب . يجب أن تكون مقدسة بجماعاتها المقدسة لكى تكون المركز الدينى لحياة الشعب الروحية . كل هذه الصفات توفرت فى اورشليم ، ودفعت داود لاختيارها بأرشاد

الهي • وفي هذه الناحية اختلف كل الاختلاف عن شاول الذي جعل موطنه - جبعة - مقر ملكه ، رغم أنها كانت مدينة غير معروفة قط ، وفوق ذلك فقد ارتكبت فيها جريمة لن يمحي عارها • ولو كان قد اتخذ حبرون مقرا للملكه لأثار غيرة باقى اسرائيل وحسدهم ، ولو اختار بيت لحم موطنه ومسقط رأسه لعد ذلك منه عملا وضيعا • لهذا لم يكن هنالك أليق من اورشليم ، فقد كانت على الحدود بين يهوذا وبنيامين ، محاطة بالأودية من ثلاث جهات ، ومحصنة تحصينا منيعا من الجهة الرابعة الشمالية •

(١) تاريخها السابق :

كان لليهودى يفضلها على كل مدينة أخرى، فهي مدينة الهة، واقعة فى جبل قدسه • « جميل الارتفاع ، فرح كل الأرض جبل صهيون » مز ٢:٤٨ كان يذكر عن جبال ياشان المرتفعة بأنها تنظر الى جبل صهيون - الأقل منها فى الارتفاع - نظرة الغيرة والحسد لأن الله اختاره لسكنائه مز ٦٨: ١ وكانت الجبال التى تحيط بها تبدو كأنها تمثل حلول الرب حولها • وكان الأسير فى سبيله يفتح كواه نحو اورشليم اذ يجثو فى الصلاة ، ويود لو تنسى يمينه ان لم يفضل قلبه اورشليم على أعظم فرحه • وكانت بهجة الحج السنوى اليها للاشتراك فى الأعياد المقدسة تنحصر فى أن تقف أقدام الحاج فى أبوابها ، وعند الاقتراب من أسوارها وقصورها كان الاتقياء يصلون بأن يحفظ السلام داخل أسوارها من أجل الأخوة والأصحاب الذين أسعدهم الحظ بالسكن فيها من ١٢٢:٧و ٨ وذلك القلب الذى خفقت فيه أسمى العواطف البشرية ، وهو أشرف القلوب التى حلت فى جسم بشرى، انبعثت منه أعمق التهديدات اذ ذكر ما سيحل بها من خراب • فان يسوع اذ تطلع اليها بكى قائلا « يا اورشليم يا اورشليم كم مرة أردت ان أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، »

على أنها لم تكن كذلك كل أيامها • فقد كان منشأها في أرض الكنعانيين • وكان أبوها أموريا ، وأمها حثية • وعندما ولدت طرحت في نفس يوم ميلادها على وجه الحقل كطفل مهجور يتمرغ في دماء حز ١٦: ٢ - ٥ • منذ عدة أجيال حكمها ملكي صادق الكاهن الملك فترة وجيزة ، ولابد أن مدة حكمه الوجيزة كانت تنبئ بما ينتظر هذه المدينة من مجد وسؤود ، كما كانت أعمدة الدخان التي تتصاعد من مذابحه تنبئ بالعبادة الرهيبة التي سوف تقدم في الهيكل ، وكما كان كهنوته ينبئ مقدما بكنهوت متصل يبقى إلى الأبد • بعد ذلك سادت المدينة ظلمة حالكة حقبة طويلة • وبعد أن احتل اسرائيل باقي البلاد ظلت اورشليم خاضعة لليدوسيين سنوات عديدة • صحيح أن يشوع أخضع المدينة اسميا في احتلاله الأول للبلاد ، وقتل ملكها ، ولكن سيادته عليها لم تطل ، فأنها سرعان ما وقعت ثانية في أيدي سكانها السابقين •

(٢) الاستيلاء عليها :

جمع داود كل جيوش اسرائيل وصعد إلى اورشليم ولأول مرة بعد سبع سنوات قائد جيشه بنفسه • وعلى قدر ما كان بصمت ويسكن إذا ما دعى لانتظار ارشاد الله في غاية النشاط والحركة إذا ما تحقق الدعوة الالهية للعمل • وحالما حاول داود طرد اليدوسيين منها هزأوا به • لأنهم كانوا واثقين من مناعة الحصن وقوة الأسوار ، ولذلك بلغت بهم درجة الاستهزاء بداود أنهم وضعوا حول الأسوار جماعة من الكسحيين مفتخرين بأن هؤلاء كفاة لصد داود عن المدينة • ولكن يتضح من وصف هوسيقوس أن يوبآب أن تأثير بناء داود المتضمن بأن يجعل من غزو المدينة قائده الأعلى حفر خندقا تحت الأرض ، ودخل إلى لب الحصن نفسه وفتح الأبواب في وجه كل الجيش •

وسواء صحت هذه الرواية أم لا فإنه من المؤكد أن داود استولى على المدينة بسرعة خاطفة بسبب شجاعة يوباب ، وأنه سكن الحصن الذى دعى فيما بعد « صهيون » أو « مدينة داود » ولم يكن هذا الا جزءا من المدينة العظيمة التى سميت فيما بعد اورشليم . أما جبل المريا الذى بنى عليه الهيكل فيما بعد فإنه على الأرجح لم يكن مأهولا بالسكان . وكان لارونا اليبوسى يدير هناك .

كان أول عمل لداود توسيع الحصون « وبنى داود مستديرا من القلعة فداخلها » . أما يوباب فيظهر أنه رعم المبانى فى المدينة نفسها ، وزادها جمالا وأناقة . وقد كان هذا التوفيق الأول أساس عظمة داود « وكان يتزايد معظما والرب اله الجنود معه » . والواقع أن الأمم المجاورة تأثرت بتزايد مملكته فى القوة والعظمة فأسرعت لطلب محالفته ١ أى ٧: ١١ - ٢: ٩ صم ١١: ٥ .

(٣) عصر مزدهر :

قيل أن المزمور ١٠١ يشير الى هذه الساعة من حياة داود . فإنه وجد نفسه قد دعى فجأة لتحمل عبء ادارة أمة عظيمة ولدت فى يوم واحد ، وبدأت تدب فيها روح الانتعاش والحياة . وكانت المطالب الجديدة تستدعى قوة جديدة . كان لا بد له من التعجيل فى انشاء ادارات للتشريع ، والعدل ، والمالية ، والشئون الحربية ، وتركيز هذه الادارات فى العاصمة . وكان لابد من تعيين موظفين من كل طراز . فكان القصر الملكى يحتفظ كل يوم بأولئك الذين يسعون للترقية الى الوظائف الرئيسية . وقد حرص داود كل الحرص لى لا يرتكب أى خطأ فى هذه التعيينات الأولى حتى تكون المملكة واثقة من اخلاق أولئك الذين ائتمنهم على ادارة شئونها . لأجل هذه الغاية ربما يكون هذا المزمور قد نظم . وعلى أى حال فإنه ينطبق كل الانطباق على مثل هذه الظروف .

يصرح الملك فى مزموذه أنه سوف يتعقل فى طريق كامل ، ويسلك فى كمال قلبه فى وسط بيته ، لا يضع قدام عينه أمرا رديئا ، ويبغض عمل الزائغين . ثم يصف أولئك الذين سوف يختارهم ليكونوا وزراءه ومستشاريه . سوف لا يصغى لمن يغتاب سرا كدواغ أو كوش . ولا يسمح بأن يتراءس على مجلس أحكام الدولة أمثال هامان المستكبر العين والمنتفخ القلب لئلا يظلموا مردخائى على الباب . وأن وجد هنالك غشا أو كذبا فى أى واحد من أتباعه أو أى نوع من الباطل فإنه يتعهد بطرده فورا . وهو مستعد أن يبذل قصارى جهده لآبادة جميع أشرار الأرض وقطع كل فاعلى الأثم من مدينة الرب ، على أنه من الناحية الأخرى سوف تتفتح عيناه على أمناء الأرض ، هؤلاء هم الذين يجلسون معه ، ولا يمكن أن يخدمه إلا السالك طريقا كاملا .

هذا مثل أعلى للادارة . لقد كان داود محقا حين وصف هذا العصر المزدهر للملكة الجديدة إذ تطلع إليها وهو واقف على عتبة الأبدية وقال أنها كصباح بلا غيوم ، أو كعشب من الأرض فى صباح صحو مضى غب المطر .

فى تلك الساعة مثل أمامه المثل الأعلى للحاكم البار الذى يتسلط على الناس بخوف الله ، ويبيد الأشرار كشوك مطروح ، فيحترقون بالنار فى مكانهم . دعاه هذا المثل الأعلى ورفع اليه الصوت عاليا . ولو أنه سمع وأطاع ولم يحصد ثمنا أو يسرة لاستراح من متاعب كثيرة وآلام وفيرة . وفى ساعة وفاته تمثل أمامه ذلك المثل الأعلى الذى كان قد انقضى عليه أكثر من ثلاثين عاما . وإذا قارنته بالأمر الواقع فعلا امتلا قلبه حزننا فقد كان مؤلما جدا لنفسه أن يقارن بين ما كان وبين ما كان يجب أن يكون ، بين حياته التى ترمزت فى الطين والوحل وبين بدايتها الصافية الناقية ٢ ضم ١:٢٣ - ٥ .

الأرض الثاني والعشرون

نقل تابوت العهد الى جبل صهيون

٢ صم ٦

اصغ الى ذلك الصوت الالهى
الذى يزعمع الأرض ويطن الأذان
أهو صوت الرعد لظهور الرب ؟
أهو صوت الموسيقى العذبة لصلوات شعبه ؟
سـسـوف يأتى يقينا
فيطلق ألف صوت للقديسين
سـسـوف يأتى يقينا
فقتبتهج الأرض مغتبطة بمجيئه
ذاك الذى حلف قائلا « أنا أتى سريعا »
(ف . مايرز)

حالما أعد داود قاعدة لملكه أراد أن يجعلها ليس فقط مركز الحياة السياسية بل أيضا مركز الحياة الدينية لشعبه واذ وضع هذه الغاية نصب عينيه عزم على أن يضع تابوت العهد - الذى كان يقضى من الجميع فى بناء موقت مؤقت مجاور لقصره الملكى - كان ذلك التابوت منذ اعادته من أرض الفلسطينيين بصفة مؤقتة فى بيت ابيناداب وتحت رعايته فى « الاكمة » التى تبعد عن اورشليم احد عشر ميلا من الجهة الجنوبية الغربية .

والأرجح جدا أن داود شعر بأنه لا يستطيع نقل خيمة الاجتماع التي أقيمت على مرتفعة جبعون بعد قتل شاول للكهنة ، لأن صادوق الكاهن وأخوته الكهنة كانوا يخدمون فيها ويقدمون الذبائح باستمرار على المذبح في هذه الخيمة ، لقد كان روح الحسد والغيرة مستحكما بين عشيرتي صادوق وإيباثار ، فكان من الحكمة عدم الجمع بينهما أو التدخل في الشعائر الدينية التي كانت مستمرة طوال السنوات الأخيرة ١ أى ٢٩:١٦ الخ • على أن نقل التابوت إلى قلب المدينة الجديدة كان يحقق غرض داود • ولكنه لم يشأ أن يتخذ خطوة واحدة من تلقاء ذاته ، بل استشار رؤساء الألوف ورؤساء المئات بل كل قائد • وبعد موافقتهم أرسل إلى كل أرض إسرائيل ليجمع كهنة ولاويين وبعض الشعب لنقل التابوت المقدس •

(١) خطية أس العجلة :

كان مشهدا رائعا ذلك الذى دخل القرية المتواضعة فى هذا اليوم وفضلا عن العدد العظيم من الكهنة واللاويين وجمهور الشعب فقد كان هناك أيضا ثلاثون ألفا ممن منتخبي الجنود لضمان عدم اعتداء الأعداء على الجماعة •

ولعل من ١٢٢ يشير إلى هذه المناسبة • فيه يسجل عزمه الذى وضعه فى قلبه أيام محنته، والذى يتضمن بأنه حالما يخلصه الرب من هذه الأيام ويثبته على مملكته فإن أول عمل يقوم به هو أن يجد مقاما للرب ، مسكنا لعزير يعقوب • وبعد هذا نجد تلك العبارات الخالدة التى تشير إلى هذه الحادثة مباشرة •

هوذا قد سمعنا به فى أفراته

وجدناه فى حقول الوعر

لندخل الى مساكنه
لنسجد عند مؤطىء قدميه
قم يارب الى راحتك
انت وتابوت عزك

على انه حدثت غلطة شنيعة كذرت صفو ذلك اليوم الرائع
الجمال وأرجات اتمام رجاء الشعب وآماله . كان ضمن وصايا
ناموس موسى المشددة أن لا يحمل التابوت الا على اكتاف
اللاويين المختصين بهذه الخدمة ، على أن لا يمسه بأيديهم لئلا
يموتوا (عد ١٥: ٢٠ ، ١٥: ٧) . لم يكن هنالك أوضح من هذه الوصية
الصريحة للتشديد على قداسة كل ما يتعلق بخدمة العلي ، ولم
يكن هنالك أوضح من التعليل الذي اقترنت به . على أن هذه
الوصية أهملت مع غيرها ، وعمل الترتيب على أن يحمل التابوت
على عجلة جديدة يسوقها أبناء ابيناداب . لم يسمح الله بأن
يتغاضى عن هذه الغلطة . وإن كان الفلسطينيين قد استخدموا
عجلة كهذه دون أن يقتض الله منهم فتلك لأنهم تصرفوا بجهل .
أما أن يتغاضى اسرائيل عن هذه الوصية المكررة في الناموس
ويتصرفوا بحسب هواهم فذلك مالا يسمح به الله لئلا يؤملوا
سائر وصايا الناموس فيصبح الناموس لا قيمة له .

سارت الثيران وسط اصوات الغناء والهتاف ، ولم يحدث
شيء في الدين الأولين حتى اتوا الى طريق غير معبدة
فانشمضت الثيران ، وكان التابوت يسقط على الأرض ، حينئذ
تقدم عزيا - اصغر أبناء ابيناداب الذي ربما يكون قد ألف خدمة
التابوت - ومد يده ليعدل التابوت فوق ميثا . كان هذا الماظر
معا لكل الجماعة . وللحال ونجم الجميع ، وكفوا عن الغناء ،
وامتلأت قلوبهم رعبا وقرعاً ، اذ سرعان ما سرى الخبر الى

الصفوف الخلفية • واغتاط داود جدا ، وخاف من الرب فى ذلك اليوم ، وقال كيف يأتى الى تابوت الرب ، ثم أشار بأن يودع التابوت فى بيت عوبيد اذوم ، وهو لاوى ، وكان يسكن بالقرب من مكان الحادثة • وهناك بقى ثلاثة أشهر ، وعادت الجماهير الى اورشليم وقد امتلأت قلوب الجميع خوفا وذعرا •

يظن البعض أن موت عزيا عمل قاس جدا من الله بلا مبرر، وقصاص مريع لخطية لم ترتكب الا عن طريق الجهل • ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أن الطاعة الكاملة للناموس القديم كانت أمرا محتما فى ذلك الموقف الدقيق • فلو أنه سمح للانسان بالاستهانة باحدى وصاياه لجاء الوقت للاستهانة بكل وصاياه وانعدمت غايته الرئيسية •

(٢) اكثاف الأحياء :

« وبارك الرب عوبيد اذوم وكل بيته » يقرر يوسفوس أنه منذ اللحظة التى استقر فيها التابوت تحت سقف عوبيد غمرهسيل جارفاً من البركات ، حتى أنه انتقل من حالة الفقر والاعدام الى حالة السعة والثراء ، وهذه علامة واضحة على أن الرب لا يغضب على الذين يطيعون النواميس والأحكام الموضوعية فى الناموس القديم •

وفى نفس الوقت طلب داود الارشاد من الله لنقل التابوت وقال « ليس لاحد أن يحمل تابوت الله الا لللاويين لأن الرب انما اختارهم لحمل تابوت الله وخدمته الى الأبد » ١٩: ١٥-٢٠

وهنا احتشد جمهور غفير مرة اخرى ، وفى هذه المرة روعى تنفيذ الوصية بكل دقة ، « وحمل بنو اللاويين تابوت كما

أمر موسى حسب كلام الرب بالعصى على اكتافهم» ١ أى ١٥: ١٥ .
وسار فى الموكب اللاويين والكهنة بملابسهم البيضاء ، وكانت
تسمع أصوات الهتاف واصدوات الأصوات والأبواق والصنوج
والرباب والعيدان، وسار أيضا رؤساء الألف والشيوخ وجمهور
اسرائيل حسبما يناسب المقام . واذ رأى داود هذا المظهر الرائع
انتعشت روحه وامتلاً قلبه غبطة ، كأن نفسه تردد صدئ صوت
نغمة موسيقية شجية . واذ كان لابسا أفودا من كتان كان يطفر
ويرقص أمام الرب .

وهكذا أدخلوا تابوت الله وأقاموه فى موضعة ، وسط
الخيمة التى نصبها له داود ، وقدم داود محرقات وذبائح سلامة
أمام الرب ثم التفت وبارك الشعب باسم رب الجنود ، ووزع
عليهم خبزا وخمرا وأقراص زبيب .

أما السحابة القائمة الوحيدة التى كدرت صفو ذلك اليوم
الجميل فكانت كلمات ميكال القارسة التى لم تكن تعطف على
دانة زوجها . يالها من امرأة تعسة . لعلها كانت لا تزال
متحسرة على فاطيئيل زوجها السابق ٢ صم ١٥: ٣ و١٦ ، ولعلها
كانت تغار من استغناء داود عنها وعن بيت أبيها ، لهذا كان
حديثها يقطر سماً للرجل الذى أحبه والذى أنقذت حياته يوما ما .

(٣) ثلاثة مزامير رائعة :

وفى هذه المناسبة وضع داود ثلاثة من أسمى مزاميره هى
مز ١٥ ، ٦٨ ، ٢٤ .

أما مز ١٥ فانه وضع ليثير مباشرة الى موت عزا ، ثم
اجابة لهذا السؤال :

من ينزل فى مسكنك ؟

من يسكن فى جبل قدسك ؟

أما من ٦٨ فقد أنشد كتسبحة احتفالية • انه يبدأ بالمصيغة القديمة التى كانت ترددها الجماعة فى البرية كلما نصبوا خيمة الاجتماع :

يقوم الله ، يتبدن أعداؤه

ويهرب مبغضوه من أمام وجهه

وبينما كان التابوت يتقدم فى مركبه الفخم كانت تسمع نغمات الآلات الموسيقية الشجية مذكرة بالأيام السالفة التى كان الرب يسير فيها أمام شعبه ويتقدمهم فى القفر ، فارتعدت الأرض وقطرت السموات أيضا أمام وجهه ع ٨ •

وكلما ازداد اللاويون حاملو التابوت اقترابا فى صعودهم الى حصن صهيون الذى هو دونها فى الارتفاع • وبينما كان المحفل يصعد على سفح الجبل كان المغنون ينشدون الأغاني والتسابيح المنقطعة النظير ، الأمر الذى كان يرمز الى صعود المسيح نفسه - الذى هو فوق كل رئاسة وسلطان الى حضيرة أبيه ع ١٥ - ١٨ •

صعدت الى العلاء ، سبيت سبيا

قبلت عطايا بين الناس

وأیضا المتمردين للسكن أيها الرب الاله

بعد ذلك يذكر المرنم تعداد الجمهور العظيم الذى تكون منه

هذا الموكب الحافل ع ١٧ « ومن قدام المغنون ، من وراء ضاربو الأوتار ، فى الرستط فتيات ضاربات الدقوف « ونساء كثيرات يذعن الأخبار ، « بنيامين الصغير ، ورؤساء يهوذا ، رؤساء زبولون ورؤساء نفتالى » . وأخيرا يتطلع المرنم من بعيد فيسبق ويرى مجيء الأمم البعيدة الى ذلك المكان المقدس :

يأتى شرفاء من مصر

كوش تسرع بيديها الى الله

أما من ٢٤ فهن تاج هذه الزامير الثلاثة ، انه يبدأ بفكرة سامية وعقيدة عجيبة بالنسبة لفكر اليهودى العادى الضيق المحصور :

للرب الأرض وملؤها

المسكرة وكل الساكنين فيها

فى النصف الأول من هذا المزمور نجد الاجابة على السؤال الذى فيه يتساءل المرنم عن يقوم فى موضع قدس الله ع ٣-٦ . هو « الطاهر اليمين ، والنقى القلب ، الذى لم يحمل نفسه الى الباطل ، ولا حلف كذبا » . ان مجرد الاغتسالات أو المراسيم الظاهرية لا تكفى . ولكن ما يطلبه هذا الاله القدوس هو الجبر الذى يعطيه هو وحده للذين يطلبونه ويلتمسون وجهه .

أما النصف الثانى فيعلن رضا الله للسكن مع الانسان على الأرض . ان الأبواب الواطية - التى ربما يكون قد خرج منها ملكى صادق لتحية ابراهيم - بدت غير مرتفعة الارتفاع الكافى لدخول التابوت محمولا على أكتاف اللاويين ، فيصدر اليها الأمر

بأن ترتفع وتنفتح للملك الداخل • وباصوات قاصصة كالرعد
- مع الآلات الموسيقية - صرخ المغنون وهم وقوف أمام الأبواب
المغلقة قائلين :

ارفعن أيتها الارتاج رؤوسكن
وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات
فيدخل ملك المجد

فينبعث صوت وحيد من الداخل كأنه صوت حارس مذهول:
من هو هذا ملك المجد ؟

فيسرع الواقفون من خارج ويجيبون بقوة وتأکید :

الرب القدير الجبار
الرب الجبار فى القتال

ثم يكرر طلب الفتح كما يكرر السؤال

وأخيرا تكرر الاجابة الرائعة بأن « ملك المجد » الجدير
بدخول هذه المدينة القديمة التى سكنتها الشياطين وكانت وكرا
لكل طير نجس هو « رب الجنون » الذى تخضع له كل الملائكة
والشياطين وكل الكائنات الحية فى السماء وعلى الارض وتحت
الارض •

وهكذا استقر التابوت أخيرا فى موضع راحته •

الفصل الثالث والعشرون

« أحسنت يكون ذلك فى قلبك »

٢ صم ، ٢ اى ٨:٦

هنالك قاض يعطى حسبما يستحق الانسان
وهو بنظره الثاقب ينظر الى كل قصد نبيل
بنفس النظرة التى ينظر بها الى كل عمل جليل
ويقدر كل فضيلة ويجزيها الجزاء الجميل

(وردز ورث)

بمساعدة حيرام ملك صور شيد قصر من الارز لداود على
جبل صهيون . لم تكن هنالك أية مقارنة بينه وبين مخبئه فى
مغارة عدلام ، بل بينه وبين أى منزل سكنه فى حبرون . ويأنها
من هوة سحيقة أيضا بينه وبين المسكن المؤقت الذى أقامه داود
لتأبوت العهد . وفى أحد الأيام باعته شعور مفاجيء بأن يعمل
على تحقيق غرض طالما فكر فيه فى قلبه فى كل الأيام الماضية .
وإذ دعا ناثان النبى - الذى يذكر اسمه هنا لأول مرة - أعلن
اليه قصده فى بناء بيت الله . رحب النبى - لأول وهلة - بهذه
الفكرة ، لكنه فى هدوء الليل ، إذ كان أكثر اقتدارا على تفهم
فكرة الله ، جاءت كلمة الرب أمرة اياه بايقاف الملك عن اتخاذ
أية خطوة فى هذا السبيل .

وفى اليوم التالى تقدم بالخبر الى داود بكل رقة ولطف .
والواقع انه يتعذر علينا العثور على العبارة التى تتضمن الرفض
المباشر فى كل حديثه مع الملك . ولكن الحديث يلخص اجمالا
فى رفض المشروع ، ولكن الرفض كان مطويا فى تأكيدات كثيرة
للبركة ومواعيد وفيرة وبركات كثيرة ، حتى أن الملك لم يشعر
بشيء من مرارة الرفض والفشل بسبب السرور العظيم الذى
غمزته به كلمات ناثان . « أنت تبني بيتا لله ؟ هو يبني لك
بيتا » .

(١) فكرة سامية عن عرض نبيل :

كانت فكرة سامية تلك التى خطرت ببال داود . لقد دعت
اليها ضرورة الموقف . فانه بعد نقل التابوت الى مقره الجديد
عين اساف وغيره « لأجل التذكير والشكر وتسبيح الرب »
والخدمة أمامه ١ أى ١٦: ٤ - ٣٧ . ويقال انه فى ذلك الوقت
رتب نظام خدمة أربع وعشرين فرقة من الكهنة ، وظل هذا
النظام ساريا حتى مجيء الرب يسوع . ويقال أيضا انه رتب
نظام خدمة اللاويين : أربعة وعشرون ألفا لمساعدة الكهنة، أربعة
آلاف كمغنين وموسيقيين ، وأربعة آلاف كحراس ورقباء ، بينما
وزع الياقون فى كل أرجاء البلاد لتعليم الناموس ، وأجراء العدل
واتمام بعض خدمات عامة أخرى . وهكذا التقف جمهور غفير
حول التابوت والقصر ، فكان من اللازم ايجاد مركز مناسب لهم
وهذا بلا شك كان من ضمن العوامل التى دفعت داود للتفكير فى
اتمام غرضه . على انه كان هنالك يقينا سبب أعمق ، هو اظهار
محبه لله ، واقامة شاهد ثابت على ولائه واحترامه وشكره
الدائم لله .

هكذا تجيش فى صدر كل مؤمن - خصوصا فى فجر الحياة -

(م ١٣ - حياة داود)

آمال كبار ، وتمثل أمامه المثل العليا التي تنير المستقبل بنورها الكامل ، وتقطع العهود الوثيقة لخدمة الله والانسان ، وتستثير كل نواحي الحياة وتسمو الى أعلى عليين . قد يعتزم هذا الشاب - سرا - أن يكرس حياته لخدمة الله ككاهن أو واعظ أو في أية ناحية أخرى ، أو تفكر تلك الفتاة أن تكون ملكة في بيتها النموذجي ، أو تكرس حياتها للخدمة العامة . كثيرا ما يقطع المرء في بداية الحياة أوثق العهود على نفسه بالقيام ببعض الخدمات الجليلة غير حاسب حساب التضحيات والدموع والدماء . ان السماء تطلق الصوت عاليا وتدعو كل نفس لأعمال مجيدة ، وعندما تتطلع النفس بعين الرجاء الى المستقبل المزدهر ينجيها الرب من الانحدار الى الأعمال الوضعية والغايات المتسفلة .

أيها الشباب لا تتحللوا عن مثلكم العليا ، ولا تنصرفوا بما لا يتفق معها . وفوق كل شيء ، عندما تأتون الى بيت الأرث ويريحكم الله منطلقوا احقاءكم بأذلين كل جهد لتحقيق الغرض الذي فكرتم فيه ان كنتم ترعون غنم أبيكم .

(٢) ليس محتما أن يتحقق المثل الأعلى على الدوام :

لم يخرج كلمة الرفض صراحة من شفتي الله الرقيقتين . فهو يغمرنا بمواعيده وبركاته ، ويكشف لنا عن محبته التي تغطي الرفض . وما حدث مع داود قد يحدث معنا أيضا ان لا نستطيع أن نتحقق ساعة الرفض أو كلمة الرفض ولكننا نتتبع حديثه العذب جملة بعد جملة كل أيام حياتنا الطويلة المغسورة بعنايته الالهية وخيراته العيمة ، وفي أوقات الهدوء ان نتأمل في أعمال عنايته معنا ندرك ان آمالنا لن تتحقق بالطريقة التي كنا نفكر فيها .

ان روح الحياة تدب في النبات ، ومع ذلك فقد تمر الأيام

دون أن تزهو الزهور • والصورة التي ستبقى خالدة لا تزال ترسم ، والسفر الذي يحل مشكلة الدهور لا يزال يدون ، وأغنية الدهور لا تزال تنشد • والشاب لا يزال في عمله العالمى بدلا من اعتلاء المنبر ، والمفتاة تشيخ دون تحقيق آمال صباها ، والمملك يترك لابنه بناء البيت •

(٣) والله يفسر الأسباب فيما بعد :

ما لا نعرفه الآن سوف ندركه فيما بعد • بعد هذه الحادثة يسذوات قال داود لسليمان ابنه « كان كلام الرب الى قائلا : قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة فلا تبني بيتا لاسمى لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى » ١ اى ٨:٢٢ • لا يلىق باليد التى تلوثت بالدماء أن تقيم هيكل السلام • لو أن هذا السبب كشف لداود فى وقته لجرح احساسه يلا مبرر • ولذا فقد كان كافيا أن يستترى الرفض فى وعد بالبركة • على أن سبب الرفض كان يزداد وضوحا أمامه بمرور السنين • وفى نفس الوقت كان داود يصبر نفسه قائلا : لا بد أن يكون هنالك سبب فى نظر الله ، اننى لا أستطيع أدراكه ، ولكنه لا بد أن يكون للخير •

سوف يأتى حتما ذلك اليوم الذى ندرك فيه أسباب كل رفض قبلنا به فى مجرى الحياة الطويلة • انه لا يتأخر عن أن يكشفها لنا لو استطعنا أن نحتمل ، ولكن خير لنا أن لا نحاول فحص أسرار أعمال عنايته • هو يحصن اسئلتنا قائلا « ان كنت أشاء انه يبقى فماذا لك ، يو ٢٢:٢١ • ولكن سوف يجىء الوقت ، ربما فى هذه الحياة ، وبقينا فى الحياة الأخرى ، حينما تصير الينا كلمة الرب • وإن نثطلع من فوق قمة السنين نتضح لنا مبررات أعماله معنا •

(٤) والغايات التى لم تحقق قد تحمل بركات غزيرة :

يكمل لنا سليمان الرواية « فقال الرب لداود أبى من أجل انه كان فى قلبك أن تبني بيتا لاسمى قد أحسنت بكون ذلك فى قلبك » لقد أحسن داود صنعا لأنه عبر عن تلك الغاية السامية التى وضعها نصب عينيه • ولقد تركت هذه الغاية أثرا دائما فى حياته وأثارها بضياؤها الرواج • لا شك فى أن الشاب الذى يطلب الالتحاق بأى عمل تبشيري ويرفض طلبه اسمى من أولئك الذين لم تخطر ببالهم تلك الخدمة قط • والزهور التى تتطلع الى الأيام السعيدة التى تفتح فيها تثبت بذلك أنها من فصيلة أمجد من الطحلب الذى ينمو بجوار المستنقعات • « قد أحسنت بكون ذلك فى قلبك » •

وشهداء سفر الرؤيا رأوا يوما سوف ينتقم فيه من المظالم التى وقعت عليهم ، ولكنهم قيل لهم أن ينتظروا لأن الوقت المحدد من قبل الله لم يحن بعد • وفى نفس الوقت أعطيت لهم ثياب بيضاء رؤ ٩:٧ - ١١ • وإن كانت غايتهم لم تتم لكنها طهرتهم وزادتهم اتصالا بالمسيح •

إن الله سوف يجزيينا بمقدار ما كان فى استطاعتنا فعله لو أتيح لنا ذلك • فمن كانت فى قلبه فكرة الخدمة التبشيرية عد فى نظر الله ضمن جماعة المبشرين المباركين ولو كان لا يزال جالسا على كرسي العمل العالمى • وامرأة صرفقة التى لم تفعل أكثر من اشراك النبی فى وجبتها الأخيرة سوف تعطى أجر نبى • والنفس التى تجيش فى صدرها الآمال العظيمة التى يعوق اتمامها كالعناية بالأرامل أو الأقرباء سوف تدهش يوما ما أن تجد انه قد اضيف الى حسابها نفس المحصول الذى كان ممكنا أن تحصده لو أن تلك البذور القيت فى تربة أكثر مناسبة • وفى المجد سوف

يجد داود انه قد اضيف لحسابه جزاء بناء الهيكل على جبل صهيون *

(٥) ثم الخطوة التالية :

على ان المجهود الذى كان ينتظر بذلة فى بناء الهيكل تحول الى جمع المواد اللازمة لبنائه « وانا بكل قوتى هيات بيت الرب الهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب الخ » ١ اى ٢:٢٩ الخ • ان كنت لا تستطيع اتمام كل ما كنت ترجو فلا تجلس يائسا حائرا ولا تدع نشاطك ومجهوداتك تتبدد ، بل قم وشد حقوك لمساعدة الآخرين فى اتمامه • ان كنت لا تستطيع البناء فانك تستطيع ان تجمع المواد لمن يقدر ان يبني • ان كنت لا تستطيع النزول الى قاع المنجم فانك تستطيع ان تمسك الحبال لمن ينزل *

هنالك حقيقة فى عالم الطبيعة تدعى ناموس حفظ القوة • ان قوة هبوط الحجر الساقط من أعلى التى تتولد من تراكم سرعة انحدار الحجر تتحول الى حرارة يستبقى الحجر جزءا منها والباقي ينتقل الى الجو • ان الآمال الحقيقية المخلصة لن يمكن ان تكون عديمة الثمر ، ولكنها لا بد ان تنتفع منها البشرية بأى حال من الأحوال • والدموع التى تسكب لن تضيع هباء ، والصلوات التى ترفع لن تخيب ، والتفكير الطاهر النزيه لن يذهب هباء منثورا *

ان الله لا بد ان يجد اية طريقة يجمع بها أجرنا على نوايانا • انه غمر حياة داود ببركاته • كان الوعد الذى اعطى على يد ناثان مثلث الأركان (١) ان يملك بيت داود الى الأبد (٢) ان نسل داود يبني البيت (٣) ان تثبت مملكة اسرائيل ٢ صم ١٢:٧ و ١٣ • ونحن ان نقرا هذه الكلمات الرائعة نشعر بأنها لا يمكن

أن تتحقق الا فى ذلك الذى صرح عنه بطرس أن داود سبق فراه
اع ٣٠:٢ و٣١ • لن يمكن أن يوجد بين البشر سوى واحد يدوم
ملكه وتثبت مملكته الى الأبد ، يمنح راحة للبشرية المتعبة ، ويبقى
هيكل الله الحقيقى • وبإياله من شرف رفيع ناله داود أن يكون
المسيح « ابن داود » •

حينئذ « دخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال من أنا
ياسيدى الرب » ٢ ضم ١٨:٧ • نحن لا نستطيع أن نجد كلمات
تعبّر عن حالته النفسية فى تلك الساعة الرهيبة • انه لم يتظلم
من عدم اتمام رغبة قلبه ، فقد كانت تغمر نفسه يثابيح متدفقة من
المجد الاسمى • هل يمنح الله القليل دون أن يمنح الكثير ؟ هل
يرفض المشروع الذى تقدمه دون أن يمنح بركة سماوية تغنى
حياتنا الى الأبد ؟ احصر ثقتك فيه ، اجلس أمامه ، واجعل
تعزيتك فى مواعيده • ثق بأنه لا بد أن يفعل كماتكلم وتأكد بأنه
لا يمكن أن يسقط شيء واحدة من الخير « عوضا عن النحاس
أتى بالذهب ، وعوضا عن الحديد أتى بالفضة ، وعوضا عن
الخشب بالنحاس ، وعوضا عن الحجارة بالحديد ، واجعل
وكلاءك سلاما وولاتك برا • لا يسمع بعد ظلم فى أرضك •
لا تكون لك بعد الشمس نورا فى النهار ولا القمر يثير لك مضيتا
بل الرب يكون نورا أبدياً والهك زينتك » اش ١٧:٦٠ - ١٩ •

الفصل الرابع والعشرون

« قد أقمت ملكى »

٢ ص ١٠٨ أى ١٨، ١٩، ٢٠

توجوه فهو رب السماء
الذى يملك على العوالم السماوية
توجوه فهو الملك الذى أطلق عليه
ذلك الاسم العجيب « محبة »
توجوه بأكاليل كثيرة
بقدر الأكاليل التى تجثو أمامه
توجوه أيها الملوك بأكاليل كثيرة
فهو ملك جميع الملوك

(جودفرى ثرنج)

ان وقت الراحة الذى جاء عقب نقل التابوت قد داهمته
كثير من السحب القاتمة بسبب نشوب حروب عنيفة • فقد
انقضت الأمم المجاورة على داود ، الواحدة تلو الأخرى اما
منفردة أو مجتمعة • « عجت الأمم ، تزعزعت الممالك ،
من ٤٦ : ٦ •

الفلسطينيون : قاموا للمرة الأخيرة ، اما داود فقد «ضربهم
وذللهم واخذ زمام القسبة من يدهم » اى انتزع من يدهم زمام
عاصمة بلادهم ٢ ص ١٠٨ •

الموآبيون : ان المحالفة المتوارثة ، بين ملك العبرانيين وجيرانه الثائرين (الموآبيين) ، التى بدأت منذ عصر راعوث ، لم تكف لكبح جماح هؤلاء الموآبيين . وقد صدرت الى بنيامين الأوامر ليجرد حملة ضدهم ، فكانت موفقة حتى وقعت جيوشهم فى يده فأفناها كلها حسب عادة ذلك الزمن ولم ينج منهم الا الثلث « قاس بحبلين للقتل ويحبل كامل للاستحياء » (٢صم٨:٢)

الاراميون : انتصر داود انتصارا كليا على ملك صوبة والاراميين الذين فى دمشق ، ووقعت فى يد داود غنائم كثيرة من الذهب والنحاس ، وامتدت حدود اسرائيل حتى نهر الفرات ٢ صم ٨:٣ - ٨ ، وبذلك تم الوعد القديم الذى وعد الله به ابراهيم « لنسلك اعطى هذه الأرض ، من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » تك ١٥:١٨ .

الادميسون : بينما كان داود منشغلا فى الشمال اغار ادميسون على يهوذا فى الجذب ، فأوقد ابيشاي ليجرد حملة ضدهم . وهذا التقى بهم على الشاطئ الغربى للبحر الميت، وقتل منهم ثمانية عشر ألفا فى وادى الملح . وأخضعت البلاد كلها تدريجيا حتى « بترا » العاصمة الصخرية ، وأبيدت كل العائلة الملكية عدا « هدد » الذى شق طريقه الى مصر .

العمونيون : لما ارسل داود الى « حانون » رسلا لتعزيته فى وفاة ابنة اساء اليهم اساءة بالغة ١ اى ١٠:١-٤ . ولما أدرك حانون أن داود لا بد أن ينتقم منه انتقاما مروعا صنع تحالفا عظيما مع بعض الشعوب المجاورة للهجوم على داود . بلغت القوات المتحالفة اثنين وثلاثين ألفا ، عدا المركبات والخيول ، ولم يكن ممكنا لداود أن يقاومهم الا برجاله المشاة لأن التشريع الموسوى كان يحرم استعمال الخيل . كانت ساعة خطيرة فى

حياة داود استدعت أن يستجمع يوآب كل قواه • على أن يد الله تدخلت في الأمر ، وأحزن شعبه نصرة عظيمة ، فقد اكتسح إسرائيل بلاد الأعداء وسقطت « ربة » وهي العاصمة ، في يد داود ، واستعمل الغزاة المناشير ، والنبهام ، والفؤوس ، ربما لاعداد الموان اللازمة لانشاء بعض الأعمال العامة ، وربما لتهيئة ما يلزم لبناء الهيكل نفسه •

كانت سنوات الحروب هذه باعثة على تأليف بعض من أسمى مزاميره التي منها • مز ٢٠٢ و ٢٠١ و ٦٠ و ١١٠ •

(١) العدو :

« ارتجت الأمم ، تفكر الشعوب في الباطل ، قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه » وفي الكلمات التالية نسمع صدى مؤمراتهم من غرفة مشورتهم :

« لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما »

انهم يتكلمون على المركبات والخيول ، وملوكهم يتوهمون انهم بكثرة جيوشهم ينتصرون • انهم يبعثون رعبا في قلوب اسرائيل فتتزلزل الارض كأن الله قد مزقها ، والشعب يشربون خمر الترنج والظلام • لقد كان هجومهم مخيفا ، وعددهم مزوعا حتى بدا أنه « باطل خلاص الانسان » •

هذا ما حصل في كل عصور تاريخ شعب الله أن الشيطان الذي يحاول على الدوام سحق عقب نسل المرأة • « في العالم سيكون لكم ضيق » ، « هوذا ابليس مزع أن يلقي بعضا منكم في السجن لكي تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام » رؤ ١٠: ٢ « ولما رأى التنين أنه طرح الى الأرض اضطهد المرأة » رؤ ١٢: ١٣

(٢) وجهة نظر الايمان :

وبينما كانت صفوف الأعداء المرعبة ماثلة أمام الأنظار سمح للملك البطل أن يرى غير المنظور ، الأبدى • فلم ير في وجه الله أى أثر للخوف ، ولم يجد أى تغيير فى مقاصده من جهة إقامة ملكه على جبل قدسه ، ويظهر أن يوم هجوم العدو اليوم الذى يحصل فيه على تأكيد جديد لبنيته لله ، والذى يؤمر فيه بأن يطلب فيعطيه الأمم ميراثا ، وأقاصى الأرض ملكا له • وأذ يسبق فيرى الحرب يسمع نغمات الوعد الالهى يعلو فوق اضطراب مخاوفه :

تحطمهم بقضيب من حديد

مثل اناء خزاف تكسرهم

وعند ترك اورشليم يتوسل شعبه بأن يستجيب له الرب فى يوم شدته ، يذكر تقدماته ، ويرسل له عوناً من قدسه • فيجيب هو :

الآن عرفت ان الرب مخلص مسيحه

يستجيبه من سماء قدسه

بجبروت خلاص يمينه

وهو يعلم انه بمحبة القدير لا يتزعزع ، وأن يمينه تحطم أعداءه وفى قوة ايمانه يؤكد - ان ينظر شرقا عبر الأردن - ان جلعاد سوف يعترف بيقينا بحكمه كما فعل افرايم ومثسى • وفى وثوقه التام بولاء يهوذا وسائر الاسباط يحسب ان النصر لا يد مكفول • موآب مرحضقة ، وأدوم يحمل نعله كعبد ، وفلسطين

ترتعب أمام هتاف الحرب ، بل إن بقرا « المدينة المحصنة » نفسها
سوف تقتحمها جيوشه •

وفى اطمئنان كامل يرى النتيجة عن بعد ، وهى أن الرب
سوف يرسل قضيب عزه من صهيون ، ويحطم فى يوم رجزه
ملوكا ، ويضع أعداءه موطئا لقدميه ، حتى يستطيع فى كل الأيام
التالية أن يجمع بين وظيفتى الكهنوت والملك ، كما فعل ملكى
صادق فى نفس ذلك المكان منذ عدة أجيال من ١١٠ •

(٣) جنود الملك الكاهن :

إن سرت اليهم عدوى إيمانه يبتهجون بخلاص الله ، وباسمه
يرقعون رأيتهم ، ويثقون أن الله - كرجل حرب - يخرج مع
جيوشهم ، ويدوس أعداءهم •

أنهم يتميزون بأنهم « شعب منتدب » لا يقدس خائن وسط
ضفوقهم • يلتفون بابتهاج حول الراية ، كمحاربى دبورة الذين
ترنمت من أجلهم قائلة « لأجل قيادة القواد فى اسرائيل ، لأجل
انتداب الشعب باركوا الرب » •

أنهم لا يلبسون الدروع بل ثياب الكهنة البيضاء « فى زينة
مقدسة » وهى عبارة تدل على أن قيادة الحرب تركت لرجال الدين
كجزء من عبادة الله •

أنهم كثيرى العدد كنقط الطل التى ترصع العشب فى الصباح ،
فتبدو أوراق العشب كأنها مرصعة بالجواهر وتنعكس منها أشعة
النور بجمال يفوق الوصف من ١١٠ •

ياله من مثل أعلى ذلك الذى وضعه داود نصب عينيه لجنوده

اذ يجب أن تتوفر فيهم البطولة ، والطهارة ، والحق ، والعدل ،
هذه التي يجب أن يتحلى بها كل جنود المسيح .

(٤) النصرة الكاملة :

لن تستطيع جيوش الاعداء الثبات أمام هؤلاء الجنود
المسلحين بالأسلحة السماوية ، الذين تهرب من حضرتهم أقوى
الملوك . ومهما قوى الاعداء فانهم « جثوا وسقطوا » سقوطاً
لا قيام بعده ، صاروا « مثل ثورنار » فى زمان غضب الله ،
« الرب بسخطه يبتلعهم وتاكلهم النار » . جثتهم تناثرت فى كل
رجاء ساحة القتال « ملا جثا » والأودية غصت بالقتلى .

وعند رجوع الجيش المنتصر تاركاً وراءه الخراب حيث
احتشد أعداؤه تراه فى أغنياته يعبر عن شكره للقدير مخلصه .
واشتراك المغنون وضاربو الآلات الموسيقية ، بنيامين ويهوذا ،
زبولون ونفتالى ، فى الترنم بذلك النشيد الرائع :

الله لنا اله خلاص

وعند الرب السيد للموت مخارج

مخوف أنت يا الله من مقدسك

اله اسرائيل هو المعطى قوة وشدة للشعب .

من ٢٠:٦٨ و ٢٥

كل هذا يشير الى مدى أبعد . فانتا نرى فى داود رمزاً
للمسيح . لأنه قد تأمر على يسوع ، مسيح الله ، كل من الأمم

وشعوب اسرائيل ، وتجمعوا معا • لقد رفض البشر ملكه ،
ولا يزالون يرفضون • أما الله فقد أقسم ولن يندم أنه ستجثو له
كل ركبة ، ويعترف به كل لسان ، وليست هنالك ذرة من الشك
مطلقا في أنه بعد قليل سوف تسمع « أصوات عظيمة في السماء
قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك الى أبد
الأبد » •

الفصل الخامس والعشرون

خطية حياته

٢ صم ١١ - ١٩

أخطأت يا أيتها ، وارتكبت الشر
الذى كنت أظن أنني لن أسقط فيه
لقد كانت كل أيام حياتي الماضية منيرة
ولكنني جعلتها اليوم حالكة الظلام
وأقمت سحبا قاتمة بيني وبين شمس البر

(سبتيمس ساتون)

لم يذكر كاتب سفرى أخبار الأيام أية إشارة عن هذه اللوثة
التي لطخت حياة داود . أما السفر الأقدم عهدا (صموئيل الثانى)
فانه يبسط هذه الحادثة بكل تفاصيلها دون أن يحاول تلطيفها أو
التماس المعاذير لداود فى ارتكابها . ولا شك فى أن الريح الذى
يجنيه كل الخطاة التائبين من ذكر هذه الحادثة يفوق جدا الخسارة
التي لحقت بسمعة ذلك الرجل الذى شهد له بأنه وجد حسب قلب
الله . هذه الاصحاحات قد اطلع عليها ربوات كادوا يبتلعون من
يأس ظلمة الخطية ولكنهم وجدوا ضياء النور الكامل الذى
يستطيع أن يرد النفس من ظلمتها القاتمة . « مغفورة لك خطاياك
الكثيرة . اذهب بسلام » .

(١) الظروف التي أدت الى خطية داود :

ان طبع الملك الحاد الخيالي هو الذى عرضه بصفة خاصة

الى مثل هذه التجربة • ولكن كان ممكنا لقوة كبح جماح النفس التى تتمتع بها فى كل أيامه الماضية أن تتغلب عليها لو لم يكن قد انتابه بعض التراخى فى الاحتفاظ بإحوائه مشدودة والاحتفاظ بالزيت فى مصباحه •

لقد ظل سبعة عشر عاما متمتعا بالنجاح الدائم الذى لا تشويه آثار الفشل ، موقفا فى كل موقعة حربية ، يزداد إعجاب رعيته به ومدحهم إياه فى كل المناسبات الخطيرة • ولكن هذا النجاح كان محفوقا بالخطر • فالمرء يخشى برودة الجبال الشامخة أقل مما يخشى حرارة السهول المنبسطة •

يخبرنا الكتاب المقدس صراحة أن داود بعد أن استقر كرسيه فى أورشليم اتخذ لنفسه نساء وسراى كثيرات متعددا بذلك شريعة موسى الصريحة التى كانت تحذر ملوك العبرانيين من تعدد الزوجات لئلا « يحولن قلوبهم » • وبذلك حصد داود ما لا بد أن يحصده من مرارة الغيرة والحسد والمنازعات والجرائم التى لا بد أن يسببها النساء ، فضلا عن ذلك فقد أدت كثرة النساء الى أن تغرس فيه عادة الانغماس فى الشهوات الجسدية التى هبته لسقطته الشنيعة فى مساء ذلك اليوم الاسود •

ثم أنه سمح لنفسه بفترة من التراخى والكسل ، الأمر الذى لا يتناسب مع روح أسد يهوذا الحربية ، إذ أوكل ليوآب وجنوده الأبطال أمر الحرب حول أسوار رية ، أما هو فقد لبث بلا عمل فى أورشليم • وعندما رفض أوريا الذهاب الى بيته بينما كان زملاؤه وتابوت الله فى ساحة الحرب كان فى هذا توبيخ لداود فى حالته هذه •

وفى مساء يوم مشئوم استيقظ الملك من قيلولته ، وكان

مستلقيا على سطح قصره • فى تلك الساعة ، ساعة الراحة والكسل والخمول ، جاءه ضيف ، على حد تعبير ناثن ، جاءته فكرة عاطلة ، ولاشباع جوع ذلك الضيف نزل الى بيت رجل مسكين وأخذ نعجته الوحيدة بينما كانت حظائره مكتظة بالغنم اننا لن نحاول التخفيف من خطية داود بالتأمل فى اشتراك بثشبع فى الجريمة بمنطلق حريتها ، أو فى حرصها على عدم الاضطجاع معه الا بعد أن تتطهر من طمئتها ، أو فى استهانتها بعهد الزوجية مع زوجها المتغيّب • ومما هو جدير بالملاحظة أن رواية الكتاب المقدس تلقى كل مسئولية هذه الخطية على الملك وحده ، لأن بثشبع ربما تكون قد اضطرت للخضوع أمام سلطانه المطلق •

انغمس داود فى الشهوة برهة وجيزة • وماذا كانت النتيجة؟ ثلثت أخلاقه ولم يعد فى الاستطاعة اصلاحها ، زال عنه سلامه ، تزعزعت أسس مملكته ، غضب الله عليه ، أعطيت فرصة عظيمة لأعدائه للتجديف والتعيير • فلنحذر كل الحذر من ساعات الراحة التى تقضى بلا ضابط وبلا حرص • ولحظات الفراغ تخشى عاقبتها أكثر من لحظات الكد والكفاح • ان سن الرجولة (لأن داود كان قد تجاوز الخمسين) ليس محصنا ضد التجارب والأخطار التى تدهم الشباب • وان خطوة واحدة خاطئة تتخذ فى ركود الحياة الروحية قد تتلف السمعة التى اكتسبت بقضاء السنوات الطويلة فى الحياة الطاهرة النقية •

وفى أحد الأيام أثت الى داود رسالة من شريكته فى الخطية بأن النتائج لا يمكن اخفاؤها • وعندئذ سرت فيه رعشة كالمحموم • كان ناموس موسى يقضى بموت الطرفين فى خطية الزنى • اذا فكان لا بد من اتخاذ اجراءات سريعة لاختفاء الجريمة • يجب أن يعود أوريا الى بيته • وعاد فعلا ، ولكن عودته لم يكن فيها علاج

للأمر . فانه رفض دخول بيته ، ولو أن الملك أرسل اليه في بيته طعاما شهيا من مائدته الخاصة في الليلة الأولى ، وفي الليلة الثانية أسكره . ولكن روحه العسكرية النبيلة لم تسمح له حتى بمجرد تحية زوجته بينما كانت الحرب الشديدة قائمة .

لم يكن هنالك بديل من موته (موت أوريا) ، لأن الموتى لا يقصون الأخبار . فاذا ولد طفل لا يبقى هنالك مجال يعد لأوريا ليتبرأ منه .

حمل أوريا رسالة الى يوأب قد ضحك في داخل قلبه عندما قض هذه الرسالة وقرأها . ولعله ناجى نفسه بهذه العبارة : « ان سيدى اذا ما أراد أن ينشد مزاميره أطرب بها غيرى ، أما اذا أراد أن يأتى عملا قدرا لجأ الى ، لست أدري لماذا أراد أن يتخلص من أوريا . وعلى أى حال فأننى سأعينة على قضاء يغيته . وبعد ذلك لن يستطيع أن يحدثنى مرة أخرى عن ابنير . ثم ستكون لى حرية التصرف كما أشاء . لأنه سوف يكون فى قبضة يدي من الآن فصاعدا » .

وضع أوريا فى مقدمة المعركة الحامية ليلقى حتفه . ومن ساحة القتال أرسلت رسالة الى الملك تحمل اليه البشرى بموت أوريا . وكان داود يظن أنه لم يعلم بالأمر أحد سواه غير يوأب . ولعل بثشبع لم يدر بخلدها أن سقطتها سوف تدارى بهذا الثمن الغالى . « وندبت بعلها » كما كانت عادة الزوجة العبرانية ، وفى الوقت ذاته هنأت نفسها بهذه المصادفة السعيدة ، وبعد سبعة أيام « أرسل داود وضمها الى بيته » .

توهم داود أنه بذلك قد استراح وأمن كل العواقب . فالطفل سوف يولد تحت ستار حالة زيجة شرعية . ولكن يالها من كلمة (م ١٤ - حياة داود)

مرعبة نغصت على داود حياته وأفسدت كل هذا الترتيب « وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب » . لم تطو هذه الحادثة فى زوايا النسيان ، بل كان لا بد لداود أن يسمع عنها ثانية ، ولا بد للعالم من أن يطلع على تفاصيلها . ولكن ياله من حزن مرير أن يسقط هذه السقطة الشنيعة ذاك الذى طالما تحدث عن سلوكه فى بيته باستقامة قلب ، والذى احتفظ بالعشرة الإلهية بكل قوته ، والذى ترك وراءه حياة رائعة . كيف سقط المرنم ، الملك الإنسان الذى اكتملت فيه كل صفات الرجولة ، محب الله ؟ كيف غاص فى الوحل بانغماسه فى الرذيلة برهة وجيزة ؟ آه ! يا الهى ! هب لى أن أكمل طريقى فى الحياة دون أن تتدنس يلوثة كهذه : هب لى أن أظل مرتديا الثوب الأبيض ، وأن تظل حياتي بلا لوم الى النهاية .

(٢) توبة متأخرة :

كلما سمعت حياة المزمع عظم الثمن الذى يدفعه للبرهة الوجيزة التى يقضيها فى الاستمتاع بالخطية . ظل ذلك الملك الخاطيء محتضنا خطيته اثنى عشر شهرا ، مغلقا شفتيه ، رافضا الاعتراف بأثمه . ولكنه فى من ٢٢ يبين لنا كيف كان شعوره خلال هذه المدة الطويلة لقد بليت عظامه من زفيره اليوم كله . تحولت رطوبته الى يبوسة القيط كما حصل فى إسرائيل إذ لم يكن طل ولا مطر ثلاث سنوات استجابة لصلاة ايليا ، وذبل كل أخضر من يبوسة القيط . ويد الله ثقلت عليه نهارا وليلا .

وعندما استولى على « ربة » عامل شعبها بمنتهى القسوة ، كأنه مثقل بتوبيخ ضميره يحاول أن يحول الى الآخرين تلك القسوة التى كان يجب أن يعامل بها نفسه . كثيرا ما نتخلص من الانتقام من أخطائنا الشخصية بأن نعامل الآخرين وندينهم بمنتهى القسوة .

نفس هذه الروح الشريرة التى تـلازم الضمير المتعب هى التى دفعت داود ليصدر حكما قاسيا على ذلك الرجل الغنى الذى أخذ نعمة جاره الفقير . كانت الشريعة الموسوية تقضى برد أربعة أضعاف فى مثل تلك الحالة خر ١:٢٢ ، أما الملك فقضى على الرجل بالموت .

ولا شك فى أن ظهور ناثان على مسرح هذه الرواية هو الذى أصلح الموقف . فانه بينما كان القصر المسمى مكتظا بالجنود ورجال السياسة شق النبى طريقة وسطهم بحق صداقته القديمة، وطلب مقابلة الملك مقابلة خاصة . ثم قص عليه رواية عن حادثة كانت تبدو كأنها حقيقية تستحق العطف والاشفاق لأن اساءة بالغة ارتكبت فيها . وللحال اشتعل غضب داود على الرجل الذى ارتكب الاساءة . وحيثئذ فاجاه النبى بهذه الكلمة « انت هو الرجل » ، فكشفت لداود نفسه فى مرآة الحكم الذى نطق به ، ولم يستطع الا أن يجثو على ركبته ، وكانت هذه الكلمة كوميض البرق فى ليلة حالكة الظلام تنير الطريق للمسافر فجأة وتكشف له عن هوة سحيقة كادت تسقط فيها قدمه . ذكره ناثان بالمضى . مؤكدا له بصفة خاصة صلاح الله الذى لا يحد . وعندئذ ازدادت خطيته قبحا وشناعة فى عينيه . انك « قد احترقت كلام الرب ، قد قتلت أوريا ، أخذت امرأته ، والآن لا يفارق السيف بيتك ، الابن المولود لك يموت ، آخذ نساءك أمام عينيك لقريبك ، فيضطجع مع نساءك فى عين هذه الشمس ، اقيم عليك الشر من بيتك » .

لم يستطع داود الا أن يجيب بهذا الجواب الواحد « أخطأت الى الرب » . وتلا هذا الاعتراف ينبوع من الدموع السخينة . وللحال هدا قلبه الذى كان يحترق ، ووجد راحة وعزاء . ايه أيتها الينابيع المباركة التى تفتقدن النفوس الجافة والأرض العطشة .

وحالما فارقة ناثنان أخرج اعترافه فى مز ٥١ « لمام المغنين »
لكى يستعمله كل العالم ، ويتغنى مع الآلات الموسيقية ان أراد .
فى هذا المزمور نراه يعبر عما فى قرارة نفسه من مرارة الخطية
الواحدة والمعاصى الكثيرة ، الشر الذى صنعه قدام الله بل ضد
الله كانه لا يستطيع ذكر اسم أوريا فى نفس واحد ، الاعتراف
بالاثم الذى صور به ، ألم العظام المنسحقة ، شعوره بالقلب
المدنس ، خسارة بهجة النفس ، خوفه من نزاع الروح القدس
منه ، القلب المنكسر والمنسحق . من لنا بتلك الاناث لطلب المزيد
من مراحم الله التى بدونها لن تمحى تلك الصحائف السوداء من
سفر التذكرة ، أو يطهر الثوب من أدناشه ، أو يعاد جسد الابرص
الى حالة الصحة والنقاء . أما الطلبات التى رفعها ذلك القلب
الضعيف المثقل بالخطية على مذبح الله وكانت افضل من المحرقات
والبخور العطر فهى أن يصبح نقياً إذ يطهر بالزوا ، أن يبيض
أكثر من الثلج إذ يغسل ، أن يعود ويتغنى مرة أخرى إذ ينجو
من الدماء ، أن يمتلىء بروح منتدبة بروحة القدس .

ولكن قبل أن ينطق بهذه الصلاة ، وحالما اعترف بخطيته
قال له ناثنان « والرب نقل عنك خطيتك » قبل مرور لحظة واحدة
على اعترافه .

اعترف لك بخطيتى ولا أكتم اثمى

قلت اعترف للرب بذنبي

وانت رفعت آثام خطيتى مز ٣٢ : ٥

أيتها النفس التائبة ! ثقى فى مغفرة الخطية بصفة مستمرة .
ليس عليك الا أن تعترفى بالخطية ، وعندئذ تجددين محبة الله قد
أسرعت لضمك للأحضان الأبوية . وحالما تخرج كلمات التوبة من
شفثيك تتلقاها مباشرة تلك المحبة التى وان كانت تكره الخطية الا
أنها لن تكف عن الحنين على الابن الضال .

الخطية مظلمة ، خطرة ، مهلكة ، ولكنها لن تستطيع أن توقف تيار محبة الله ، لن تستطيع أن تغير تلك المحبة التي لا تبدأ بالأمس بل تبدأ منذ الازل . والأمر الوحيد الذى يستطيع أن يؤذى النفس هو كبت الاعتراف بالخطية داخل النفس . ولكنها ان استطاعت الاعتراف بها قائلة « اللهم ارحمنى أنا الخاطيء من أجل الدم الذى سفك عني » فانها تصبح مثل الثلج ، نقية مثل مياه وسط المحيط التي لا تستطيع أن تلوثها أدناس أعظم مدينة ، شفافة مثل الأثير الأزرق الذى هو ستر ظل القدير .

الفصل السادس والعشرون

« ضربات بنى آدم » (١)

٢ صم ١٢ - ١٩

لا يمكن أن يتم عمل صالح أو طالح
دون أن يترك وراءه أثرا
مكتوبا بيد غير منظورة
ويخلف وراءه بركة أو لعنة

(لونهاجفلو)

قد تغفر الخطية كما غفرت خطية داود ، ورغم ذلك تتبعها
سلسلة من النتائج الأليمة • فان الخطية لا بد أن ينطبق عليها
ناموس الأسباب والنتائج وتتلوها سلسلة الآلام المريرة المتصلة
الحلقات • على أن رحمة الله الأولاده الخطاة القائمين لابد أن
تظهر في تحويل نتائج الخطية الى نيران مطهرة ، وفي تقديم
سلامه الكامل اليهم الذي يهون عليهم كل مصائبهم وآلامهم ، وفي
إيقاف مجرى الشر • كل هذه الحقائق تتضح لنا جليا في
الصفحات التالية التي نتحدث اليها عن تأديبات الله ، المسكنات •
الانقذات •

أيتها النفس البشرية ، هذه حقيقة خطيرة يجب أن نستمع

اليها ، انها تعلن لنا كيفية معاملة الله لأولاده • وكما عامل داود
سيعاملنا نحن أيضا • انه سوف يغفر ولكنه قد يستعمل العصا ،
انه سوف يشفق ومع ذلك قد يسمح لنا بشرب المياه المرة كالعلقم
التي دفقتها خطايانا • أيها العزيز كن وديعا ، صابرا ، خاضعا
فانك سوف تخرج من الامتحان نقيا ، وسوف يتعلم الآخرون من
اختباراتك الكثير عن لطف الله وصرامته • قد يحصد البشر
ما زرعوه حتى ولو ظفروا بغفران خطاياهم •

(١) تاديبات الله :

مرض طفل بثشبع مرضا شديدا ، كان ابن الخطية والعان ،
ولكن الأبوين كانا متعلقين به • كانت الأم ترقبه سبعة أيام ،
والأب صام واقترب الأرض ان رأى مرض الولد تألم أشد مما
لو حل به هو شخصيا عشرة أضعاف هذا المرض • لأنه عندما
يتألم الأبرياء من جرائمنا الشخصية يشتد المصاب هولا • وفى
اليوم السابع مات الطفل •

ويعد سنتين غدر أحد أولاده بأخته (ابنة داود) كما غدر
هو بامرأة أوريا • يقولون ان الانسان لا يمكن أن يسمع صوته
حتى تردده آلة الفونوغراف • وبقينا أن الانسان لا يمكن أن يرى
شروع نفسه حتى تعود الى الظهور فى ابنه • لقد رأى داود
شهوته الجامحة فى خطية امنون ، كما رأى جريمته (التى لو
يها يديه بالدماء) فى قتل ابشالوم لامنون بعد ذلك بسنتين • لم
يكن ممكنا أن تحدث جريمة قتل ابشالوم لأخيه لو أن داود اتخذ
اجراءات سريعة لقصاص امنون • ولكن كيف يستطيع أن يوقع
القصاص لنجاسة ابنه فى الوقت الذى أعفى نفسه منه
(لا ١٨ : ٩ - ٢٩) • كذلك لم يجز أن يعاقب ابشالوم من
أجل القتل ان تذكر أنه كقاتل أعفى نفسه من قصاص هذه
الجريمة •

وحالما تمرد عليه ابشالوم سرعان ما قوبل هذا التمرد بالاستحسان من أخلص مستشاري داود وهو اخيتوفل ، الذى لصق بابشالوم ، والذى كانت تعد مشورته كجزء من كلمة الله . وما الذى دفع باخيتوفل الى تيار هذه المؤامرة ؟ الجواب نجده فى سلسلة الانساب التى تبين أنه كان جد بثشبع وأن ابنه اليعام كان رفيق وصديق أوريا (١) .

يظن البعض أن داود ضرب بمرض شديد فى ذلك الوقت . والفروض أن الزمورين ٤١ و ٥٥ يسجلان اناته وتوجهه أثناء تلك السنوات المظلمة . فهما يصوران نفسه الذليلة وقلبه الكسير ، ويتحدثان عن أولئك الذين أحاطوا به وهو « على فراش الضعف » ، وينقلان إلينا حديثهم عن ذلك المريض .

أما أقسى التجارب التى عاناها وأخطرها فكانت تمرد ابشالوم . لقد كانت طلعتة البهية ، وذكاؤه الفذ ، وعطفه الظاهري على متاعب الشعب وآلامه التى يزيدها قسوة بطء اجراءات الناموس ، ومجده وابهته - كل هذه كانت تقوض أركان عرش داود أربعة أعوام ، وتستميل قلوب الشعب اليه دون أبيه داود ، ولذلك فانه عندما بسط لواءه فى حبرون ونودى به ملكا فى كل أرجاء البلاد كان الشعب قد فقد ولاءه الأول لداود ومحبه الأولى له - ولعل أخبار خطيته قد خيبت آمالهم فيه ، وأبعدتهم عنه ، فأسرعوا لتقديم ولائهم للملك الجديد .

لا حاجة بنا للتأمل فى الخطوات التسالية فى تلك الأيام العاصفة ، أى انزعاج الملك وهروبه « قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم ، أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا »

٢ صم ١٤:١٥ وصعوده حافى القدمين على جبل الزيتون ،
 واجهاشة فى البكاء ، وسب شمعى اياه بكل زراية واحتقار ،
 وخيانة مفيبوشت الظاهرة ، واذلال زوجات داود فى عين الشمس
 التى شهدت خطيته ، والتفاف كل اسرائيل حول ابشالوم متناسين
 العلاقات التى ربطتهم بداود سنوات طويلة .

كانت هذه هى التأديبات التى أوقعها الآب السماوى بشدة
 وبسرعة على ابنه . كان يبدو للعين المجردة أن هذه التأديبات
 صادرة عن حقد الانسان وغضبه ، أما داود فقد تطلع الى أعماقها
 وأدرك أن الكأس التى قدموها لشفقية كانت ممزجة بواسطة
 السماء ، وأنها لم تكن قصاصا من المنتقم الجبار بل تأديبا من
 الآب .

بعد رواية المسيح لا يوجد فى الكتاب المقدس أجمل من تصرف
 داود ان جاز وسط هذه الأشواك والمراثى . اسمعه يقول لصادوق
 « ارجع تابوت الله الى المدينة ، فان وجدت نعمة فى عينى الرب
 فانه يرجعنى ويرينى اياه ومسكنه . » وان قال هكذا انى لم اسر
 بك فهأنذا فليفعل بى حسيما يحسن فى عينه » . وعندما دعا ،
 شمعى « رجل الدماء » بسبب تصرفاته مع بيت شاول ، ولعله كان
 يشير الى قتل أبناء رصفة حديثا ، أو لعله كان يتهمه بجريمة
 قتل ابشوبوش ، قال داود لابيشاى « دعوه يسب لأن الرب قال له
 سب داود ، ومن يقول لماذا تفعل هكذا » . وهكذا أيضا عندما
 قدم يهوذا كأس العلقم الى شفتى المسيح قال «الكأس التى أعطانى
 الآب لأشرب » . فلنذكر هذا الدرس ولا ننسى قط ، وهو أن
 الآلام والأحزان قد تأتى الينا عن طريق مؤامرات وخبث اخيتوفل
 أو شمعى أو يهوذا ، ولكن عندما يسمح الله بأن تصل الينا فأنها
 ان يصفينا بمصفاة دقيقة تصبح ارادته لنا . وعندما نتطلع الى
 وجهه ونذكر اننا لسنا هدفا للصدقة ، أو سوء الحظ ، أو هوى

البشر ، بل ان الله يعاملنا كبنين وما لم تكن هذه التأديبات
فلنخش لنلا نكون نعولا .

(٢) مسكنات الله :

لقد جاءت بطرق متنوعة . فان ساعة التجربة المرة كشفت
عن محبة أتباعه له فى الوقت الذى كان يخشى فيه أن تكون
قلوبهم قد ملأتها روح الجفاء بسبب تقادم العهد به .

ان خيانة اخيتوفل مزقت أحشاءه . وفى الزامير السابق
الاشارة اليها يحدثنا عن شعوره فى هذا الصدد . لقد أبت عليه
طبيعته الرقيقة الحساسة أن يصدق بأن صديقه الذى وثق به ،
الذى أكل خبزه ، رفع عليه عقبه . ولكن حوشاى الاركى جاءه
اذ ذاك وقد بدت عليه علامات الحزن ، وارتضى - كصديق حميم
له - أن يذهب الى ابشالوم لكى يكون له مشيرا ، وبذلك يبطل
مشورة اخيتوفل ٢ صم ٣١:١٥ - ٣٧ .

قد يسبه شمعى أما اتاى ، وهو رجل غريب ، من جت .
فانه يحلف بالولاء له هو وأولاده ، سواء فى الحياة أو فى
المات .

بقى صادوق وابياثار مع التابوت ونسيا حقدهما السابق
بسبب حزنهما العام من أجل سيدهما ، وصيبا يقابله بفاكهة
الصيف ، مئة عنقود زبيب ، ومئتا رغيف الخ ٢ صم ١:١٦ .
كذلك نرى شوبى وماكير وبرزلاى يقدمون طعاما وافرا لشعبه
الجوعان والمتعب والعطشان ٢ صم ٢٧:١٧ - ٢٩ . كما نرى
شعبه يرجوه عدم النزول الى الحرب هو شخصيا لأن حياته ثمينة
كعشرة آلاف منهم « ٢ صم ٢:١٨ .

وكان الله كان حالا حول عبده أثناء تأديبه ، وعندما كانت الجلادات تمزق ظهره كان بلسان جلعاد يسكب على الجروح الدامية . وكان صوت الله العذب يهمس في أذنيه ، ويده الرحيمة تمسك بيديه بركة وعطف واشفاق ، وفي كل الطريق كان يتلقى تأكيدا من الله برحمته ، وأفضل الكل كانت جيوش ملائكة الله الحارسة تحيط به في مسلكه وفي مريضه مز ٣٤: ٧، ١٣٩: ٣ .
كل هذا دعاه لانشاد بعض من اعذب مزاميره التي من ضمنها مز ٣ و٤ و٦١ و٦٢ و٦٣ و١٤٣ .

كان ينشد المزمورين الأولين في الصباح والمساء عندما استبدل قصره بقبة السماء الزرقاء . كان يعلم أن له أعداء كثيرين يقولون « ليس له خلاص بالله » ، أما هو فكان يدرك أنه محفوظ برعاية القدير .

أما أنت يارب فترس لى

مجدى ورافع رأسى

لا يخاف من ربوات الشعب ، يرقد فى سلام ، ويستيقظ فى أمان ، لأن الرب يعضده . وهو يدرك أن الرب قد أفرزه لنفسه ، ويشعر أن نور وجهه يضع سرورا فى قلبه أعظم من كنوز المملكة التى بدا له أنه خسرها الى الأبد .

ومن الأرض الناشفة اليابسة التى كانوا مضطرين لعبورها تعطشت نفسه لرؤية قوة ومجد الله كما كان يراها فى قدسه ، والحال يشعر بارواء ظمأه تماما . فالتشوق الى الله مقدمة لوجوده ، والتعطش اليه هو الشعور بالماء البارد ينسكب على الشفاه الجافة . ومع هذه الاختبارات تتضح اليه مقدما رؤية جلييلة عن نتيجة تلك الحرب الطاحنة :

أما الملك فيفرح بالله

يفتخر كل من يحلف به

لأن أقواه المتكلمين بالكذب تسد
من ١١:٦٣

(٣) خلاص الله :

لم يستطع الجنود غير المتمرنين الذين حشدتهم ابشالوم
يتعجل أن يثبتوا أمام رجال داود المدربين ، ولم يجدوا مفرا من
الهروب . أما ابشالوم نفسه فقد قضى عليه يوأب بلا رافة إذ
كان معلقا فى البطمة العظيمة . وحينئذ عاد الشعب الى ولائهم
الأول ، وتنازعوا حول شرف ارجاع الملك . وحتى رجال يهوذا
الذين كانوا شاعرين بفقد ثقة داود فيهم بسبب تعجلهم فى اتباع
ابشالوم فانهم تابوا وحثوا الملك على الرجوع . وشمعى سجد
بتذلل تحت قدميه . ومفبيوشث أعلن ولاءه القام . وارتبط برزلاى
بالبيت الملكى الى الأبد بإعترافاته الكثيرة وبالعطايا الملكية التى
منحت الى كمهام ٢ صم ١٩:٢١ - ٢٩ وكانت النهاية حسنة فى
جميع النواحي .

على أن حادثة أليمة كدرت صفو الجميع . فان الأسباط
العشرة اشتد غيظهم لأن يهوذا انفرد بكل الترتيبات الخاصة
بارجاع الملك ، وحنقوا على سبط يهوذا وكلموه بكلمات قاسية .
أما رجال يهوذا فقد أجابوهم بكلمات مماثلة جارحة ٢ صم ١٩:٤٠ -
٤٢ وبغته ضرب شبع بالبوق معلنا الثورة ، ورفع الصوت
عاليا بذلك النداء الذى نودى به فيما بعد أيام رحبعام لانقسام
المملكة قائلا « كل رجس الى خيمته يا اسرائيل » ٢ صم ١:٢٠ .
وللحال انشق الأسباط العشرة وقامت ثانية ثورة خطيرة جدا لم
يمكن اخمادها الا بعد جهود جبارة بذلها يوأب . وكانت مأساة

موت شيع هي خاتمة هذه الثورة التي لم تخدم الا بالدماء ،
والتي تركت اثرا سيئا في حياة الأمة •

كثيرة كانت نكبات خادم الله ، ولكن من جميعها انقذه •
وعندما تعلم الدرس كف قضيب التأديب • لقد تم تأديبه « بقضيب
الناس وبضربات بني آدم ٢ ضم ١٤:٧ على أن الله ينزع منه رحمته
كما فعل بشاول ، فقد توطد بيته وعرشه ومملكته رغم القوات
المعادية الكثيرة • وهكذا نجد على الدوام القضيب ، الضربات ،
التأديب ، ولكن وسط الكل محبة الله ، متممة مقاصده الفدائية ،
ولا تتعجل أبدا ، ولا تهدأ أبدا ، ولا تنسى قط ، بل تجعل كل
الأشياء تعمل معا حتى ينزع الشر وتتطهر النفس • وعندئذ تأتي
البركة الختامية ثم تنتهي الحياة بدوء وسلام •

الفصل السابع والعشرون

الغروب وكوكب المساء

١ أى ٢٠-٢٩

الغروب وكوكب المساء
ودعوة واضحة الى
وعندما اُخرج الى عرض البحر
لا يكون هنالك تذمر أو أنين

(تيمسُون)

منح داود فترة راحة بين اخماد ثورة ابشالوم وثورة شبع
نهائيا وبين موته وتقدر هذه الفترة بنحو عشر سنوات •
ولا يسجل لنا الكتاب المقدس من حوادثها الا القليل • والأرجح
أن داود قضّاها فى اتضاع وخشوع أمام الله ، غير مهتم
بالأمور العالية بل حاضرا كل ذهنة فى اقامة الهيكل الذى كان
حلم حياته • وان كان لم يتسن له تشييده بنفسه فليجاهد بكل
قوته لمساعدة من يستطيع البناء •

(١) موقعه :

وهذا يصفه لنا الكتاب بالطريقة الآتية • خطرت لداود فكرة
لاحصاء اسرائيل ويهوذا • ويقول سفر أخبار الأيام أن الشيطان
هو الذى حركه لهذا العمل ١ أى ١:٢١ ، أما كاتب سفر صموئيل

- وهو أقدم عهدا - فانه يعزو الفكرة الى غضب الرب ٢ صم ١:٢٤ . والتوفيق بين هذين القولين ليس أمرا مستحيلا ، خصوصا اذا ذكرنا أن كتبة العهد القديم كثيرا ما ينسبون الأمور التي تحصل بسماع من الله الى الله نفسه .

ولعل أساس خطية احصاء الشعب هو في الباعث الدافع لها . فقد داهم داود روح الكبرياء والغرور ، وأراد أن يظهر بمظهر العظمة أمام كل الأمم المجاورة ، ويعطيها فكرة عن عظمة اسرائيل لكي لا تجسر على اقتحامه في أية نقطة من خط الحدود الطويل . وهنا نراه يستبدل موقفه الذي اختاره كل أيام حياته وهو الاتكال الكلي على الله وحده بذلك الموقف الذي لا يليق به وهو الاتكال على الذراع البشري والقوة البشرية .

ورغم اعتراض يوأب وغيره فان الملك أصر على طلبه ، وجاب رجاله كل أرجاء البلاد لاحصاء الشعب . يقينا ان الأمة كانت قد نمت نموا عظيما بعد ان كانت لم يبق منها سوى بقية مبعثرة فاسدة الأخلاق عقب هزيمة جلبوغ . كان عدد رجال الحرب في اسرائيل - عدا سبطي لاوى وبنيامين ومدينة اورشليم - نحو مليون رجل ، ورجال يهوذا خمسمائة ألف .

وعندما تم الاحصاء ، ووصل الرجال اورشليم يحملون تقاريرهم ندم داود ، وضربه قلبه ، وقال للرب « لقد أخطأت جدا في ما فعلت » . فانه رأى بانه قد تباعد جدا عن عقيدته في الله كملك شعبه الذي يتوقف كل مستقبله على ملك الله الوحيد . لقد استبدل تدبير الله بتدبيره الشخصي ، لقد أراد أن يقيم من نفسه وشعبه منافسين للملوك والشعوب المجاورة . على أن ليلة حزن والم لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تمسح أخطاء وجهالة تسعة شهور . يجوز أن تغفر له خطيته ، ولكن يجب أن يتحمل

واحدًا من تأديبات ثلاثة • وكان من الحكمة أن يختار الوقوع في يدى الله • على أن الوباء الذى اكتسح شعبه بشدة وعنف مزق أحشائه •

وإذا كان هذا الوباء يكتسح البلاد جاء أخيرا الى المدينة المقدسة كجيش مخرب ، وبدا كأن ملك الرب يحرم فوقها ممسكا السيف بيده للبدء بارساليته المرعبة • وحينئذ صرخ داود الى الرب متوسلا اليه لكى تكف الضربة قائلا : الأولى أن تشرع سيفك فى قلبى عن أن يهلك شخص آخر من شعبى « أنا هو الذى اخطأ وأساء وأما هؤلاء الخراف فماذا عملوا » فحل ملك الرب على بينر أرونة أو أورنان اليبوسى الذى يظن البعض أنه هو الملك المخلوع الذى كان يملك سابقا على هذه المدينة ، مدينة اليبوسيين • هنالك ، على جبل موريا ، حيث أمسك الملك سكين أبرهيم الممدودة منذ عدة قرون ، قال الله « كفى الآن • رد يدك » اختير هذا المكان لبناء الهيكل عليه • وحسب ارشاد جاد النبى اشترى داود البيدر ، وأدوات الدراس (النوارج) ، والثيران التى كانت تدرس القمح • وأضر على دفع الثمن كاملا ، لكى لا يقدم للرب شيئا لم يدفع ثمنه ، ومنذ ذلك الوقت صار جبل موريا مركز العبادة لشعب اسرائيل ، موقع عدة هياكل متعاقبة ، مرسح استعلان ابن الانسان •

(٢) الشخص الذى بناه :

قضى داود فى السنة الاخيرة من حياته (وهى السنة الأربعون من ملكه) فى مرارة المر بسبب تلك الثورة النهائية التى أثارها العذاصر المتنايضة التى طالما سببت له المتاعب • فان يوأب انقلب أخيرا الى خائن متمرد ، وشق عصى الطاعة على سيده القديم ، وانضم اليه أبنائار فى نصرة قضية أدونيا أكبر أبناء

داود الأحياء ، ولعل الدافع لابيثار الى ذلك غيرته من صادق
١ مل ٨:٥٠ . لابد انهما (يواب وابيثار) كانا يعلمان وعد
الله الصريح بأن سليمان هو الذى اختاره للملك ، ولكنهما أدركا
انه لا أمل لهما فى نيل ثقته ، ولذلك اعتزما أن يبذلا مجهودا
أخيرا لاقصائه عن الملك واقامة ملك آخر يختارونه هم ويكون
العبوة فى أيديهما .

وعندما وصلت أخبار هذا التمرد الى داود حركت فيه قلبه
الحديدي الاول ، ورغم أنه كان فى أقصى درجات الانحلال
الجسماني فانه نهض بكل نشاط لاتخاذ الاجراءات الحاسمة لتنفيذ
الارادة الالهية التى أعلنت اليه منذ سدوات « فحلف الملك وقال
حتى هو الرب الذى فدى نفسه من كل ضيقة انه كما حلفت لك
بالرب كذلك أفعل هذا اليوم » ١ مل ٢٩:١ و ٣٠ . ولم تمش
ساعات كثيرة حتى وصلت الأخبار الى وليمة أدونيا فى عين
روجل تقول ان سليمان مسح ملكا فى جيحون بيد صادق الكاهن
وناثان النبي ، وانه طاف المدينة راكبا البغلة الملكية يحرسه
بناياهو وكل رجاله . وفى ساعة واحدة ذابت قلوب رجال أدونيا
ولوا هاربين ، وهرب هو ، وتمسك بقرون المذبح .

والأرجح انه فى ذلك الوقت عهد داود الى سليمان ببناء
بيت الله . وسرد له كل الخطوات التى سلكها منذ رغبته فى بناء
البيت ورفض الله لتلك الرغبة بسبب سفكه دماء كثيرة الى ذلك
الوقت الذى وعده الله فيه مؤكدا بولادة ولد يكون رجلا راحة
ويبنى هيكل السلام . بعد ذلك عدت له الأدوات التى جمعها ،
والأعمال التمهيدية التى أعدت . ويكان يكون فى حكم المستحيل
ان تدرك مقدار الثروة الطائلة التى جمعها من المعادن الثمينة ،
والكميات التى لا عدد لها من النحاس والحديد والخشب ، او
العدد الذى لا يحصى من العمال . ولقد افرغت الممالك المجاورة

كل كنوزها ومخازنها لجعل البيت فى منتهى الفخامة والعظمة .

وفى نهاية حديثه عن هذه المأمورية الخطيرة التى عهد اليه بها اُضاف اليه بعض تعليمات عن كيفية تصرفه نحو يواب وشمعى ١ مل ٢: ٩-٥ . قد يبدو اليذا لدى قراءة هذه الكلمات ان الدافع لداود هو روح الانتقام ، ولكننا يجب ان نلتمس له العذر ان كان الدافع الوحيد له وهو على فراش الموت هو ضمان السلام فى المملكة . ولو انه كان هنالك اثر لروح الانتقام فى قلبه لانتقم منهما هو شخصيا على الفور .

(٣) النموذج الهيكل :

كانت تتطلب سياسة اليهود ان لا يمسح الملك من الكاهن فقط بل ان يعترف به من كل الشعب . لهذا كان ضروريا ان يصادق على اختيار داود لسليمان بعقد اجتماع شعبى عام، الامن الذى تم فعلا بناء على امن داود ١ اى ١: ٢٨ . وباله من منظر رائع ان وقف الملك الكهل للمرة الأخيرة وجها لوجه امام الرجال الذين ساعدوا على رفع اسرائيل الى هذه الحال من العظمة ، والذين كان من بينهم الكثيرون الذين تبعوه منذ فجر حياته . يشبه هذا المنظر وداع موسى للشعب الذى قاده حتى تخوم ارض كنعان ، او خطاب صموئيل الوداعى . للمرة الأخيرة مثل الملك والشعب امام الله . ومرة أخرى يذكر ظروف اختيار الله اياه ، وظروف رغبته فى بناء الهيكل ، واستبدال سليمان بشخصه . ثم التفت الى ابنه الشاب الواقف بجانبه ، وأمره بأن يتشدد ويتم القصد الالهى .

بعد ذلك قدم اليه النموذج كل البيت حسب ارشاد روح الله له ، وقائمة بكل الأدوات التى يصنع منها كل جزء من أجزاء

الهيكل . وكما رأى موسى ارض الموعد تضيء بلمعانها البهى قبيل وفاته هكذا كان مائلا امام مخيلة داود شكل الهيكل تاما بجميع اجزائه . لقد تبرع داود من ماله الخاص بسخاء عظيم فى بناء الهيكل ، ولهذا حق له أن يلتفت الى جمهور الشعب العظيم ويطلب من الرؤساء والشعب أن يملأوا أياديهم ويقدموا عطاياهم لله . وكانت النتيجة سارة للغاية . ولعله لم يحصل من قبل أو من بعد تبرع للأغراض الدينية فى وقت واحد كما حصل فى ذلك اليوم . ولكن الأفضل من كل ذلك أن التبرع تم بارتياح ، وعن طيبة خاطر ، وبسرور ١ اى ٩:٢٩ .

« وبارك داود الرب امام كل الجماعة » من كل قلبه . ومست الذار القديمة شفتيه ، وسمت أفكاره الى السماء بسمو خياله ، ونسب الى يهوه كل الفضل فى المملكة ، واعترف بأن كل ما قدم من تبرعات فى ذلك اليوم انما هو من يد الله . واذ وقف على عتبة الأبدية بدت أيامه كظل لا اقامة فيه ، ثم توسل الملك الوالد من أجل سليمان لكي يحفظ وصايا الله وشهاداته وفرائضه ويبنى البيت . وأخيرا التفت الى الشعب وطلب منهم أن يشتركوا معه فى تسبيح الرب ، فبارك كل الجماعة الرب بأصوات الهتاف والفرح العظيمة حتى رنت أصدائها فى كل الأجواء ، ثم أولت الولائم الدينية العظيمة بوفرة تفوق الوصف والادراك .

كانت هذه خاتمة جديرة بهذه الحياة العظيمة . نحن لا نعلم على وجه التحقيق مقدار الفترة التى عاشها داود بعد ذلك . فالكتاب المقدس لا يسجل لنا شيئا عن وصف المناظر التى فارق فيها الحياة . وكل ما يمكن أن نجده فى هذا الصدد هو هذه العبارة « واضطجع داود مع آبائه ودفن فى مدينة داود » ١ مل

١٠:٢ ثم هذه العبارة « ومات بشيية صالحة وقد شبع أياما (١) وغنى وكرامة » ١ اى ٢٨:٢٩ ولكن لعل اسمى ما كتب هو ما نطق به الوحى على لسان بولس الرسول « لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم الى آبائه ورأى فسادا » ا ع ٣٦:١٣ .

جميل جدا أن هذا التعبير عن موت داود « رقد » . لقد كانت حياته مليئة بالعواصف والزواجع والمتاعب، بالحروب والدماء وكمن ثورات كدورت حياته . ولكن الراحة أتت أخيرا كما تأتي الى الجميع . لقد أغلقت عيناه - كطفل أضناه التعب - فى رقادِهِ الأخير ، وصعدت الروح لتتضم الى الأبطال الذين ماتوا . وبقي قبره الى يوم الخمسين ، لأن بطرس أشار اليه .

لقد أدرك أن أبهج الأحلام التى أتيج له أن يراها عن مجد السماء تقصر دون الحقيقة، ولا بد أنه فى ساعة الموت قد طبعت على وجهه نظرة تعجب وسرور كأنه لم يخبر الا بنصف الحقيقة .

ان أوجه الشبه بينه وبين الرب يسوع المسيح كثيرة ودقيقة، سواء من جهة مسيحهما ، أو كلماتهما لأصدقائهما ، أو خيانة أولئك الذين وثقا بهم ، أو حروبهما ، أو محبتهما لأورشليم . ولكن أوجه الشبه تقف عند هذا الحد : فان ابن داود ينفرد بموته الكفارى ، وطبيعته غير الفاسدة ، وصعوده المجيد الى السماء . وداود نفسه دعاه بالروح ربا ، وأدرك أنه هو وحده

(١) « أيامنا كالظل على الأرض وليس رجاء » () وليس من قرار « حسب ترجمة اليسوعيين) ، (« وليست فيه إقامة أو مسكن » حسب الترجمة الانكليزية) ١ اى ١٥:٢٩ .

الذى يستطيع أن يتم المثل الأعلى للملك الذى لن يستطيع انسان
بشرى فان ان يحققه •

ينزل مثل المطر على الجزائر

ومثل الغيوث الذرافقة على الأرض

ويملك من البحر الى البحر

ومن النهر الى اقاصى الأرض

لأنه ينجى الفقير المستغيث

والمسكين اذ لا معين له

يكون اسمه الى الدهر

ويتباركون به

فهرس

صفحة

٩	من حظائر الغم	الفصل الأول
١٨	من ذلك اليوم فصاعدا	» الثاني
٢٥	استدعاؤه للقصر الملكي	» الثالث
٢٢	وبضدها تتمين الأشياء	» الرابع
٢٩	ايمان مختار الله	» الخامس
٤٧	باسم رب الجنود	» السادس
٥٦	يونانثان	» السابع
٦٥	تفارج البيت وداخله	» الثامن
٧٤	رسالة السهام	» التاسع
٨٤	اشرف على الهلاك	» العاشر
٩٢	مغارة عدلام	» الحادى عشر
١٠٢	الحصاة البيضاء	» الثانى عشر
١١٠	أغنيات منبثقة من الأحزان	» الثالث عشر
١١٨	داود يكبح جماح نفسه	» الرابع عشر
١٢٧	كوش البنيامينى	» الخامس عشر
١٣٥	فتة باردة على رأس حارة	» السادس عشر
١٤٤	فترة شك	» السابع عشر
١٥٣	رحمة الله التى اقتادت الى التوبة	» الثامن عشر
٦٢١	يتوج ثلاث مرات	» التاسع عشر

صفحة

١٧١	ياللعياى من يثر بيت لحم	الفصل العشرون
١٧٩	أورشليم المدينة المقسة	» الحادى والعشرون
١٨٤	نقل تابوت العهد الى جبل صهيون	» الثانى والعشرون
١٩٢	أحسننت بكون ذلك فى قلبك	» الثالث والعشرون
١٩٩	قد أقمت ملكى	» الرابع والعشرون
٢٠٦	خطية حياته	» الخامس والعشرون
٢١٤	ضربات بنى آدم	» السادس والعشرون
٢٢٢	الغروب وكوب المساء	» السابع والعشرون

(انتهى والحمد لله)

يشنس سنة ١٦٧٤ - مايو سنة ١٩٥٨

للمعرب أيضا :

١ (حياة يوسف

» ابراهيم

» ايليا

» ارميا

» بولس

حياة بطرس

» يشوع

» زكريا

» يوحنا المعمدان

٢ (تفسير الكتاب المقدس :-

نحميا - الجامعة - نشيد الانشاد - هوشع رومية متى

(تحت الطبع)

٣ (تفسير قداس الكنيسة القبطية

٤ (شهادة علم الآثار للكتاب المقدس

٥ (الدسقولية أو تعاليم الرسل

٦ (تجسد الكلمة لأثناسيوس الرسولى

٧ (رسالة الى الوثنيين للقديس اثناسيوس

٨ (أمثلة المسيح ٩ (كيف تدرس الكتاب المقدس

١٠ دراسات مختصرة عن حياة المسيح وتعاليمه

١١ قوة يسوع فى حياة الطالب ١٢ العمل الفردى

١٣ الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة